الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د

تخصص: دراسات لغوية

الموســـومة بـــ:

التداولية و الحجاج وأثرهما في القراءة الخطابية دراسة في البيان و التبيين

إعداد الطالبة : **إشـــراف. أ.د. الدكتور :**

زابور ايمان **بولخراص محمد**

أعضاء اللجنة المناقشة

أ–د عرابي أحمد	**أ.ت. العالي**	**رئيســـــــا**	**جامعة–تيارت –**
أ–د بولخراص محمد	**أ.ت. العالي**	**مشرفا و مقررا**	**جامعة –تيارت–**
د– العامي حفيظة	**أستاذ محاضر" أ"**	**مشرف مساعد**	**جامعة –تيارت–**
أ–د حدوارة محمد	**أ.ت.العالي**	**مناقشـــــا**	**جامعة– تيارت–**
أ–د حدوارة عمر	**أ.ت.العالي**	**مناقشـــــا**	**جامعة –تيارت –**
د– حمزة بوجمل	**أستاذ محاضر "أ "**	**مناقشـــــا**	**م /ج آفلو**

السنة الجامعية :1442 هـ – 1443 هـ /2021–2022م.

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز الناس والدي الكريمين ، و إلى زوجي جزاه الله كل خير إلى ابني"إياد" و ابنتي "ريتال " و جميع إخوتي كل باسمه .

كلمة شكر وعرفان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بكل عبارات الاحترام و التقدير إلى الأستاذ المشرف بولخراص محمد على صبره و سعة صدره له مني كل الاحترام و التقدير

و أجزل شكري و امتناني إلى من تعب معي ولم يمل إلى الدكتور حدوارة عمر فكان نعم الأستاذ مصباح أنار لي درب الطريق المظلم "جزاه الله كل خير و متعه بالصحة و العافية شكرا شكرا شكرا

مقدّمة

مقدمة:

أصبحت اللّغة طرح بنيوي وتوليدي نحوي عاجزة على مواكبة التّطورات اللّسانية المعاصرة باعتبار البنيوية تهتم بالعناصر الدّاخلية للنص والعلاقة القائمة بين هذه العناصر، أي علاقة التّرابط والتلاؤم البنيوي.

تعطي البنيوية اهتماما كبيرا للنص كعنصر متلاحم الأجزاء متكامل الوظائف مهمّشة بذلك الظّروف الخارجية، بل إبعاد المؤلّف أثناء عملية التّحليل اللّساني، اهتمّت الدّراسات اللّسانية السابقة البنيوية والنّحو التّوليدي التّحويلي بمستويات التّحليل اللّساني " المستوى الصّرفي، المستوى النّحوي،المستوى التّركيبي، المستوى الدّلالي..." وأهملت العديد من مواضيع اللّغة من بينها "أفعال الكلام، السّياق، الاستلزام الحواري..."

هذا ما دفع إلى ظهور بوادر لسانية جديدة تدعو إلى الاهتمام "بالسّياق وإعادة الاعتبار للمؤلّف والقارئ، وما إلى ذلك، فظهرت التّداولية « pragmatics »في ظلّ التّطورات اللّسانية الغربية تيار لساني معاكس للدراسات اللّسانية السّابقة

بدأت هذه البوادر تظهر مع « **أوستن austin**» ونضجت على يد« **سيرل**searle »معلنة بظهور علم جديد في الدّراسات المعاصرة، وهذه الأخيرة تهتم باستعمال اللّغة في الخطاب،أي تهتم بالخطاب وتأويلاته و تهتم بالمفردة داخل وخارج التّركيب مستعينة بالسّياق.

كما نجدها تهتم بالمعنى وإيصاله على الوجه المطلوب أي كما يقصده المؤلّف ويفهمه "القارئ" الملتقى، فغاية التّداولية من ذلك هو "القصد" والغرض ألإنجازي منه ولا يكتمل مفهوم الخطاب إلّا من خلال سياق محدّد.

وعليه فالتّداولية تهتم بالرّسالة والمرسل والسّياق، والظّروف الاجتماعية والنّفسية، وزمان ومكان الحدث.

من خلال اهتمام التّداولية بكل صغيرة وكبيرة من أجل الوصول إلى قصد المؤلّف ونجاح عملية التّواصل جعلها تتربّع على عرش اللّسانيات بعدما كانت توصف بسلّة المهملات؛ تُرمَى فيها كلّ ما هو زائد وحشو لساني، كلّ هذا دفعها إلى التّقدّم والتّطوير من نفسها إلى أن أصبحت نظرية متكاملة تعقد من أجلها الأيام الدّراسية والبحوث العلمية.

و النّص التراثي نصّا ثريا لجأ العديد من الباحثين إلى التّنقيب فيه عسى يجد ضالتهم فسرت على آثارهم منقبتا فكانت العينة التي أخذتها مدوّنة "**البيان والتّبيين**" لـ الجاحظ.

إذ يعدّ كتاب "**البيان والتّبيين**" لـ الجاحظ من أمهات كتب اللّغة العربية؛ فهو فريد عصره كيف لا وقد ألّفه الجاحظ أواخر حياته، فهو كتاب موسوعي يحمل العديد من العلوم منها "الفلسفة المنطق البلاغة والسّيمياء" ، لقد حرص الجاحظ من خلال كتابه على حسن اختيار اللّفظ وإيجاد الكلام الفصيح البليغ، باعتبار اللّغة البليغة الفصيحة أقوى سلاح يمتلكه المخاطب لما لها من أثر على المتلقي ودفعه إلى الاقتناع بالفكرة.

و الجاحظ رجل محاججة ومناظرة، رجل معتزلي صاحب نحلة سميت باسمه الجاحظية متكلّما بليغا فصيحا صاحب حجة لاذعة ومقنعة، يعتبر أول من أعطى أهمية لعملية التّواصل والعلاقة بين المتلقي والمؤلّف مع مراعاة لكلّ مقام مقال.

ومن خلال هذا الطّرح يتحدّد المشكل الرئيسي للبحث وهو كالتّالي:

إلى أيّ مدى حضر الطّرح التّداولي والحجاج في كتاب "البيان والتّبيين" لـ الجاحظ؟

أو بعبارة أخرى:

ماهي الآليات التداولية التي اعتمدها الجاحظ في كتابه؟

و تندرج تحت هذا الإشكال مجموعة من الإشكاليات الفرعية كانت على النحو الآتي:

ما هي التّداولية ؟ وما هو الحجاج ؟ وما مدى تطبيق الجاحظ للتّداولية في نصوصه ؟

من خلال هذه الإشكاليات يندرج موضوع البحث الموسوم بـــ: **التّداولية والحجاج وأثرهما في القراءة الخطابية دراسة في البيان والتّبيين.**

وقد فرضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى :

مدخل وأربعة فصول وخاتمة، فـــ**المدخل** عنون بـ: **استراتيجيات تحليل الخطاب،** جعلته يتناول بعض المفاهيم الأولية من مفهوم "الجملة، الملفوظ والتلفظ، النّص، الخطاب، وأنواع إستراتيجية الخطاب".

أمّا **الفصل الأوّل** سمي بـ: **التّداولية النشأة والتّطور،** يتضمن أربعة مباحث: **المبحث الأوّل:** خصص لتحديد المفاهيم الأولية للتّداولية، أمّا **المبحث الثّاني:** فجعلته لتحديد نشأة التّداولية. **والمبحث الثّالث** :جعلته لتحديد البحث التّداولي عند العرب، **والمبحث الرّابع:** خصّص لمباحث التّداولية.

والفصل الثّاني سمي بـــ "نظرية الحجاج النشأة والتّطور"، حيث تناولنا فيه أربعة مباحث **أولها** تحديد مفهوم الحجاج، **والمبحث الثّاني** :يتحدّث عن مفهوم الحجاج عند العرب، يليه **المبحث الثّالث** :الحجاج عند الغرب، أمّا **المبحث الرّابع** فتحدّثنا فيه حول الحجاج اللّغوي.

أمّا **الفصل الثّالث** فكان الجانب التّطبيقي عنون بـ" **مواطن التّداولية عند الجاحظ؛** تضمّن هذا الأخير ثلاثة مباحث: **المبحث الأوّل:** الفعل الكلامي عند الجاحظ، أمّا **المبحث الثّاني** سمي بـ المقامات وأثرها في دلالة الخطب، **والمبحث الثّالث** خصص للاستلزام الحواري.

و **الفصل الرّابع** عنون بـ: **الحجاج في المدوّنة "البيان والتّبيين"**، تناولنا فيه ثلاث مباحث **أوّلها** مقام الجدل والحجاج، أمّا **المبحث الثّاني** فتناولنا فيه المناظرة عند الجاحظ، **والمبحث الثّالث:** التّنوع الاجتماعي وأثره في الدّلالة اللّغوية " العلماء العباد، النّسّاك" وختمنا البحث **بخاتمة** كانت عصارة البحث، تضمّنت النّتائج التي توصّلت إليها.

أمّا عن أهمية هذا البحث كونه يدرس مدوّنة تراثية تعدّ من أمهات الكتب وأحد أعمدة الأدب العربي، هذه الدّراسة تدرس النّص التّراثي دراسة معاصرة من خلال النّظرية التّداولية"، كذلك تكمن أهمية هذا البحث في الجانب التّطبيقي الذي اعتمدت فيه على التّحليل التّداولي للنص باعتبار التّداولية تحدّد المعنى الحقيقي للنص والمؤلّف من خلال السّياق.

من خلال هذا اخترت مدوّنة "**البيان والتّبيين**" لـ**الجاحظ**، لأسباب موضوعية تمثّلت في:

– محاولة قراءة التّراث بالآليات الحديثة، وذلك مع عدم المساس بنزاهة النّص التّراثي واللّغة العربية.

–الوقوف على نوع الخطاب المتداول في تلك الحقبة بحكم دراستنا لتحليل الخطاب.

وفي دراستي للخطاب التّداولي عند الجاحظ، وجب عليا أن أتبع منهجا يسهل عليا الكشف عن مواطن التّداولية في المدونة باعتبار نصوص الجاحظ في المدونة متنوعة منها " الخطبة، النص النّثري، الشّعري" فكان المنهج المستعمل هو المنهج الوصفي التّحليلي مع الاعتماد على إجراء التّداول أثناء شرح استعمالات اللّغة.

وفي دراستي هاته اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: كتاب "إستراتيجية الخطاب" لـعبد الهادي بن ظافر الشّهري، وكتاب "التّداولية والحجاج" لصاحبه صابر الحباشة و كتاب "التّداولية عند علماء العرب" لـمسعود صحراوي.

أما الدّراسات السّابقة التي درست التّداولية عند الجاحظ من بينها رسالتا دكتوراه الأولى معنونة بـ"التّفكير التّداولي عند الجاحظ في كتاب "البيان والتّبيين" لـلجاحظ، جامعة الأغواط، أمّا الثّانية فهي موسومة بـ"الحجاج في كتاب "البيان والتّبيين"، جامعة بسكرة.

كطبيعة أيّ بحث تعرّضت لمجموعة من الصّعوبات والعراقيل صعوبة التّعامل مع المادّة كون:

- صعوبة فهم بعض المفردات التي وظّفها الجاحظ

- حجم المدوّنة وكثرة المادّة العلمية التي تضمّنتها.
- شساعة الموضوع مما تعذر علينا الإحاطة بكافة حيثياته

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في للإلمام بجوانب الموضوع، كما أتقدّم بكلّ عبارات الشّكر والتّقدير للأستاذ المشرف بولخراص محمّد على صبره وتوجيهاته وتواضعه ،له منّي جزيل الشّكر والعرفان.

27 أوت 2020 . إيمان زابور – تيارت –

مدخل

استراتيجيات تحليل الخطاب.

*الجملة

*الملفوظ و التلفظ

*النص

*السياق

* إستراتيجية الخطاب

*أنواع استراتيجيات تحليل الخطاب

تحليل الخطاب (Discoures analysais) مصطلح جامع ذو استعمالات عديدة، يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة منها، "التّداولية السّيميائية، الاجتماعية، النّفسية، وكذا الأسلوبية...الخ إنّه في استفاضة دائمة موضوعا، مجالا، علما، منهجا، يسعى في اجتماع جُزئيتيه اللّتين ساهمتا بشكل فعّال في تكوينه، إلى فكّ وتحليل شفرة الخطاب من أجل فهمه على اختلاف أنواعه سياسي، نفسي تعليمي...الخ حتى لا نقف عند هذا الأخير "الخطاب" مكتوفي الأيدي وعاجزين لا نملك آليات التّحليل ولا قدرة التّأويل؛ باعتباره خطابا متماسكا غاية في التّعقيد والتّشابك[1].

ولتحديد مفهوم الخطاب وجب الإشارة إلى بعض المصطلحات التي تعتبر النّواة الأولى لهذا المصطلح.

إنّ اللّغة فكر منتظم في صلب مادّة صوتية، غايتها التّعبير والتّواصل؛ فهي نتاج يتقبّله ويسجّله المتكلّم دون أن يقوم بأيّ نشاط، بل ليس لتفكيره فيها من نشاط سوى نشاط التّرتيب ليشكّل ترتيبا من وحدتين متتاليتين فأكثر، تجمعهما علاقة سياقية حضورية متبادلة، يحدّدها النّظام النّحوي الخاص لهذه اللّغة والذي يميّزها من غيرها من اللّغات وأحسن نموذج عن هذا التّركيب هو الجملة[2].

1/ الجملة:

1.1المفهوم اللّغوي للجملة:

ورد في مقاييس اللّغة لـ **ابن فارس**: (ج– م– ل) الجيم والميم واللّام أصلان أحدهما تجمع وتعظم الخلق والآخر حسن، فالأوّل قولك أجملت الشّيء، وهذه جملة الشّيء، وأجملته حصلته"[3].

المعنى اللّغوي العام لمفهوم الجملة هو جمع الشّيء أو مجموعة أشياء.

---

[1] –ينظر نعيمة سعدية: تحليل الخطاب والدّرس العربي، قراءة لبعض الجهود العربية، مجلّة كلّية الآداب الإنسانية والاجتماعية، ع04، 2009م، ص29

[2] –المرجع نفس ، ص 30

[3]– ابن فارس: معجم مقاييس اللّغة، مادّة "ج.م.ل"، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، ج:01، ص481.

1. 2 المفهوم الاصطلاحي:

لم يظهر مصطلح الجملة مع الدّراسات النّحوية التي عارضت كتاب "**سيبويه ت 180هـ**" باعتبار هذا الكتاب يعدّ تمثيلا ناضجا للجهود النّحوية في هذه الفترة، بل كان مصطلح الكلام بديل الجملة[1].

يعرّف« **ابن جنّي** » الكلام فيقول:"كلّ لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسمّيه النّحويون الجملة"[2]. مفهوم الجملة عند ابن جني مرادفة للكلام، مستقلة بنفسها تفيد معنى معيّنا.

وفي تعريف آخر وهو لــ« **الرّضي ت 688هـ** » يقول:" والفرق بين الجملة والكلام أنّ الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها ، كالجملة التي هي خبر المبتدأ وسائر ما ذُكِر من الجمل"[3].

في هذا التّعريف يفرّق الرضي بين الجملة والكلام، فالجملة ما تضمن الإسناد الأصلي كالمسند والمسند إليه، والمفعول واسم الفاعل...وما إلى ذلك، ثمّ يواصل تعريفه فيقول:" الكلام ما تضمّن الإسناد الأصلي، وكان مقصودا لذاته، فكلّ كلام جملة ولا ينعكس"[4].

من خلال قول الاسترابادي نستنتج أنّ كلّ من "الجملة" و"الكلام" يتضمّن الإسناد، والجملة أعم من الكلام، فكلّ كلام جملة و ليست كل جملة كلام الجملة هي عبارة عن مجموعة من الكلمات تربطها روابط نحوية ودلالية...

الفترة التي جاءت بعد "سيبويه "كانت تعاني بعض الاضطرابات في تحديد المفاهيم، بل هناك من كان يعتبر الكلام هو الجملة في حدّ ذاتها مثل" ابن جني 1002هـ"، و"عبد القاهر الجرجاني 471هـ" و "الزّمخشري 538هـ".

---

[1]-ينظر محمّد حماسة عبد اللّطيف:" بناء الجملة العربية، دار غريب القاهرة، د.ط، 2003م، ص 21.

[2]- ابن جنّي:الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ج.س، ج:01، ص 17.

[3] -الرّضي الاسترابادي: شرح الكافية، مطبعة حالي للطباعة إبراهيم أفندي، مصر، د.ط، 1872م، ص07.

[4]ا-لمصدر نفسه، ص 07.

أمّا"**ابن هشام761هـ**":

ففي تعريفه للجملة يبدو أنّه كان دقيقا وحسم الأمر والجدل القائم بين المصطلحين "الجملة والكلام"، فيقول:" الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه، والجملة عبارة عن فعل وفاعله، والمبتدأ وخبره...الخ"[1].

الجملة عند ابن هشام متعلقة بالإسناد"مسند و مسند إليه" أما الكلام فهو القول الذي يحمل قصدا و معنا معين يحسن السكوت عليه .

1. 3 مفهوم الجملة عند الغرب:

تحديد مفهوم الجملة عند الغرب يختلف باختلاف اللّغويين، وكذا المدارس اللّسانية، وهناك العديد من التّعريفات التي وضعها علماء اللّسانيات في تحديد مفهوم الجملة من بينهم "دي سوسير" والذي ينظر إلى الجملة "على أنّها تتابع من الرّموز وأنّ كلّ رمز يسهم بشيء من المعنى، لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بها قبله وما بعده"[2].

لم يقدّم "دي سوسير" تعريفا دقيقا للجملة، بل عرّفها على أنّها مجموعة من الرّموز، وكلّ رمز له دور خاص، وهذه الرّموز تجمعها علاقة التّرابط والانسجام.

أمّا "ماريو باي" ففي تعريفه للجملة يقول:"الجملة تتابع من الكلمات والمورفيمات"[3].

1. 4 مفهوم الجملة في النّحو التّوليدي:

رائد هذا الاتّجاه "نوام تشومسكي"؛ بنى تشومسكي اتجاهه ضدّ المناهج البنوية التي شاع استعمالها منذ دي سوسير بالنسبة لأوروبا، بلومفيد بالنّسبة لأمريكا.

---

[1] –ابن هشام الأنصاري:مغني اللّبيب على كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك حمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط01، 1964م، ج:01، ص 374.

[2] –سعيد بحيري:علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات، مؤسّسة المختار، القاهرة، ط02، 2010م، ص37.

[3]– ماريو باي: أسس علم اللّغة، تر:أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1998م، ص 112.

لقد استطاع تشومسكي من تأسيس نظرية لغوية مشهورة تمثّلت في البنية العميقة "المجرّدة الذّهنية والبنية السّطحية المتمثّلة في تسلسل العناصر المكوّنة من كلمات في مدرّج الكلام[1].

يقول تشومسكي:

"الجملة ما تحتوي على سلسلة من الأدلّة النّظمية، يجري توليد كل واحد منها من قبل الأساس في المكوّن النّحوي"[2].

مفهوم الجملة عند تشومسكي مرتبط بالبنية العميقة؛ وهي الكفاءة اللّغوية التي يملكها المتكلّم أمّا العنصر الثّاني مرتبط بالبنية السّطحية فهي مرتبطة بالأداء الكلامي.

فالجملة عنده تساوي البنية العميقة "الكفاءة اللّغوية ، البنية السّطحية ،الأداء الكلامي".

سمح النّحو التّوليدي بالانتقال من مفهوم الجملة إلى ما بعد الجملة ومكوّناتها القاعدية إلى البحث المنظّم في العلاقات بين الجمل، وهذا ما حرص على التّنبيه إليه هاريس في كتاب "تحليل الخطاب"[3].

أصبحت لسانيات الجملة عاجزة عن حلّ العديد من المشاكل اللّغوية، هذا الأمر استدعى رؤية جديدة تتجاوز الجملة إلى ما بعد الجملة من أجل ربط عملية التّواصل بالسّياق اللّغوي.

2/ الملفوظ والتّلفّظ:

1.2 الملفوظ (The ajacted):

لغة:

هو فعل التّلفّظ أو نتاج عملية التّلفظ، أو هو معطى لغوي أو لساني يتكوّن من سلسلة أو مجموعة من الوحدات اللّغوية المتلفّظة والمحدّدة بفترتين من الصّمت قد تكون ملفوظة أو مكتوبة[1].

---

[1]-ينظر خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيات العامة، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط02، 2006م، ص 167

-[2]حسام البهنساوي:القواعد التّحويلية في ديوان حاتم الطّائي، مكتبة الثّقافة الدّينية، مصر، د.ط، د.ت، ص95.

[3] -ينظر نعمان بوقرة: المصطلحات الأساسية في النّص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جذر الكتاب العالمي، عمان، ط01، 2009م، ص09.

مفهوم التّلفظ في اللّغة: هو فعل إلقاء أو إخراج الكلام من الفم مع إحداث صوت، هذا الصّوت يسمّى بالملفوظ، ويتكون الملفوظ من مجموعة وحدات، والملفوظ قد يكون مكتوبا أو شفويا.

2.2 الاصطلاح:

هو وحدة لسانية وخطابية أساسية في معظم تحاليل فلسفة الكلام واللّسانيات المعاصرة، يتميّز عن فعل التّلفظ الذي يتعلّق بالانجاز التّواصلي أو التّداولي في سياق ما[2].

.

2. 3 الفرق بين الجملة و الملفوظ:

هناك فروق واضحة بين الجملة و الملفوظ من بينها :

1"-الجملة تحكمها قواعد نحوية و بنية لسانية مكتملة المعنى و الفائدة في سياقها التركيبي

2-أما الملفوظ فلا يفهم إلا من خلال سياق تواصلي معين بوجود مجموعة من المؤشرات و المعينات و القرائن التلفظية و السياقية "[3]

3-**التّلفّظ (Pronunciation):**

يعرّف« بنفنست »التّلفظ فيقول:

"وهو يعني الفعل الذّاتي في استعمال اللّغة، إنّه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقال الملفوظ باعتباره الموضوع اللّغوي المنجز والمعنى المستقل عن الذّات التي أنجزته وهكذا يتيح التّلفّظ دراسة

---

[1]-جميل حمداوي: أنواع الملفوظ السّردي في القصّة القصيرة جدّا، شبكة الألوكة www.alukah.net اطلعت عليه 2019/05/12

[2] -ينظر خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللّسانيات العامة. ص9

[3]-ينظر جميل حمداوي: أنواع الملفوظ السّردي في القصّة القصيرة جدّا، شبكة الألوكة www.alukah.net اطلعت عليه 2019/05/12

الكلام ضمن مركز نظرية التّواصل ووظائف اللّغة، و يرى بنفنست أنّ التّلفّظ هو موضوع الدّراسة وليس الملفوظ "[1]

التّلفظ عند بنفنست هو فعل شخصي ذاتي في استعمال اللّغة، وهو التّجسيد الفعلي للغة وهذا التّجسيد يتمثّل في الكلام وهو ناتج عن فعل التّلفظ.

"فعل التّلفظ هو المجال الذي يقوم على استعمال اللّغة إنّه المجال الذي من خلاله تحدّد فيه الصّورة والخصائص الفردية للكلام"[2].

مفهوم التّلفظ عند« غريماس »، و« كورتاس »"Greimès et Courtes" على أنّه:"تتابع من الجمل المحقّقة أي كلّ ما يتلفّظ به الإنسان منطوق أو مكتوب يتحدّد ضمن إنية من التّلفظ عن طريق ضمائر الشّخص وضمائر الملكية، الصّفات والظّروف المبهمات الزّمانية والمكانية"[3].

مفهوم التّلفظ عند غريماس وكورتاس هو مجموعة من الجمل المتتابعة تتكون "من صفات ظروف الزّمان والمكان" أي كلّ ما ينطق به الإنسان يسمّى ملفوظا

4/ النّص (Texte):

4 .1تعريف النّص لغة:

ورد في "لسان العرب" لــ« ابن منظور »في مادة (ن . ص . ص)" نصّ الشيء أي رفعه وأظهره، وفلان نصّ أي استقصى مسألته عن الشّيء حتّى استخرج ما عنده، ونص الحديث ينصّه نصّا إذ رفعه، ونصّ كل شيء منتهاه"[4].

---

[1]-سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائي "الزمن ' السرد، التبئير " المركز الثقافي العربي ،بيروت ،ط03،1997،ص19

[2]-Voir p, charaudeau : langage et discours éléments de sémio linguistique, éd hachette, paris p :59.

[3]-ذهبية حمو الحاج: لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنّشر، تيزي وزو، ط02، 2012م، ص18

[4] -ابن منظور: لسان العرب، تح: مجموعة من الأساتذة، دار صادر، بيروت، ط03، 1994م، ج:07، ص 42-44.

مفهوم النص في اللغة من نصّ الشيء رفعه و زاد من علوه و إظهاره و نص الشيء أي قصا مسألته و من معانيه أيضا النهاية نهاية الحديث

2.4 اصطلاحا:

لقد اختلفت التّعريفات حول مصطلح النّص وتباينت وتعدّدت الاتجاهات في تعريف "النّص".

1/جوليا كريستيفا:

ترى جوليا أنّ النّص أكثر من مجرّد خطاب أو قول، إذ أنّه موضوع لعديد من الممارسات السّيميولوجية التي يعتدّ بها على أساس أنّها ظاهرة غير لغوية، بمعنى أنّها مكوّنة بفضل اللّغة، لكنّها غير قابلة للاختصار في مقولاتها[1].

ترى جوليا أنّ النّص يتعدّى الخطاب أو الجملة إلى ما بعد الجملة، وتعتبره ظاهرة لغوية، لكنّها غير قابلة للانحصار في مقولاتها، وتعتبر النّفس ظاهرة سيميولوجية تتداخل فيها العديد من النّصوص (Intertesctuality) أي ما يعرف بالتّناص.

2/النّص عند« هلمسلاف » :

في تعريفه للنص يقول :

"النّص هو مادّة لغوية قابلة للدرس، ويشكّل مع مفهوم الخطاب فرضية قابلة للتّحليل والدّراسة، وهذه الفرضية حسب غريماس مهمة للدّلالة على عمليات سيميائية غير لغوية"[2].

هلمسلاف يعتبر النّص مادّة لغوية يمكن دراستها وتحليلها ضمن قواعد تحليل الخطاب، ويعتبر النّص جزءا من الخطاب.

والنّص في مفهومه يحمل معاني سيميائية غير لغوية دالة في الوقت نفسه.

[1]-صلاح فضل:بلاغة الخطاب وعلم النّص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1990م، ص: 211.

[2]-ذهبية حمو الحاج:لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب، ص: 155.

3/ رومان جاكبسون:

أمّا **رومان جاكبسون** يعتبر النّص رسالة "Message" وربطه بمفهوم الجملة يعني حصره في زاوية ضيقة[1].

ربط جاكبسون النص بالرسالة من ناحية التواصل ،فالنص عنده رسالة و فقط.

ويعدّ تعريف "روبرت دي بوجراند و دريسرو" الأكثر تداولا بين الدّارسين، فالنّص حدث لغوي تتجمّع فيه المعايير السّبعة للنّصية وهي: السّبك أو التّرابط النّحوي cohesion والتّلاحم الدّلالي أو الحبك وهذان المعياران يمثّلان الرّكيزة الأساسية للنصية، والقصد أو الهدف من النّص والقبول (Acceptability)، والإخبارية (Informativity)، والتّناص (intertextuality) والمقامية(Situationality)

ومن خلال المعايير التي ضبط بها كلّ من (روبرت وديسلر) النّص، يكون النّص أعمّ وأكبر من الجملة، فالنّص عبارة عن مجموعة جمل متماسكة منسجمة متلاحمة وفق القوانين "النّحوية و السّياقية والتّناصيية..." [2].

4: مفهوم النص عند العرب:

تعريف النص عند الجرجاني: يقول الجرجاني النص "ما ازداد وضوحا على الظاهر، لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى...والنص لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل ما لا يحتمل التأويل"[3]

ويعرفه أحمد عبد الغفار:" النص الذي نجد فيه زيادة ووضوحا؛ إذ يفهم منه معنى لم يفهم من الظاهر".[1]

[1]- ينظر محمّد عبد الباسط: من الجملة إلى الخطاب قراءة في علم المناسبة، مجلّة جذور، جدّة، ع31، 2011م، ص: 70.

[2] - ينظر:المرجع نفسه ، ص70.

[3]ا- لجرجاني: التعريفات، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1991، ص251.

5/الخطابthe speech:

1.5 مفهوم الخطاب لغة:

عند ابن منظور في معجم لسان العرب:

ورد في لسان العرب لـ(ابن منظور) في مادّة (خ. ط.ب): والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وهما يتخاطبان[2]

فمفهوم الخطاب عند ابن منظور يدور حول الكلام والتخاطب.

الخطاب عند "الزّمخشري 471هـ"

خطب، خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة[3]، فمفهوم الخطاب عند الزّمخشري لا يكاد يخرج عن مفهوم الكلام مثله مثل ابن منظور.

2.5 في الاصطلاح:

أ/ عند الغرب:

منحت المقاربة المعرفية مصطلح "الخطاب" رخما مفاهيميا متنوعا، تبعا لتنوع الحقول المعرفية والاهتمامات البحثية التي مثل لها مشغلا أساسيا من: لسانية، أدبية، نقدية، فلسفية، وأدرجته في حيّز التّداول على نطاق واسع[4]. مفهوم الخطاب يرتبط بالاستعمال الفعلي للغة؛ أي استعمالها في التّواصل.

---

[1]- السيد أحمد عبد الغفار: التصوير اللغوي عند الأصوليين، مكتبة عكاظ للنشر الإسكندرية، ط1، 1981، ص144.

[2]- ابن منظور : لسان العرب ،ج1 ،ص360

[3] – الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م، ص: 435.

[4]-مرتضى جبار كاظم، اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتّفكير التّداولي عند القانوني، دار مكتبة عدنان، بغداد، ط01، 2015م، ص: 24.

1."هاريس زيليغ zellig "hariss

يعرف هاريس الخطاب على أنه "متتالية من الملفوظات منطوقة أو مكتوبة ..."[1]

يعتبر هاريس من أهم علماء الغرب الذين درسوا الخطاب ، و تحليل الخطاب بل و تعمق فيه من ناحية المفهوم ،و هناك من يرجع فضل ظهور مصطلح الخطاب ، من خلال اهتمامه بالنحو التوزيعي للجملة .فالخطاب عنده مجموعة من الكلمات سواء كانت ملفوظة أو مكتوبة ،وليس تتابع جمل

2ميشال فوكو: michel foucault

يعرف الخطاب فيقول:

"تلك الشّبكة المعقّدة من العلاقات الاجتماعية والسّياسية والثّقافية التي أعيد إدماجها في عمليات تحليل الخطاب، الذي يحمل بعدا سلطويا من المتكلّم؛ بقصد التّأثير في الملتقى مستغلا في ذلك كلّ الظّروف الاجتماعية والثّقافية، والسّياسية"[2].

وفي تعريف آخر للخطاب يقول ميشال فوكو:" نسمّي خطابا مجموعة ملفوظات تنتمي إلى نفس التّشكيل الخطابي نمط خطابي صحفي، تلفزيوني، إداري..."[3].

الخطاب عند (فوكو) هو مجموعة ملفوظات تنتمي إلى حقل خطابي أو سياسي تكون الملفوظات مناسبة للمقام الذي قيلت فيه.

3 اميل بنفنست:Émile benveniste

في تعرفه للخطاب يقول :

---

[1]-.harris zellig s,analyse du discours,traduit par dubois charlier Françoise,in langage ,n3,paris1969,p8

[2]-مرتضى جبار كاظم: اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني قراءة استكشافية للتّفكير التّداولي عند القانوني ،ص24

[3] -باتريك شاردو، ودوميك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سينترا، تونس، د.ط، 2008م، ص: 181.

"الخطاب" بأنّه كلّ تلفّظ يفترض متكلّما ومستمعا، وعند الأوّل هدف التّأثير على الثّاني بطريقة ما"[1].

مفهوم الخطاب عند (بنفنست) مرتبط بالتّلفظ، كلّ تلفظ هو خطاب شرط وجود متلقي

ومستمع؛ أي الاستعمال الفردي للغة مع التّأثير في المتلقي. "ومن ثم يميز بنفنست بين نظامين للتلفظ هما الخطاب و الحكاية التاريخية ،هذا التمييز ينشأ من كون الخطاب لا يقتصر في مفهومه على أنه وحدة لسانية مفرغة ،بل تتعالق هذه الوحدة مع الثقافة و المجتمع .

فالخطاب قوامه جملة الخطابات الشفوية المتنوعة ذات المستويات العديدة و جملة الكتابات التي تنقل خطابات شفوية أو تستعير طبيعتها و هدفها شأن المراسلات و المذكرات و المسرح و الأعمال التعليمية ، يختلف عن الحكاية التاريخية في مستويين اثنين هما الزمن و صيغ الضمائر "[2]

ب/ الخطاب عند العرب:

في القرآن الكريم:

تعدّدت صيغ الخطاب في القرآن الكريم فمرّة يأتي بصيغة الفعل كقوله تعالى:﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[3].

وبصيغة المصدر في قوله تعالى: ﴿**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**﴾[4].

وقوله تعالى عن داود عليه السّلام: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابْ** ﴾[5].

[1] –مرتضى جبار كاظم: اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني، ص: 24.

[2]–محمد الباردي:انشائيةالخطاب في الرواية العربية الحديثة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2004 ، ص 1

[3]– سّورة الفرقان ، الآية:63.

[4] – سّورة النّبأ ، الآية:37.

[5] – سّورةص، الآية:20

فقد عدّ (الرّازي) صفة فصل الخطاب من الصّفات التي أعطاها الله تعالى لداود، معتبرا إيّاها من علامات حصول قدرة الإدراك والشّعور التي يتميّز بها الإنسان عن سائر المخلوقات، بيد أنّ النّاس يختلفون في مراتب القدرة على التّعبير، فمنهم من يكون فصيحا يتمكّن من التّعبير عن ما في نفسه، ومنهم من لا يستطيع على ذلك[1].

أمّا عند النّحاة جاء على صيغة اسم مفعول، يقول (ابن يعيش) في هذا الصّدد :"والمضمرات لا لبس فيها فاستغنت عن الصّفات؛ لأنّ الأحوال المقترنة بها قد تغني عن صفات الأحوال المقترنة بها حضور المتكلّم والمخاطب والمشاهدة لهما، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم، فأعرف المضمرات المتكلّم؛ لأنّه لا يوهمك غيره ثمّ المخاطب والمخاطب تلو المتكلّم في الحضور والمشاهدة[2].

1- عند الجاحظ 255هـ:

ورد لفظ الخطاب في عدة مواضع من كتاب البيان و التبيين فالجاحظ أعطى أهمية كبيرة للخطاب و مميزات الخطيب و ما إلا ذلك يقول الجاحظ :"و في الخطباء من يكون شاعرا و يكون إذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا و ربما كان خطيبا فقط و بين اللسان فقط و من يجمع الشعر و الخطابة قليل ...و من الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الأسدي و كنيته أبو المستهل "[3]

الخطاب الذي يتحدث عنه الجاحظ هو الخطاب البليغ يربطه بالبلاغة و الشعر و الفصاحة

و في تمييزه بين ماهو خطاب عادي و بين ماهو منطق يقول :

[1] – ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط:01، 2004، ص: 35.

[2] –المرجع نفسه ، ص: 35.

[3]– الجاحظ، البيان و التبيين ،تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة ،ص45

"و لليونان فلسفة و صناعة المنطق و كان صاحب المنطق نفسه بَكّى اللسان غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام و تفصيله و معانيه و بخصائصه و هم يزعمون أن جالينوس كان أنطق الناس و لم يذكروه بالخطابة و لا بهذا الجنس من البلاغة "[1]

2- عند الآمدي 631هـ

يقول الخطاب هو: "اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه "[2]

وهكذا اختلفت التّعريفات لمفهوم الخطاب باختلاف العلماء، و وجهت نظرهم وتخصّصاتهم، لكن يبقى المفهوم العام يدور حول الكلام

3-. عند الزمخشري 538هـ:

"ألين من الكلام، الملخص، الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه "[3]

يقصد الزمخشري من القول الكلام الفصيح البليغ.الذي يفهم من الوهلة الأولى

4-ابن العربي638هـ

فتعريفه للخطاب من وجهة نظر شرعية يربطه بالأحكام والقوانين الشرعية يقول:

"وفصل الخطاب الفصاحة المبينة للأحكام، أي الحكمة النظرية والعلمية والشرعية، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالأحكام"[4]

6/ السّياق (Context):

[1]- الجاحظ، البيان و التبيين ، ج3 ، ص 27

[2]- الآمدي:الإحكام في أصول الأحكام، دار ابن حزم، ط1، د ت، ص18.

[3]-الزمخشري: الكشاف، دار الفكر، بيروت، ط1، 1977، ص90.

[4]_ ابن العربي :تفسير القرآن الكريم ،تح مصطفى غالب ،دار الأندلس للنشر ،بيروت ،ط2، 1978 ،ص349

كان السّياق محور اهتمام علم اللّغة بصفة عامة، ومن أهم المدارس التي اهتمّت بالسّياق مدرسة (فيرث) حديثا، مع التّأكيد أنّ هذا الاهتمام بالسّياق ودوره في توضيح المعنى لم يكن وليدا للمدارس الحديثة وحدها، بل اهتم به علماء العربية بداية من "سيبويه"، و"ابن جني"، و "الجاحظ "وغيرهم[1].

لم يكن السّياق وليد الدّراسات اللّسانية التّداولية الحديثة، بل هو قديم ظهر عند علماء العرب أمثال (الجاحظ) الذي يقول:" لكلّ مقام مقال".

يقول الجاحظ :

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني على أقدار المقامات ، و أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[2]

يتضح من خلال القول أن الجاحظ " قابل بين الحال و المقام ، و طبيعة المقابلة تقتضي طرفين مختلفين فالحال غير المقام ، و من جهة أخرى ربط بين الطبقة و الكلام عند معالجة فكرتي الحال و المقام ،فالكلام يرتبط بطبقات السامع أي مقامه الاجتماعي "[3]

الجاحظ من خلال تعريفه للمقام يؤكد على ضرورة معرفة المعنى على قدر معرفة المقام و أقدار المستمعين فالكلام طبقات و الناس أنفسهم طبقات

ويعدّ مالينوفسكي أوّل من أخرج مصطلح السّياق إلى السّاحة العلمية، فالسّياق هو:

"تلك الأجزاء من الخطاب التي تحف بالكلمة في المقطع، وتساعد في الكشف في معناها"[1]. المقصود من التّعريف هو أنّ السّياق جزء لا يتجزّأ من الخطاب، بل من الكلمة في حدّ ذاتها والسّياق يراعي جميع المناحي اللّغوية من معجم وصوت دلالة...

[1] – ينظر إبراهيم الصّبحي الفقهي: علم لغة النّص بين النّظرية والتّطبيق، دار قباء، القاهرة، ط01، ج:01، ص: 105.

[2]– الجاحظ ، البيان و التبيين ،ج 1 ، ص138

[3]– موهوب أحمد :المقام او السياق بين المفهوم العلربي و الغربي و دوره في فهم مقاصد الخطاب القرآني مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ،عد22 ص 113

من تعاريف السّياق أيضا نجد أنّه:

"مجموعة الظّروف التي تحف حدوث فعل التّلفظ بمواقف الكلام... وتسمّى هذه الظّروف في بعض الأحيان بالسّياق **Context**"[2].

يتضح من خلال القول أن مفهوم السياق هو الظروف و الأحوال الخارجية التي تحيط بالرسالة

و في تعريف آخر :"اذ يعني مصطلح السياق التركيب أو السياق الذي ترد فيه الكلمة ،و يسهم في تحديد المعنى المتصور لها "[3]

وعرّفته التّداولية بأنّه:

" الدّراسة العامّة لكيفية تأثير السّياق في الطّريقة التي تفسّر بها الجمل، ويقصد بالسّياق في مثل هذه المواضيع معناه الواسع الذي يشمل علاوة على ملابسات الموقف، كلّ ما له تأثير في الحدث اللّغوي من عوامل حالية أو ماضوية"[4].

يعتبر السّياق من أهم العناصر التي تقوم عليها التّداولية، ولا نستطيع تفسير النّصوص دون الرّجوع إلى السّياق الدّاخلي والخارجي؛ أي العوامل الخارجية للحدث.

وهناك من يلتبس عليه الأمر بين "السّياق" و "المقام" وهذا الالتباس ممتدّ بين زمنين وثقافتين،فقد شاع المقام عند العرب قديما عندما استعملوه في الدّراسات البلاغية في مقابل عند الغربيين المحدثين مصطلح السّياق، وإذا نظرنا إلى كلّ منهما فإنّنا نجد فروقا بين ما كان يقصده البلاغيون العرب، وما يقصده التّداوليون في البحث اللّغوي الحديث[5].

---

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، ص: 40.

[2] - المرجع نفسه، ص: 41.

[3] -سامي عياد حنا :كريم زكي حسام الدين ، نجيب جريس ، معجم اللسانيات الحديثة ، ص 28

[4]-فضاء ذياب غليم الحسناوي: الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط:01، 2016م، ص31.

[5] -ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب ص: 41.

6 .1الفرق بين المقام والسّياق:

من أهم الفروق التي تفصل بين "المقام" و"السّياق" في نظر تمّام حسّان هو معرفة ما تنطوي عليه الثّقافة ثقافة المجتمعات التي يرتبط فيها الكثير من المواقف بالاستعمال اللّغوي، ممّا يجد من إخضاع المقام للمعيارية التي تلتصق بتعريفات البلاغيين العرب، وذلك في قوله لقد فهم البلاغيون العرب "المقام" أو "مقتضى الحال" فهم سكونيا نمطيا مجرّدا، ثمّ قالوا: لكلّ مقام مقال... فهذه المقامات نماذج مجرّدة وأطر عامّة، وأحوال ساكنة ...وبهذا يصبح المقام عند البلاغيين سكوني (Static) فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا، وإنّما هو جملة الموقف المتحرّك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلّم جزءا منه، كما يعتبر السّامع والكلام نفسه وغير ذلك ممّا له اتّصال بالمتكلّم "Speach avents"[1].

أبرز فرق بين السياق و المقام يتمثل في :

-المقام يهتم بالظروف و القرائن الخارجية التي قيل فيها الخطاب

-أما السياق فيتعلق بالمعنى السياقي ،فالسياق يهتم بالأشخاص و سلوكهم، و الأفعال والأقوال ...و هذا ما يوضحه سياق الحال

6 .2السياق في الثقافة الإسلامية :

إن النص القرآني نص مقدس ليس كباقي النصوص الأدبية الأخرى "و دراسة قضية من قضايا البلاغة العربية أو البلاغة الجديدة و إبراز دورها في فهم مقاصد القرآن الكريم ، يقتضي البحث و التنقيب على كل نقطة لها علاقة مباشرة و غير مباشرة بالمقام قبل و أثناء و بعد نزول القرآن الكريم ...فيمكن النظر إلى المقام أو السياق القرآني و دوره في إبراز معناه من عدة زوايا ، الداخلية منها و الخارجية "[2].

[1] -فطومة لحمادي ،السياق و النص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ،مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،بسكرة، جوان 2008،عدد32

[2]-موهوب أحمد :المقام أو السياق بين المفهوم العربي و الغربي و دوره في فهم مقاصد الخطاب القرآن ،ص123

تفسير القرآن من الناحية الداخلية أي علاقة السور و الآيات ببعضها "فالنص القرآني يمتاز عن بقية النصوص كونه نصا متداخلة في إطار السورة الواحدة ،كما يقدم نفسه بوصفه نصا واحدا في إطار السور المتعددة ، و إن المعنى ليتعدد في بنائه نموذجا بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة كما أنه على العكس من ذلك ،يرتد إلى بؤرة دلالية واحدة في إطار السور المتعددة ، هي بؤرة التوحيد "[1].

أما الظروف الخارجية مرتبطة بالسياق بكل أنواعه هي" السياق اللغوي و الثقافي و الاجتماعي لعصر القرآن و نزوله ، من خلال المرجعيات الثقافية و الدينية و الاجتماعية أو السياسية للعرب قبل الإسلام ، و أثناء مرحلة النزول التي استمرت أكثر من عشرين عاما في مكة و المدينة ، نزل القرآن الكريم بمقاصد تتفاعل مع السياق الخارجي ،فهو عبارة عن وصل بينه و بين سياق الثقافة العربية بمكوناتها المتعددة ، أي بين لحظة نزوله و ما زامنها من مرجعيات ثقافية و لغوية ، فنجده يتميز بصلته مع عمق و جذور الثقافة العربية "[2].

6. 3أنواع السياق

1- في علم الدلالة :

يعرف مختار عمر السياق :"هو القرائن المساعدة في فهم المعنى ،منها لفظية ، و منها مقامية و عليه يتنوع السياق إلى قسمين رئيسيين ، هما اللفظي و المقامي"[3]

أ_السياق اللفظي :

" ويقصد به النظم اللفظي للكلمة ، و موقعها منه ،و يشمل الكلمات و الجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة للكلمة ، و النص الذي توجد فيه ؛فهو السياق الذي توجد فيه اللفظة في الجملة

[1]-منذر عياشي : اللسانيات و دلالة الكلمة مركز الإنماء الحضاري ،حلب ،ط1 ،1996،ص 97

[2]-موهوب أحمد :المقام أو السياق ،ص123

[3]-مختار عمر :علم الدلالة ص 69

، فتكتسب من السياق توجيها دلاليا و قد تأتي في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى ."[1] أي علاقة الكلمات ببعضها البعض داخل السياق الواحد ، علاقة الكلمة بجارتها السابقة و اللاحقة و كذا الجملة الواحدة لكن إن خرجت عن هذا التركيب تكتسب معنا دلاليا آخر

ب_ **السياق المقامي:**

"يسمى أيضا بسياق الموقف ، أو سياق الحال ،أو الخارجي عن النص ، ويقصد به السياق الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة ، ويشمل كل ما يحيط باللفظة من عناصر غير لغوية تتصل بالعصر أو نوع القول ، أو جنسه ،أو المتكلم ، أو المخاطب ، أو الإيماءات التي تعطي للفظة دلالتها"[2]

يعتبر السياق المقامي أهم عنصر في التحليل التداولي لأنه يهتم بكل صغيرة و كبيرة ، حيث نجده يراعي جميع الأحوال سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو مادية ، ويساهم السياق في فهم العديد من المعاني و تحديدها حسب الظروف التي وردت فيها و هذا ما يؤكده "هايمز" يقول :" إن استعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني و بإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني ،فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق و التي لم تشر إليها تلك الصيغة التي لا يتحملها السياق "[3]

يعتبر" بريت Parret"أنّ تصنيف السّياق هو أيسر الطّرق لتصنيف التّداولية إلى عدّة أنواع، ونتج عن ذلك خمسة أنواع من السّياق وهي كالتّالي[4]:

2 /سياق النّص co- text as context:

---

[1]- سامح عبد السلام محمد :أقسام السياق في الدلالة ،اطلعت عليه 25،10،2020عل www.aloukah.net. 14:06

[2]- المرجع نفسه، نفس اليوم

[3]- ج،ب ،براون ،ج ، يول ، تحليل الخطاب ،تح محمد لطفي الزليطي ، منير التركي ، جامعة الملك سعود ،1997 ، ص

[4] -ينظرعبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط02، 2015م، ص: 79.

لم يتجاوز النّحويون في التّركيب حدّ الجملة في تحليلاتهم من البنيويين والتّوزيعيين حتّى النّحو التّحويلي عند "تشومسكي" ومن بعده، فحين قدّم نحو النّص وتحليل الخطاب بعض الآليات لتحليل الوحدات اللّغوية الكبرى مثل العبارة، أجزاء الخطاب في المحادثات، المحاورة وكذلك النّماذج الحجاجية في بعض نماذج الخطاب مثل الخطاب السّياسي لقد كشفوا عن علاقات تتجاوز الإحالة بين الجمل مثلا؛ فأعادوا بناء تماسك النّص؛ بوصفه نظاما أكبر من النّحو؛ ليمكّن المرسل إليه من اكتشاف دلالة هذه الوحدات الكبرى، ولكنّه يبدو أنّه من الصّعب تفسير التّماسك النّصي كصنف نحوي صرف، وعليه فمن المهم النّظر إليه من خلال علاقته بالإجراءات الاجتماعية النّفسية[1].

3/ السّياق الوجودي (Context Escistential):

يهتم هذا الأخير بالوجود (عالم الأشياء، حالتها، الأحداث) والتي ترجع إليها التّغييرات اللّغوية، ويتم الانتقال من الدّلالة إلى التّداولية حلما يدرك أنّ المرسل والمرسل إليه، وكذلك موقعهم الزّماني والمكاني هي مؤشّرات للسياق الوجودي[2].

4/**سياق الموقف** : فيعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة مثال استعمال كلمة (يرحم) في مقام تشميت العاطس [3]

5/سياق الفعل (ActionalContext): "تعدّ الأفعال اللّغوية أصنافا جزئية من السّياق المقامي، ويرى أوستن أنّ التّسلسلات اللّغوية تعبّر عن أفعال، بل هي الأفعال نفسها كما يؤكّد أوستن على دور العرف الاجتماعي؛ أي التّعاقدي لإنتاج اللّغة من قبل المرسل في المجتمع "[4].

[1] –ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص:80.

[2] –ينظر المرجع نفسه ، ص:80.

[3] –أحمد مختار عمر ،علم الدلالة ، ص71

[4] –ينظر المرجع السابق ص:81.

يتعلق سياق الفعل بمجموعة التصرفات و الأفعال التي يقوم بها المرسل من خلال إنتاجه للغة

6/عناصر السّياق:

للسّياق عناصر مختلفة ومتعدّدة نذكر منها ما يلي[1]:

المرسل: وهو الذّات المحورية في إنتاج الخطاب هو العنصر الأساسي في عملية التّواصل

أمّا العنصر الثّاني هو **المرسل إليه:** وهو الطّرف الآخر الذي يوجّه إليه المرسل خطابه عمدا.

العناصر المشتركة: وهي العلاقة المشتركة القائمة بين عناصر الخطاب والتي تعدّ من أبرز العناصر التي تؤثّر في تحديد إستراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها.

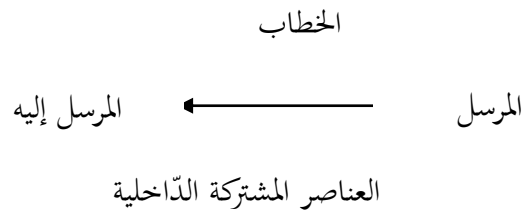

.مخطّط يمثّل عناصر الخطاب

7/ إستراتيجية الخطاب:

إنّ تنوع السّياق وتباين آثار عناصره على تشكيل الخطاب باختلاف السّياق، وهذا التّباين ينعكس على تكوين الخطاب عندما ينتجه المرسل ممّا يدفع إلى تنوّع في أشكال الخطابات لغويا وهذا

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب ، ص:83.

التّنوع حدث عبر مساق ممتد بين التّنوع السّياقي والتّشكيل اللّغوي، وهذه العملية توسم بأنّها إستراتيجية الخطاب[1]

1.7.مفهوم الإستراتيجية:stratégie

تعرف الإستراتيجية في المفهوم العام بأنّها:

"طرائق محدّدة لتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معيّنة أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محدّدة والتّحكم بها"[2].

إذا من خلال التّعريف يتّضح أنّ الإستراتيجية هي خطة عمل، أو بحث محكمة بإتقان لها أسس وقوانين معيّنة. والإستراتيجية هي أساس كلّ بحث وعمل، فالطالب له إستراتيجية والأستاذ كذلك والعسكري، والإداري...كلّ عمل تضبطه قوانين محكمة تندرج تحت إطار الإستراتيجية.

يقول طه عبد الرحمان :" إن الطريق إلى حقائق التخاطب صار مفتوحا و أخذ يسلكه كل من اقتنع بأن التخاطب فيه ما ليس لغيره ، من شعب اللغة ، ففيه التبليغ ، و تبليغه تنشأ فيه المعاني المشتركة بين ذوات مختلفة ، و فيه التدليل و تدليله يجعل من كل قول دليلا على مدلول يطلبه الغير في أنفسه أو في أفقه ، أو في التوجيه و توجيهه بث في الأقوال ، فيما تستنهض همة الغير للعمل ، فيكون كل أصل في اللغة الإنسانية أصلا تبليغيا تدليليا توجيهيا، و لو كان لفضا واحدا لغير فقد يقدر في الذهن ماليس له تحقق في العين "[3]

2.7.مفهوم إستراتيجية تحليل الخطاب:

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب ص90.

[2] –حمدي منصور جودي : بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع، أطروحة دكتوراه، إشراف محمّد خان، جامعة بسكرة، 2016م، ص34.

[3]– طه عبد الرحمان : في أصول الحوار و تحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000،ص 27

"هي عبارة عن المسلك المناسب الذي يتّخذه المرسل للتلفظ بخطابه من أجل تنفيذ إرادته، والتّعبير عن مقاصده التي تؤدّي إلى تحقيق أهدافه من خلال استعمال العلامات اللّغوية والغير لغوية وفقا لما يقتضيه سياق التّلفظ بعناصره المتنوعة، ويستحسنه المرسل"[1].

كذلك هي :"الاختيارات الممكنة التي يتوخاها المتكلمون ليقوموا بعمل إخراج اللغة "[2]

الإستراتيجية في مفهوم تحليل الخطاب هي الطّريق الذي يتّخذه المرسل للتلفظ بخطابه (الرّسالة) وفق معايير معيّنة مع مراعاة العلامات اللّغوية وغير لغوية مع ما يقتضيه السّياق من أجل إنجاح عملية التّواصل، وهذا لا يتم إلّا بقدرة المتكلّم وامتلاكه "لكفاءة لغوية، وتسمّى هذه الكفاءة "بالكفاءة التّداولية"[3].

"تعدّ الكفاءة التّداولية مكوّنا فاعلا ضمن تكوين الإنسان السّوي تماما، كما هي كفاءته اللّغوية بيد أنّ الكفاءة التّداولية ليست نسقا بسيطا، بل هي أنساق متعدّدة متآلفة إذ تتألف القدرة التّواصلية لدى مستعمل اللّغة الطّبيعية من خمس ملكات على الأقلّ وهي: الملكة اللّغوية، الملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية، والملكة الاجتماعية"[4].

لابد من توفر الملكة اللّغوية في الإنسان السّوي من أجل بناء سليم لعملية التّواصل، فالكفاءة التّداولية تنقسم بدورها إلى عدّة ملكات.

3.7. إستراتيجية الخطاب والمستويات اللّغوية:

[1] –عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب، ص91.

[2] باتريك شارودو و دومنيك منغنو معجم تحليل الخطاب ،تر عبد القاهر مهيري و حمادي صمود ، دار سيتارز ، ط1 ،2008 ص533

[3] –ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب ، ص91.

[4] –ينظر المرجع نفسه، ص95.

ممّا لاشكّ فيه أنّ الخطاب ظاهرة لغوية متكوّن من مبنى ومعنى "ليدخل في إطار التّواصل اللّغوي، وما له من قرابة بوحدات النّحو والصّرف والبلاغة أو أوجه الانتقال من الدّال إلى المدلول إلى العلامة"[1].

وكل مستوى لغوي له دور في بناء الخطاب، وعليه فما هي مستويات اللّغة التي تضبط الخطاب ؟

1المستوى الصوتي :

أعطى علماء اللغة العربية أهمية كبيرة للصوت "و كان الخليل بن أحمد هو رائد الأبحاث الصوتية ، فقد رتَّب الحروف ، و بين مواطن إخراجها ، و تحدث عن صفاتها و مخارجها "[2]

وهو "المستوى الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية ؛من حيث مخارجها و صفاتها ، وكيفية النطق بها "[3] يهتم المستوى الصوتي بالكلمة ،و مخارج الحروف

2.المستوى الصّرفي:

يهتم المستوى الصرفي ببنية الكلمة "و يتوفر علم الصرف على تبيان تأليف الكلمة المفردة بتبيان وزنها و عدد حروفها ، و حركاتها و ترتيبها ، وما يعترض لذلك من تغيير أو حذفٍ ، و ما حروف الكلمة من أصالة و زيادة "[4]المستوى الصرفي يتعلق بتبيان تأليف الكلمة من ناحية الوزن و عدد الحروف و الحركة و الجذر اللغوي

"قد توجد الصّيغة الافتراضية في المستوى الصّرفي، إذا انتمت مجموعة من الصّيغ إلى سلمية متدرّجة للدّلالة على معنى جذر لغوي واحد مثل صيغ المبالغة التي تدلّ في الأصل على الفاعل

[1] –ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب ، ص109.

[2]– خلف عودة القيسي ، الوجيز في مستويات اللغة ،عمان ، دار يافا العلمية ، 2010،ص15

[3] – المرجع نفسه ،ص15

[4]–عبد الهادي الفضلي ، مختصر الصرف ، دار القلم ، بيروت ،ص7

المصاغ من الفعل الثّلاثي، فتندرج هذه الصّيغ الدّالة بالاشتقاق من الفعل (نحر) بأوزان معروفة لتصبح (ناحر، نحّار، نحور، منحار، نحير، نحِر) "[1].

3المستوى المعجمي:

أمّا في المستوى المعجمي فإنّ المرسل يعمد إلى الاختيار من خلال انتقاء كلمات ذات دلالة متراتبة ضمن سلمية تعبّر عن درجات المعنى العام الواحد؛ أي بالانتقاء الدّقيق ممّا يصطلح عليه بالمترادفات، وكذلك بانتقاء بعض الأدوات ذات البعد التّداولي مثل الإشارايات[2].

4المستوى التّركيبي:

يأخذ الدّرس التّداولي منطق تركيب الخطاب المنجز بعين الاعتبار انطلاقا من معرفة تراكيب اللّغة المجرّدة إذ لم يحدث إلّا في حالة استثنائية؛ أيّ التّركيب قد تغيّر بدون أن يطرأ أيّ تغيّر على الدّلالة، ويعدّ المستوى التّركيبي من أنسب المستويات اللّغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز إستراتيجية الخطاب تداوليا[3].

4. مستوى التّنغيم:

وقد يجسّد المرسل إستراتيجية الخطاب تداوليا في مستوى التّنغيم مثلا، إذ يعدّ النّبر أحد الفونيمات فإذا كان النّبر على الكلمات في الجملة أو على كلمة واحدة في الجملة لإظهارها على بقية كلمات الجملة، فإنّ ذلك يكون نبرا سياقيا دلاليا نسمّيه التّنغيم، ولا يكون التّنغيم في الجمل إلّا المعنى، مثال حضر الشّيخ، في هذا المثال نبر كلمة الشّيخ فالمخاطب يركّز اهتمامه على الشّيخ لذلك أُستعمل التّنبير من أجل لفت انتباه السّامع. [4]

[1] – عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب ، ص: 111.

[2] –ينظر: المرجع نفسه ،ص: 111.

[3] – المرجع نفسه ص: 112.

[4] – المرجع نفسه ،ص: 113.

و للتنغيم أهمية كبيرة في لفتِ الانتباه من ذالك قول عباس حسن :" النبر على الكلمات في الجملة أو على كلمة واحدة في الجملة لإظهارها على بقية كلمات الجملة ، فإن ذلك يكون نبرا سياقيا دلاليا نسميه التنغيم ، و لا يكون التنغيم في الجمل إلا لمعنى "[1]

المستويات اللّغوية تساعد في تحليل الخطاب مثل مستوى التّركيب فهو يعنى بـــ(التّقديم والتّأخير نظام الجملة البناء وما إلى ذلك...) مستوى الصّوت، مستوى المعجم، مستوى الصّرف...فكلّ هذه المستويات تساعد في فهم الخطاب مع مراعاة السّياق[2].

8/ أنواع الاستراتيجيات:

هناك عوامل تؤثّر على المرسل في اختيار إستراتيجية الخطاب، من حيث اعتبار علاقته مع غيره وهذان العاملان هما:

– "العلاقة السّابقة بينه وبين المرسل إليه، قد تندرج من الحميمية إلى الانعدام التّام، ويسعى المرسل في هذه الحالة إلى تعويضها من خلال إيجادها بالخطاب.

– السّلطة فقد يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الطّرف الآخر، عندما يعلو الآخر درجة وقد لا يمتلكها أي منهما عندما تتساوى درجتهما أو هندما لا يربطهما أي علاقة.

وينبني تحديد إستراتيجية الخطاب اجتماعيا على هذين العاملين بشكل عام، وهو مرد تصنيف (ليتش) للعلاقات بين النّاس إلى صنفين: الصّنف العمودي ومحوره السّلطة والصّنف الأفقي الذي يتحدّد على أساسه ما يسمّى معيار التّضامنية كبعد اجتماعي"[3].

---

[1]–أحمد المتوكل ،قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، الرباط،1995،ص238

[2]–المرجع نفسه، ص،113

[3] –ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمان،ج:02، ط01، 2015م، ص: 07.

1/8الإستراتيجية التّضامنية:

.مفهوم الإستراتيجية التّضامنية:

هي الإستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسّد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينها، وإجمالا هي محاولة التّقرب من المرسل إليه، وتقريبه[1].

تسعى الإستراتيجية التّضامنية جاهدة في كسب المرسل إليه، وإزالة جميع الفروق بينه وبين المرسل.

تسعى إلى تبسيط العلاقة بين طرفي الخطاب، وكسب الطّرف الآخر أي المرسل إليه من أجل نجاح عملية التّواصل.

"و نجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصا على أن يحفظ عرى التواصل ، حتى يجلب أقصى ما يكمن من عاجل المنفعة لنفسه و لمخاطبه فيجهد في التوسل بما يجلب اقبال المخاطب على سماعه و فهم مراده و تقلبه بالقبول طمعا في أن يبادله نفس الحرص على التواصل و على الوصول الى المنفعة المشتركة "[2]

2/8.عناصر الإستراتيجية التّضامنية:

لا تقوم الإستراتيجية التّضامنية لوحدها بل هناك عدّة عناصر مشتركة في ذلك منها[3]:

1. مدى التّشابه/ الاختلاف الاجتماعي "الطّالب/الأستاذ"
2. مدى تكرار الاتّصال "الموظف/المدير".
3. مدى امتداد المعرفة الشّخصية "الزّوج/الزّوجة"
4. درجة التّآلف، أو كيفية معرفة طرفي الخطاب لكلّ منهم.
5. مدى الشّعور بتطابق المزاج أو الهدف أو التّفكير.

[1] –عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب،ص:08.

[2] طه عبد الرحمان ،/اللسان و الميزان،ص223

[3] –عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص: 10.

تجتمع هذه العناصر في عنصر واحد وهو الإستراتيجية التّضامنية من أجل إنشاء خطاب معيّن قصد التّأثير في الملتقى مع مراعاة بعض الجوانب من بينها "الاحترام، حسن صياغة الخطاب، كسب مودّة النّاس".[1]

إنّ التّأدّب والتّحلّي بالأخلاق الحسنة واحترام النّاس أكبر هدف تريد الوصول إليه الإستراتيجية التّضامنية.

3.8. الإستراتيجية التّوجيهية:

الإستراتيجية التّوجيهية تستعمل هذه الأخيرة في التّوجيه والإرشاد، فعناك عدّة توجيهات في تسيير الخطاب منها:

"التي تنص على تعليمات التّوجيه للمرسل إليه المفترض انطلاقا من أنّ خصائصه معروفة مسبقا من خلال المعرفة المسبقة بخصائص العالم المحيط بطرفي الخطاب مثال: تعليمات ارتياد المسبح، أو تعليمات غسيل الملابس...

أمّا الصّنف الثّاني يكون المرسل إليه حاضرا عند التّلفظ بالخطاب، فإنّ التّوجيه قد يختصّ به دون غيره[2]، مثال: توجيه الأستاذ للتّلميذ على فعل شيء معيّن، فهو بذلك يخصّص القيام بالفعل لغوي و هذا الفعل هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري . وفضلا عن ذلك يعد نشاطا هاديا نحويا يتوسل بأفعال قولية إلى تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب و الأمر و الوعيد...)و غاية تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض و القبول) .و من ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا ، أي يطمح الى أن يكون ذا تأثير في المخاطب ، إجتماعيا أو مؤسساتيا ، و من ثم إنجاز شيء ما "[3]

4.8. مؤهّلات استعمال الإستراتيجية التّوجيهية:

[1]- ينظر عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب ،ص83

[2] - المرجع نفسه ،ص: 84.

[3]مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ،ص 54- 55

هناك عدد من المسوّغات التي ترجع استعمال الإستراتيجية التّوجيهية دون غيرها وهي[1]:

1. عدم التّشابه في عدد من السّمات مثل السّمة المعرفية: الطّالب والأستاذ.
2. عدم وجود تكرار في الاتّصال بين طرفي الخطاب، إذ تنحصر اللّقاءات في اللّقاءات الرّسمية التي يؤطّرها جوّ العمل مثلا.
3. تهميش ما قد يحدثه استعمال هذه الإستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه.

5/8الإستراتيجية التّلميحية:

"الإستراتيجية التّلميحية هي التي يعبّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، أو هي الإستراتيجية التي ينجز بها المرسل أكثر ممّا يقوله، فيتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي لخطابه، أو أن يعبّر عن قصده بغير ما يقف عنده اللّفظ مستثمرا في ذلك عناصر السّياق" [2].

هدف هذه الإستراتيجية هو التّعبير بصفة غير مباشرة مثال:

قولنا التقيت البحر، لا يعني هذا أنّني التقيت البحر، بل التقيت رجلا كريما مثل البحر

6/8. إستراتيجية الإقناع:

يحاول المرسل من خلال هذه الإستراتيجية إقناع المتلقّي ومحاججته وتقديم الأدلة والبراهين من أجل الإطاحة به وكسبه.

"وتستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النّفعية بالرّغم من تفاوتها تبعا لتفاوت مجالات الخطاب أو حقول"[3].

مثال عن إستراتيجية الإقناع:

---

[1]– عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب ، ص: 84.

[2] – المرجع نفسه ،ص: 136.

[3] –المرجع نفسه ، ص: 220.

هناك العديد من المترشّحين للرئاسة يستعملون عدّة خطابات دالّة هادفة تتكوّن هذه الأخيرة من حجج "سياسية، اجتماعية، ثقافية..." من أجل كسب المواطن وإقناعه.المرسل في إنتاج خطابه يعتمد على بعض الآليات الحجاجية من أجل التأثير في المرسل إليه من ناحية الإيجاب أو السلب أو إقناعه حول قضية ما ، وهنا تصبح إستراتيجية الإقناع وسيلة من أجل الإقناع و الوصول إلى الهدف " إن الحجاج جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعوة مدعوة بالتبريرات ، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا ،قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه و التأثير في موقفه و سلوكه اتجاه تلك القضية "[1]

من خلال ما سبق نستخلص أنّ لسانيات الجملة "تحليل الجملة" يبدو قاصرا إمّا على الشّكل البنيوي للكلمة أو على مستوى إدخال المعنى لأنّنا نقف عاجزين على إدراكه، وبالتّالي وجب علينا إدراك سياقاته ومقاماته وحالاته التي تتحكّم في الخطاب"[2].

فما هذه النّظرية التي تدعو إلى هذا التّحليل ؟

[1]-محمد العبد ، النص الحجاجي العربي – دراسة في الوسائل و الإقناع – مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر ،صيف ،خريف 2002عدد60 ،ص 44

[2] -ينظر جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النّص، شبكة الألوكة، ط01، 2015م، ص: 29.

الفصل الأوّل: التّداولية النّظرية والمفهوم.

*المبحث الأول:تحديد المفاهيم الأولية للتداولية

*المبحث الثاني :نشأة التداولية

*المبحث الثالث:البحث التداولي عند العرب

*المبحث الرابع :مباحث التداولية

لم يعد التّياران البنيوي والتّوليدي في أيامنا هما التّيارين الوحيدين الذين يهيمنان على سّاحة الدراسات اللّغوية فقد ظهرت اتّجاهات لسانية أخرى حديثة، اهتمّت بالعناصر التي أهملتها وهمّشتها كلّ من البنيوية والتّوليدية منها، "الدّلالة، السّياق الخارجي، أو ما يحيط بالخطاب، و تعد التّداولية ردّ فعل مضاد لتعصب البنيوية وإعادة الاعتبار للسّياق والظّروف الخارجية[1].

1.مفهوم التّداولية: (Pragmatics)

1.1 التّعريف اللّغوي:

- **في المعاجم العربية:**

ورد في معجم مقاييس اللّغة في مادّة "د، و، ل" الدّال والواو واللّام أصلان أحدهما يدلّ على تحوّل شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدلّ على ضعف واسترخاء.

فقال أهل اللّغة: أندال القوم إذا تحوّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشّيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض و الدَّوله، والدُّولة لغتان ويقال بل الدُّولة في المال والدَّوله في الحرب، وإنّما سميا ذلك من قياس الباب، لأنّه أمر يتداولونه، فيتحوّل من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا[2].

وفي معجم لسان العرب في مادّة "د. و.ل"، ودالت الأيام؛ أي دارت والله يداولها بين النّاس، وتداولته الأيدي، أخذته هذه مرّة وهذه مرّة[3].

وجاء في أساس البلاغة:"دالت له الدّولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوّهم جعل الكرة لهم عليه.

وعن الحجاج: إنّ الأرض ستدال منّا كما أدلنا منها.

---

[1] –ينظر: مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار التّنوير، الجزائر، ط01، 2008م، ص: 03.

[2] –ابن فارس: معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، ج:02، ص: 314.

[3] –ابن منظور :لسان العرب ،(د،و،ل)،ص146

والله يداول الأيّام بين النّاس مرّة لهم ومرّة عليهم، وتداولوا الشّيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما[1].

تكاد تجمع جلّ المعاجم العربية على أنّ الجذر اللّغوي للتداولية هو الفعل "دول" ولا تكاد تختلف عن معناه "التّداول" أخذ مرّة بمرّة مع التّوالي.

1.2في المعاجم الغربية:

تعدّدت المصطلحات الأجنبية التي عرفت بها التّداولية فنجد:

التّداوليات (**Pragmatics**)، والصّفة منه (**Pragmatic**)، مشتقان من اللّفظ اللّاتيني (**Pragmaticus**)، واللّفظ اليوناني (**Pragma**) بمعنى عملي أو تطبيقي[2].

أمّا في الإنجليزية فإنّ كلمة (**Pragmat**)

تدلّ في الغالب على ما له علاقة بما يقتضيه هذا الحقل.

أمّا بالفرنسية (**La pragmatique**) فيحمل معنيان أساسيان هما محسوس وملائم للحقيقة

المصطلحات الأجنبية[3]:

المصطلح الإنجليزي: **(Pragmatics)**

المصطلح الفرنسي: **(pragmatique)**

المصطلح الفرنسي: **(pragmatisme)**

المصطلح الأمريكي: **(Pragmatism)**

---

[1] الزّمخشري: أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، ج:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م ص:303. -.

[2] خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي، الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب الحديث، ط01 2016م، ص: 14-الزّمخشري: أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، ج:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م ص:303.

[3]- المرجع نفسه، ص: 15.

جاء في كتاب اللّسانيات التّداولية "التّداولية هي فرع من فروع اللّسانيات التي تتعامل مع اللّغة المستخدمة وتعطي أهمية كبيرة للسّياق"[1].

ورد في معجم "تحليل الخطاب":

"التّداولية دراسة استعمال اللّغة في مقابل دراسة النّسق اللّغوي"[2].

اختلفت التّعريفات الاصطلاحية للتّداولية باختلاف الاتّجاهات والدّراسات؛ وهذا الاختلاف راجع لعدّة عوامل نذكر منها مايلي:

"1. حداثة المصطلح في السّاحة العلمية اللّسانية.

2.وجود اتّجاهات عديدة يصعب معها الوصول إلى صيغة موحّدة للتّعريف.

3.اعتبار التّداولية نهر يتغذّى على روافد نظرية مختلفة ومتنوّعة كالمنطق، واللّسانيات العامّة، والذّرائعية و السّوسيو لسانيات"[3].

وبالرّغم من تواتر استعمال لفظ "التّداول" قديما وحديثا إلّا أنّ الدّلالة الاصطلاحية تأخّرت في المعاجم اللّسانية الغربية إلى بدايات القرن العشرين[4].

ويعدّ (شارل موريس) أوّل من استعمل التعريف الاصطلاحي للتّداولية حين قال:" دراسة السّيميوزيس أو سيرورة التّدليل (Sémiosis) لها ثلاثة مستويات هي: التّركيب، والدّلالة، والتّداولية، وأوضح أنّ هذه الأخيرة أي التّداولية تبحث في العلاقة ومؤيّليها"[5].

---

[1]-.Voir j.c Elements de linguistique et de pragmatique pour la compression Automatique Du langage= du signe au sens clips communication langagiere et interaction personne _ Systéme fédération image ,B P53-38041,Grenoble cedex 9- France ,P :27.

[2] -باتريك شاردو و دومنيك منغنو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد الهادي المهيري وآخرون، دار سياترا، تونس، د.ط، 2017، ص: 16.

[3]-. عبد الرّحيم الحلوي: تداولية الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، منشورات القصبة، المغرب، د.ط، 2017، ص:16

[4]-جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط01، 2016، ص: 15.

[5] -المرجع نفسه، ص: 15.

أمّا أوستين (Oustin) يعرف التّداولية على أنّها:

"جزء من علم أعم هو دراسة التّعامل اللّغوي؛ من حيث هو جزء من التّعامل الاجتماعي وبهذا المفهوم ينتقل باللّغة من مستواها اللّغوي إلى مستوى آخر هو المستوى الاجتماعي في نطاق التّأثير والتّأثّر[1].

وفي تعريف آخر هي" دراسة اللّغة في الاستعمال أو في التّواصل"[2].

لا يكاد يخرج مفهوم التّداولية عند الغرب عن استعمال اللّغة، أي أنّ التّداولية هي استعمال اللّغة أو دراسة اللّغة في الاستعمال والتّواصل، مع مراعاة السّياق.

تعرف فرانسواز أرمينيكو التداولية فيتقول: " التداولية تتطرق للغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"[3]

وفي تعريف آخر لآن "ماري ديلر و فرانسوا ريكاناني" يعرفان التداولية: "بأنها الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفتها الخاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام"[4]

أمّا عند العرب فقد تعدّدت التّرجمة منها التّداولية أو التّداوليات أو البرغماتية أو الوظيفية أو السّياقية في مقابل كلمة (**Pragmatics**) الإنجليزية،و (**La pragmatique**) الفرنسية[5].

نجد الدّكتور طه عبد الرّحمن ويعود له فضل التّرجمة والتّعريب من الفرنسية إلى العربية، يقول في تعريفه للتداولية: "دراسة اللّغة في الاستعمال أو في النّصوص (in interaction) لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متأصّلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلّم وحده، فصناعة المعنى تتمثّل في تداول

[1]–خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي، ص: 14.

[2] –جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها ، ص: 25.

[3]– فرانسواز ارمينيكو، المقاربة التداولية، ص7.

[4]– صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص23.

[5] – ينظر: جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 13.

اللّغة بين المتكلّم والمخاطب في سياق محدّد، مادّي، اجتماعي، لغوي، وصولا إلى المعنى الكامن من كلام ما"[1].

أمّا مسعود صحراوي فيعرّف التّداولية على أنّها "علم استعمال اللّغة".

وفي تعريف آخر :"أنّها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التّلفظية والخطابات ضمن أحوالها التّخاطبية".[2]

يعرفها صلاح فضل بأنها: " الفرع العلمي لمجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل، بشكل عام"[3]

المبحث الثاني :نشأة اللّسانيات التّداولية:

لم تكن التّداولية في مرحلة نشأتها علم مستقل بحد ذاته، فهي كغيرها من العلوم الأخرى كانت لها نواة انبثقت منها، بل تجاوزت ذلك إلى عدّة مصادر إذ كان لكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي يمنح منه مادّته العلمية وتصوّراته على اللّغة والتّواصل اللّغوي[4]. لم تنشأ التداولية كعلم مستقل بذاته بل نشأت و ترعرعت في حضن العديد من العلوم الأخرى .

باعتبار أنّ التّداولية علم جديد، كتبت فيه العديد من الأقلام من كلّ الاتّجاهات، كلّ هذا سبّب فوضى كبيرة حول النّشأة والظّهور بين مؤسّسين مباشرين أمثال بيرس (Pirs)، وموريس (Mouris)، ومؤسّسين غير مباشرين أمثال فريج (Vrji)، وفيتغنشتاين[5].

1 :ماقبل التّداولية

[1] –أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط01، 2015، ص: 10.

[2] –مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، ص: 25.

[3]–صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص22.

[4] –المرجع نفسه ، ص: 26.

[5]– ينظر: فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، د.ط، 1986م، ص:13.

"كانت هناك إرهاصات تداولية موجودة قبل عام (1957م)تمارس لكن بطريقة غير مباشرة،عفوية ليست لها قواعد ومنهجية تضبطها، ومن بين الدّراسات التي ظهرت نذكر منها اللّساني

دي سوسير "عند ما قسم اللّغويات إلى لغويات داخلية ولغويات خارجية يلاحظ أنّ الأولى هي بمثابة:

دراسة محايدة للغة في حين أنّ اللّغويات الخارجية هي عبارة عن دراسة للعلاقات القائمة بين اللّغة من جهة والدّوائر المؤثّرة فيها حال المخاطب وحال المتكلّم، وموضوع المتكلّم، وموضوع الكلام ...الخ من جهة أخرى"[1].

واستعمل العالم الأنتروبولوجي "مالينوفكسي" سياق الحال حينما توصل إلى ضرورة دراسة الكلمات في سياقها الذي استخدمت فيه، ونجد "فيرث" تبنى هذا المصطلح وطوّره تطويرا ملحوظا فهو يرى، ضرورة أن يعتمد كلّ تحليل لغوي على المقام "سياق الحال"[2].

2. جذور اللّسانيات التّداولية:

1.2. الجذور الفلسفية:

لا يشكّ أحد في أن البحث التّداولي وليد الثّقافة الإنجلو سكسونية، وقد تطوّر في الولايات المتّحدة وإنجلترا بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة ،و بسبب ما خلفته النّظرية التّوليدية في نموذجها الأولي من مشاكل نتيجة تماسكها باستقلالية التّركيب من جهة أخرى[3].

[1] –فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط:01، 2016م، ص:34.

[2] –المرجع نفسه ، ص:35.

[3] –المرجع نفسه ، ص:35.

ليس للدرس التّداولي المعاصر مصدر واحد، انبثق منه، ولكن تنوّعت مصادر استمداده إذ لكلّ مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه، وبما أنّ الفلسفة التّحليلية الينبوع الأوّل المعرفي، فقد بات ضروريا التّعريف بهذا التّيار الفلسفي وبمختلف اتجاهاته واهتماماته وقضاياه[1].

3:مفهوم الفلسفة التّحليلية:

"نشأت الفلسفة التّحليلية في "فيينا" بالنّمسة على يد الفيلسوف "غوتلوب فريجة" في كتابه "أسس علم الحساب".

فالفلسفة التّحليلية قد حدّدت لنفسها مهمّة واضحة منذ تأسيسها ألا وهي إعادة صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي"[2].

الفلسفة التّحليلية جاءت للاهتمام باللّغة وتوضيحها، وكردّ فعل على المذهب الفلسفي القديم الذي لم يهتم باللّغات الطّبيعية[3].

1/3:مهام الفلسفة التّحليلية:

تتجلّى مهام الفلسفة التّحليلية في جملة من المطالب والاهتمامات، تمثّلت في ما يلي:

" **أ**/ ضرورة التّخلّي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.

ب/ تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى "التّحليل اللّغوي.

ج/ تحديد وتعميق بعض المباحث اللّغوية، ولا سيما مبحث "الدّلالة" والظّواهر اللّغوية المتفرّعة عنه"[4].

---

[1]-مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، ص: 17.

[2] -ينظر المرجع نفسه ، ص: 20.

[3].-ينظر المرجع نفسه، ص: 20.

[4]-ينظر المرجع نفسه ، ص: 21.

وعليه نستنتج أنّ الفلسفة التّحليلية قامت على نقائض الفكر الفلسفي القديم الذي كان يهمل اللّغات الطّبيعية، فالفلسفة التّحليلية قامت على عنصر أساسي وهو اللّغة، إعادة الاعتبار للغة وأهميتها الكبيرة في التّواصل.

2/3:منهج الفلسفة التّحليلية:

أمّا عن منهج الفلسفة التّحليلية فقد خالفت المنهج الذي تبعته الفلسفة الكلاسيكية "الميتافيزيقية الطّبيعية" وأنكرت عليها إهمالها لدراسة اللّغات الطّبيعية، بل إنّ الفلسفة التّحليلية حدّدت لنفسها مهمّة واضحة منذ تأسيسها؛ ألا وهي إعادة صياغة الإشكالات والموضوعات الفلسفية على أساس علمي، وهذا الأساس هو اللّغة باعتبارها أولى الأولويات في أيّ مشروع فلسفي يتوخّى فهم الكون ومشكلاته فهما صحيحا، ولا سبيل إلى تجاوز اللّغة من أجل فهم علاقاتنا بالعالم وبالكائنات البشرية، فجميع العلاقات البشرية قائمة على أساس لغوي، مرتبط بالفهم ما دام المعنى الذي تنقله إلينا اللّغة لا يصير ملموسا إلّا على هذا النّحو، فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما أولا هو اللّغة[1].

انبثقت عن الفلسفة التّحليلية ثلاثة تيارات كبرى وهي:

1".الوضعية المنطقية: (Positivisme logique) بزعامة رودولف كارناب، وتدرس اللّغات الصّورية المصطنعة وتتّخذها بديلا عن اللّغات الطّبيعية.

2/الظّاهراتية اللّغوية: (Phénoménologie langage) بزعامة إدموند هوسرل تدرس اللّغة في إطار وجودي أعم، ومنها الوجود السّابق للغة، والوجود اللّاحق لها.

3/فلسفة اللّغة العادية: (Philosophie langue ordinaire) بزعامة فيتغنشتاين، وتدرس اللّغة اليومية كما يتكلّمها الشّخص العادي"[2].

[1] –ينظر خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي، ص: 20.

[2] –المرجع نفسه ، ص: 21.

لكن في الأخير هذه التّيارات خرجت عن المنهج التّداولي، أمّا التّيار الثّالث أي "فلسفة اللّغة العادية"(Philosophie langage ordinaire) فهي الرّحم الأساسي لنشأة أفعال الكلام.

أمّا فيتغنشتاين فيرى أنّ اللّغة هي المادّة الأساسية للفلسفة، فاللّغة هي المفتاح السّحري الذي يغلق مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أنّ الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة تعود إلى سوء فهم اللّغة ، كما كان يركّز فيتغنشتاين على الجانب الاستعمالي للّغة، ولم تظهر وتتطوّر فلسفة فيتغنشتاين إلّا مع مدرسة أوكسفورد، ولا سيما "جون أوستين" وقد بدأ أثر فيتغنشتاين عليه واضحا في كتابه "عندما يكون القول هو الفعل"[1].

وتلميذه "سيرل" في استلهامه لبعض أفكار هذا الفيلسوف واتّخاذها معاييرا وأسسا في دراسة القوى المتضمّنة في القول[2]؛ فلسفة فيتغنشتاين كانت هي البوادر الأولى للنّظرية التّداولية لأنّها تركّز على الجانب لاستعمالي للغة، أي تركّز على الاستعمال الآني للّغة.

4:الجذر السّيميائي التّداولية:

يقترن الحديث عن السّيميائيات بعلمين بارزين تركا بصمة واضحة في تاريخ الفكر الحديث، هما عالم اللّغة السّوسيري" فردنان دي سو سير" (Ferdinad de saussure) "1757م-1913م" والفيلسوف الأمريكي شارلس سندرس بيرس(Sanders Peirce) "1839م-1914" ورغم انشغالهما معا بموضوع العلامة، إلّا أنّ تصوّر كلّ منهما مباين لتصوّر الآخر[3].

يقول دي سو سير: "نستطيع إذن أن نتصوّر علما يدرس حياة الرّموز والدّلالات المتداولة في الوسط المجتمعي...وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبّأ بمصيره غير أنّنا نصرح بأنّ له الحقّ في الوجود، وقد تحدّد موضوعه بصفة قبيلة، وليس علم اللّسان إلّا جزءا من هذا العلم العام[4].

---

[1] -خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي ، ص: 22.

[2]-المرجع نفسه، ص: 22.

[3] -.جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 43.

[4] - المرجع نفسه ، ص: 44.

أقرّ دي سو سير بوجود علم يهتم بدراسة العلامات اللّغوية و الرموز الموجودة بين أفراد المجتمع.

أمّا بيرس جعل السّيميائيات علما شاملا موضوعه التّجربة الإنسانية بصرف النّظر عن كونها لسانية أم حركية أم...وفي ذلك يقول:"لم يكن في وسعي أن أدرس أي شيء سواء تعلّق الأمر بالرّياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقيا أو الجاذبية أو الدّيناميكية الحرارية أو علم البصريات أو الكيمياء أو علم التّشريع المقارن أو علم الفلك أو علم النّفس، أو علم الأصوات...والنّساء والرّجال والميتولوجيا إلّا من زاوية سيميائية"[1].

نلاحظ من خلال القول أنّ بيرس كرّس كلّ مجهوده حول دراسة علم السّيميائيات، ويدرس كل العلوم والظّواهر الاجتماعية من زاوية سيميائية.

والنّاظر في المشروع الفكري والفلسفي الذي انخرط فيه بيرس يلاحظ أنّ السّيميائيات أضحت له علما ضاربا بجذوره في طبيعة الإدراك الإنساني وهو إدراك يتحدّد من خلال مقولات فانيرو سكوبية (Categories phaneorsoscopique) تمثّلها ثلاثة مستويات أساسية تحدّد كيفية إدراك الذّات لنفسها وللعالم وللوجود[2].

5:الذّرائعية والتّداولية:

لقد عمّق بورس تصوّره للعلاقة بين الموضوعين وآثارها من خلال بحثه الذّرائعية (1905م) (**Pragmatisme**)، حيث نصّ على أنّ مفهوما ما يصبح ذا معنى إذا ترتّبت عنه نتائج علمية على هذا الأساس يتحدّد موضوع التّداولية بالنّسبة لبورس في معرفة ما ينبغي فعله، وكيف ننجز الفعل إنّها يجب أن تسمح بإمكان قيام فعل معيّن في المستقبل وتكون في استعداد للتصرّف على هذا النّحو نفسه في جميع الظّروف المماثلة[3].

[1] – جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 43. ،ص: 44-45.

[2] –المرجع نفسه، ص:45.

[3] – المرجع نفسه ، ص:50.

ومن خلال القول نجد أنّ التّداولية تتقاطع مع الذّرائعية، فالكلام خارج السّياق لا معنى له، وهكذا.

وفي هذا الصّدد نشير إلى موريس "C.mouris" أوّل من أعطى تعريفا للتّداولية، حيث عدّها جزء من السّيميائية عندما ميّز بين ثلاثة فروع للسّيميائية، ثمّ إنّ الفضل في إدراج مصطلح (pragmatique) في الدّراسات اللّسانية يرجع إلى"موريس "وهو اصطلاح لـ(Kant) كان قد أخذ به بيرس في بناء نظرية عامة للعلامات[1].

هذه النّظرية تقوم على فكرة أنّ السّيميوزيس (Sémiosis) هو السّيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وهذه الفكرة التي تبنى على ثلاثة عوامل هي:" يتعلّق الأمر بما يدرك كعلامة" "وما تعود إليه هذه العلامة"، ثمّ"الأثر المحدث في التّأويل" إنّ التّداولية تكرّس للعامل الثّالث، إنّها دراسة للعلاقة بين العلامات واستعمالاتها[2].

يرى موريس أنّ التّداولية جزء لا يتجزّأ من السّيمياء، كما ميّز بين ثلاثة مظاهر في اللّغة الطّبيعية: المظهر التّركيبي، والمظهر الدّلالي، والمظهر التّداولي[3]، ومنه النّظرية التّداولية التي تبنّت السّياق.

6:علاقة التّداولية بالعلوم الأخرى:

التّداولية كونها تبحث عن المعنى، لا شكّ بأنّها ستكون ملتقى الدّراسات المختلفة أدبية وقانونية وفلسفية، فهذا شأن مسائل المعنى؛ لأنّ طبيعة المعنى وتحصيله يتداخل فيه كلّ ذلك[4].

[1] –خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي، ص:19.

[2]–المرجع نفسه ،ص29

[3] –جميل حمداوي، التّداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة، ط01، 2015، ص:08.

[4] – المرجع نفسه ، ص:35.

1/6.علاقة التّداولية بعلم الدّلالة: (Sémantique)

وهو العلم المختص بدراسة معنى الكلمة، والعلاقة بين اللّفظ والشّيء المشار إليه، والتّحليل التّداولي يحاول توطيد العلاقات بين الأوصاف اللّفظية والحالات التي تحدث في المحيط على أنّها صحيحة (حقيقة) دون اعتبار ما يقدّمه هذا الوصف، والدّلالة عند بيرس فرع من علم الإشارة أو السّيمياء، ويشارك البراجماتية اللّسانية في دراسة المعنى غير أنّ البراجماتية (التّداولية) لا تدرس دلالة المستوى الصّرفي، لما فيهما من جوانب تجريدية ولا تهتم بمعنى الكلمة المعجمي (الحرفي) بل تعتدّ بدلالة الجملة في السّياق، وتدرس علاقات العلامات بالمسؤولين، وتبحث العلاقات بين الصّيغ اللّغوية ومن يستخدمها، ولم تعد الدّلالة في اللّسان الحديث ذات طبيعة لغوية محضة، بل ترتبط بحقول معرفية أخرى منها علم الاجتماع، وعلم النّفس وعلم الاتّصال[1].

وعليه فمجمل القول أنّ التّداولية والدّلالة علمان متداخلان بينهما قاسم مشترك ألا وهو المعنى فكلاهما يهتمّ بدراسة المعنى.

أمّا نقاط الاختلاف بينهما، فالدّلالة: تدرس المعنى بعيدا عن السّياق وملابسات الخطاب، أمّا التّداولية: فتهتم بالمخاطب وظروف الخطاب والسّياق؛ لكن هذا الاختلاف لا يؤثّر على العلاقة الموجودة بينهما، فكلّهما يكمّل الآخر.

2/6علاقة التّداولية بعلم اللّغة الاجتماعي: (Sociolinguistics)

وهو يشارك التّداولية في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلّم والسّامع وجنسه، وأثر السّياق غير اللّغوي في اختيار السّمات اللّغوية وتنوّعاتها[2].

---

[1]- ينظر: محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، ص: 68.

[2] -محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مكتبة الآداب للطباعة والنّشر، القاهرة، 2011م، ط:01، ص:10.

إذا علاقة التّداولية بعلم اللّغة الاجتماعي هو الاهتمام بالخطاب والظّروف المحيطة به، وكذا السّياق.

3/6.علاقة التّداولية بعلم التّراكيب:

علم التّراكيب وهو يعنى بدراسة العلاقة الشّكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

أي يهتم بالتّركيب الدّاخلي للجملة، مركّزا بشكل خاص على علاقة عناصر الجملة بعضها مع بعض، والتي تحكمها ضوابط وقواعد عرفية، فالخروج عن هذه القاعدة يؤدّي إلى خلل في المعنى وإنتاج دلالة غير صحيحة، فالتّراكيب النّحوية من تقديم وتأخير وترتيب الكلمات، والجمل، والحذف وحركات الجمل، وغيرها...تقوم كلّها على قواعد معيارية أي* "السّياق النّحوي" وعلى هذا الأساس يسند للنحو العربي وظيفة تصويب استقامة تراكيب اللّغة العربية، وسلامتها[1].

وعليه علاقة النّحو بالتّداولية تتمثّل في "السّياق" فكلا العلمان يهتمان بالسّياق، فالنّحو العربي نجده يهتم بالسّياق الدّاخلي، بل وحتى العلاقات الموجودة في النّصوص وبين الجمل، كذلك نجد النّحو العربي يهتم بالمعنى النّحوي، وهذا الأخير له أهمية في التّحليل التّداولي، فالبعد التّداولي حاضر بمجرّد ما ندخل لمفهوم القاعدة النّحوية التي تعدّ نقطة البداية للفهم التّداولي بوصف التّداولية هدفا متطورا لدلالة التّركيب"[2].

مثال: فإن قلنا مثلا آمنوا بالله وحده

* السّياق النّحوي: هو عبارة عن شبكة العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللّغوية داخل النّص، وفيها تقوم كلّ علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدّلالة من خلال القرائن النّحوية، مثل: الإعراب – أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، ص:25

[1] –أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب للنّشر والتّوزيع، ط:01، 2015م، ص:25

[2]– أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، ، ص: 26.

فإنّ التّركيب السّابق يتضمّن "فعل، قول" خرج بمجرّد نطق المرسل بهذه العبارة، وقد ترابطت أواصر هذا التّركيب، وضبطت إستقامة وفق قواعد تركيبية محدّدة، وقد قدّمت الصّيغة النّحوية فعل الأمر "آمنوا" قوة إنجازيه، حثّ من خلالها المرسل "الله تعالى" المتلقّي كافة البشر على فعل أمر محدّد وهو الإيمان بالله وحده، فالتّركيب السّابق اشتمل على مجموعة من الأقوال المضمرة المرتبطة بسياقات مختلفة يفهم منها"[1].

1. إنّ المتلقي لا يؤمن بالله.
2. يوجد أكثر من إله.
3. يوجد إيمان وكفر[2].

6/6التّداولية والبلاغة: (Rhetoric)

البلاغة طريقة مخصوصة في التّعبير يروم المتكلّم من خلالها الإبلاغ إلى الإقناع والتّأثير في الملتقى وفق مقاصد المتكلّم والسّياق الذي يتمّ فيه التّخاطب، فأوّل ما تفعله البلاغة هو الإبلاغ، فتعالج بغية التّأثير الطّرف الآخر مع إقناعه، وتوضيح المقاصد التي يهدف الباحث إلى تحقيقها، وهذا يعدّ من صميم البحث التّداولي، وهو أيضا هدف البلاغة الأساس عند البلاغيين القدماء أمثال (الجاحظ وأبي هلال العسكري، وابن الأثير، وحازم القرطاجنّي)[3].

فالبلاغة تدرس كلّ ما يرتبط باستعمال اللّغة وممارستها أثناء عملية التّواصل بقصد تبليغ رسالة ما، مراعية مقتضى الحال، "لكلّ مقام مقال"[4].

---

[1] – أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة ، ص: 26.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 26.

[3]– عماري محمّد، مبادئ الدّرس التّداولي في التّراث العربي نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا، أطروحة دكتوراه في علوم اللّغة، إشراف: محمّد قورار، جامعة باتنة 01، 2017م، ص:32.

[4] –المرجع نفسه، ص: 30.

نستنتج من تعريف البلاغة أنّها تهتم باللّغة كأداة للتّواصل مع مراعاة أطراف عملية التّواصل من "مرسل، مرسل إليه، لتبليغ الرّسالة" في أحسن وجه، وكذا مقتضى الحال، وعليه نجد أنّ التّداولية هي الأخرى تهتمّ بالعملية التّواصلية والظّروف الخارجية المحيطة بالخطاب، إذا نستطيع القول أنّ البلاغة والتّداولية علمان متداخلان بينهما نقاط مشتركة من أهمها "مقتضى الحال" أو"السّياق".

المبحث الثالث :التّداولية عند العرب:

من أهم مصادر التّفكير التّداولي عند العرب، علم البلاغة، علم النّحو، والنّقد، والخطابة إضافة إلى ما قدّمه علماء الأصول الذين يمثّلون – إلى جانب البلاغيين- اتّجاها فريدا في التّراث العربي يربط بين الخصائص الصّورية للموضوع وخصائصه التّداولية...وغيرها من المجالات الأخرى التي تتعدّى مجال التّداولية[1].

ومن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتّجاه يقول "سويرتي" :إنّ النّحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكّرين مارسوا المنهج التّداولي قبل أن يضيع صيته بصفته فلسفة وعلما، رؤية واتّجاها أمريكيا وأوربيا، فقد وظّف المنهج التّداولي بوعي في تحليل الظّواهر والعلاقات المتنوّعة[2].

1:التّداولية والنّظرية اللّغوية العربية:

اعتبر استعمال اللّغة من منظور تداولي غائيا نفعيا بمعنى أنّ كلّ عمل قولي ينجز لتحقيق غاية ما أو هدف مضبوط أو لإشباع حاجة معيّنة أو لتحصيل فائدة، ولذلك تستعمل اللّغة لنفس الأغراض والمقاصد والمآرب في سياقات مختلفة ومقامات متباينة[1].

[1] –خليفة بوجادي، التّفكير عند العرب، ومجالاته، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، العدد، 1، ص: 32.

[2]– المرجع نفسه، ص: 32.

اللّغة من هذا المفهوم التّداولي تحمل صفة نفعية غائية أي الأحوال والأعمال اللّغوية تستعمل لتحقيق منفعة وقصد معيّن.

فلا يمكن حينئذ أن نزعم أن العرب أغفلوا مسألة التّلفظ وهيئات القول والسّماع أو القراءة، ومن الأدلّة على ذلك ما أورده الجاحظ في "البيان والتّبيين" من مصطلحات تتعلّق معانيها بظروف القول والتّلفّظ مثل "المقام" و "الموضوع" و"الحال" و"المقدار"، ولعلّ أهم ما تدلّ عليه هذه المصطلحات علاقة المقام بالمقال أي بالظّرف التّلفظي الذي يتنزل فيه، ومن الأمثلة ما قاله الجاحظ في ذلك أنّ"مدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[2].

يقصد الجاحظ من خلال قوله مراعاة المستوى العلمي ومقدار فهم المتلقّي "مراعاة أقوال المرسل إليه".

وفي موضع آخر يقول الجاحظ " إذ لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النّقصان الدّاخل على قوله بقدره الخلة بالاستماع منه"[3].

نلاحظ من خلال قول الجاحظ في عملية التّواصل لا بد من التّركيز على المرسل، والمرسل إليه وبالأخصّ الرّسالة "فالمتلقي إذن عنصر أساسي في صنع الكلام لأنّ المتكلّم يستحضر وجوبا بصورة أو بأخرى مخاطبا يتلقى خطابه إن عاجلا لحظة التّلفظ أو آجلا إثر التّلفظ، وهذا التّلفظ ممّا حفلت به بعض النّظريات اللّسانية الحديثة التي عدلت بالدّلالات والمعاني عن اللّسان، وما يكتنف من ألفاظ وتراكيب (...) إلى فضاءات أرحب تتّصل بوضعيات وأحكام خراج لسانية (Esctra- linguistique) وتضع في المقام الأوّل علاقات المتخاطبين عنصرا من عناصر عملية التّلفظ فالتّخاطب خاضع لفظيا لمثلّثات سيميولوجية لسانية[4].

---

[1]–الصّبحي هدوي، الإنشاء بالقول مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنّواهي أعمالا لغوية، دار كنوز المعرفة، ك:01، 2016م، ص: 89.

[2] – المرجع نفسه ، ص: 89.

[3] –المرجع نفسه، ص: 89.

[4]– المرجع نفسه، ، ص: 90.

2:من ملامح التّفكير التّداولي عند العرب القدماء:

1.**عند سيبويه:** عقد سيبويه "بابا سماه (باب الاستقامة من الكلام والإحالة)[1]

يقسم سيبويه أحوال الكلام إلى خمسة أقسام وهي كالتالي:

"1.المستقيم الحسن: فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا

2.المحال: فأن تنقض كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

3.المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.

4.وأما المستقيم القبيح: فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا.

5.المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس ".[2]

"يلاحظ من خلال هذا التقسيم اعتبار عنصر خارج النص اللغوي وهو (الاستعمال)، فنراه لم يحكم على العنصر الثاني للصدق أو الكذب نظرا لعدم وجود معنى له في الاستعمال إلا إذا كان من باب اختراق قاعدة (الكيف) ويكون بغرض الدعابة أو الاستحالة ونحوها، كما يلاحظ مقبول إدريس ما يطلق عليه اللحن التداولي حيث إن العادة جرت أن ينسب اللحن الخطأ أو يضاف إلى اللغة، ويقصد به غالبا خرق جانبها النحوي أو الصرفي في بعض الأحيان، غير أن هذا اللحن قد يعتري مستويات عدة على جهة التوسع، ومن بينها المستوى الدلالي"[3].

---

[1]-سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988، ج1، ص25.

[2]- سيبويه، الكتاب ، ص: 25-26.

[3] -أحمد سالم عوض حسان، التداولية بين المفهوم والتصور، https://www.alukah.net/litterature.langageاطلعت عليه يوم 2020/10/20 على الساعة 14.06.

و فب تعريف ابن جني لاستعمال على أنه: " الشيء إذا اطرد في الاستعمال وشذ عن القياس فلابد من إتباع السمع الوارد به فيه نفسه"[1].

2.ابن جني392هـ:

يعرف ابن جني اللغة فيقول: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [2] يقصد ابن جني من خلال القول أن للغة وظيفة أساسية وهي التواصل، من خلال اللغة نستطيع التواصل مع الآخر" يلمح الدكتور محمود فهمي حجازي ميزتين في هذا التعريف الموسوم بالدقة هما الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر" [3]

اللغة وظيفتها التواصل، والتداولية تهتم بالتواصل وباللغة من ناحية الاستعمال إذ العلاقة الموجودة بين اللغة و التداولية علاقة وطيدة كلاهما يخدم الآخر وإن صح التعبير من غير اللغة لا وجود للتداولية " فنلاحظ ربط ابن جني بين اللغة والاستعمال والتداولي، وان وظيفتها هي التعبير عن أغراض المتكلمين للمستمعين فاللغة هي علاقة قائمة بين الألفاظ ومستخدميها"[4] .

ويؤكد ابن جني ذلك من خلال قوله: " اللغة أكثرها جار على المجاز وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة...وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف عن الناس بسعة مذهبها وانتشار أنحائها جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتدونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عرفهم وعاداتهم في استعمالها"[5]

[1] –ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1989، ج1، ص100.

[2]–المصدر نفسه، ، ص34.

[3]–أحمد سالم عوض حسان، التداولية بين المفهوم والتصور،

على الساعة 14.06.اطلعت عليه يوم https://www.alukah.net/litterature.langage2020/10/20

[4]– المرجع نفسه، نفس اليوم ، نفس الساعة

[5] –ابن جني ، الخصائص، ج3، ص250.

1) في البلاغة العربية:

أ. التّداولية وعلم المعاني:

لاحظ البلاغيون العرب منذ القديم ظاهرة السّياق، وقد ظهرت عنايتّهم به في العديد من التّعريفات والمقولات المأثورة عنهم، فقد بلغنا عنهم تعريفهم للبلاغة "بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[1].

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال أي العناية بالمرسل إليه أو المتلقي مع وجود الكلام، وحسن اختيار الألفاظ.

من المتعارف عليه أنّ البلاغة العربية موضوع دراستها هو العلاقة الموجودة بين التّركيب اللّغوي ومقتضى الحال أي جميع الظّروف المحيطة بالمرسل، والمرسل إليه، بما فيها من أحوال اجتماعية.

وهنا يتلاقى المحور التّداولي مع الدّرس البلاغي في تشكيل وتحليل الخطاب اللّغوي، فالتّداولية علم يعنى بالعلاقة بين النّص، وعناصر الموقف التّواصلي المرتبطة به...ممّا يطلق عليها بسياق النّص ويأتي مفهوم التّداولية ليعطي بطريقة منهجية منظّمة، المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة العربية "لكلّ مقام مقال"، والتي منها استمدّ بعض الدّارسين لفظة "المقامية" التي أطلقت كاسم آخر للتّداولية، فعلم البلاغة من أهم العلوم التي تؤكّد الارتباط بين دراسة اللّغة واستعمالها في سياق تداولي[2].

ب.التّداولية وعلم البيان:

البيان هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدّلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه[3].

---

[1]- أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، ص:35.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 35.

[3]-يوسف أبو العدوس، البلاغة العربية :"علم المعاني- علم المباني- علم البديع"، دار المسيرة للنشر والتّوزيع، عمان، ط01، 2007م، ص:143.

البيان هو علم من علوم البلاغة الثّلاثة، والمقصود منه هو البيان والإفصاح عن المعنى بطريقة واحدة أو بطرق متعدّدة مختلفة عن بعضها شرط وضوح الدّلالة، "وهو بذلك خاص بطرق التّعبير المختلفة باختلاف صيغ التّراكيب اللّغوية، والتي تمتاز بالوضوح في المقام، والخفاء في آخر؛ لتصل في نهاية المطاف إلى غاية واضحة، وهي التّعبير عن المعنى وفق مقتضى الحال"[1].

وفي علاقة التّداولية بعلم البيان نورد المثال التّالي:

1/ب المجاز المرسل:

يفهم المجاز تداوليا بالنّظر إلى المعنى السّياقي الذي يقدّمه المرسل في خطابه عند خروج الألفاظ عن أصل وضعها الدّلالي لتؤدّي دلالات جديدة تقترن وسياق الخطاب[2].

المجاز المرسل هو خروج الكلام عن أصله المعنوي ليؤدّي دلالة أو معنى آخر فالمرسل في خطابه يستعمل حججا واستراتيجيات من أجل التّأثير في المتلقي "المرسل إليه".

مثل قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[3].

المجاز في الآية هو عبارة عن حجة " قوة حجاجية ذات طابع تأثيري فقد شبّه الله تعالى من يتعدّى على مال اليتيم ظلما بمن يأكل النّار، ولكنّه يأكل الطّعام"[4].

وخلاصة القول أنّ علم المعاني، وعلم المباني، وسائل أسلوبية وطرائف بلاغية تداولية غايتها التّأثير في المتلقّي، تتفاوت هذه الأساليب بتفاوت المقام والأحوال، فنجد المرسل مرّة يشبه ومرّة يلجأ إلى الاستعارة، وثالثة إلى الكناية، فالمتكلّم يطوّر أساليبه البلاغية بما يتناسب والحالة التي يعيشها والمعنى الذي يوافق المقام[5].

---

[1] – يوسف أبو العدوس، البلاغة العربية :"علم المعاني– علم المباني– علم البديع ، ص:60.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 67.

[3]–سورة النّساء، الآية: 10.

[4]– المرجع السابق، ص: 67.

[5] –أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، ص: 70.

المبحث الرابع :مباحث التّداولية:

01.نظرية أفعال الكلام:

"شكل تداخل علم المنطق المعاصر بعلوم اللّغة الأخرى كاللّسانيات والخطابة مناسبة مهمة في إغناء النّقاش الدّائر حول قضايا اللّسان والدّلالة، وقد غدت بموجب ذلك فلسفة اللّغة المعاصرة مبحثا فلسفيا جديدا ينهض بتحليل الظّواهر اللّغوية واللّسانية"[1].

وفي هذا الإطار تندرج نظرية أوستن "نظرية أفعال الكلام" ضمن كتابه الموسوم بـ"كيف تنجز الأشياء بالكلمات" "how to do things"[2].

1-1.مفهوم الفعل الكلام:

"أصبح مفهوم الفعل الكلامي (Speech ACT) نواة مركزية في الكثير من الأعمال التّداولية، وفحواه أنّه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا على ذلك يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل بأفعال قولية (Locutoures actes) إلى تحقيق أغراض إنجازية (Acts illocutoires) كالطّلب، الأمر، الوعد والوعيد...الخ، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرّفض والقبول)،ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا أو مؤسساتيا ، ومن ثمّ إنجاز شيء ما"[3].

إذا فالفعل الكلامي يعدّ العمود الفقري للنّظرية التّداولية؛ وهو فعل له نظام دلالي إنجازي تأثيري، ويتوسّل بأفعال قولية إلى تحقيق قوة إنجازية "كالطّلب، الأمر، الوعد..."[4] ويحاول جاهدا مجاوزة هذا الأمر إلى التّأثير في المخاطب من أجل تحقيق هدف معيّن.

---

[1]-الحسين أخدوش، نظرية أفعال اللّغة لدى الفيلسوف أوستين أسسها وحدودها الفلسفية مؤمن بلا حدود، 2016م، ص:02.

[2]- المرجع نفسه ، ص2

[3] -مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، ص: 54- 55.

[4]المرجع نفسه ،ص55

1.2.مرحلة النّشأة:

نشأة الفعل الكلامي: (Speech act)

أ. أوستن (Austin) ونظرية أفعال الكلام:

يعتبر العديد من العلماء والباحثين أنّ "جون أوستن "أبو التّداولية، ولم يكن أوستن لغويا بل كان فيلسوفا من فلاسفة اللّغة العادية (Ordinary language) في أكسفورد في العقدين الرّابع والخامس من القرن العشرين وكان بعض الفلاسفة في كمبردج ومن أهمهم "رسل" و"فيجنشتان" يسعون لإيجاد لغة مثالية تتجنب كلّ عيوب اللّغة العادية، فتكون أكثر ملائمة للفكر الفلسفي، لكن في الأخير عدل "فيتجنشتاين" عن ذلك واتّجه إلى دراسة اللّغة العادية[1].

ومن أهم النّقاط التي رآها فيتجنشتاين كانت كالآتي:

– "أنّ وظيفة اللّغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو رصفها، لكن للغة وظائف عديدة كالأمر والاستفهام والتّمني والشّكر والتّهنئة...الخ[2].

– ليست اللّغة عنده حسابا منطقيا دقيقا، لكلّ كلمة فيها معنى محدّد، ولكلّ جملة معنى ثابت بحيث لا تنتقل من جملة إلى ما يلزم عنها من جمل مراعيا قواعد الاستدلال المنطقي بل الكلمة الواحدة تتعدّد معانيها بتعدّد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتتعدّد معاني الجمل بحسب السّياقات التي ترد فيها، فالمعنى عنده هو الاستعمال (Meaning is use)"[3].

وظيفة اللغة عند فيتجنشتاين تتعدى وصفها للواقع ،فاللغة عنده لها وظائف أخرى من بينها :الأمر ، الاستفهام و التمني و الشكر ...،و اللغة عنده ليست حسابات منطقية دقيقة ،بل

[1]– محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص:41.

[2]– ينظر المرجع نفسه ، ص: 41.

[3]– ينظر المرجع نفسه ، ص: 42.

لكل كلمة لها معنى محدد ،وكل جملة لها قواعدها الاستدلالية ، و أحيانا أخرى نجد للكلمة الواحدة معاني عديد حسب السياق الذي ترد فيه.

كلّ هذا كان له تأثير كبير على أوستين مما جعله يتقدّم" بنظرية بسط القول فيها عبر جملة محاضرات ومقالات ضمنها نظريته بخصوص "الأفعال اللّغوية" التي خرجت تحت عنوان واحد، بعد وفاته هو "كيف ننجز الأشياء بالكلماتHow to do thing s with word "[1]

وبالرجوع إلى كتاب أوستين يتبين أن مؤلّفه أولى خطوات من أجل توظيف اللّغة الطّبيعية (Ordinary language)[2]

أ. :معارضته للموقف الفلسفي الذي كان يوصف بالتّقليدي، حيث كان يقرّ بأنّ دور الجمل ينحصر فقط في "وصف" حالة الأشياء أو إقرار "حدث ما" وهو ما تكون بموجبه صادقة أو كاذبة، وأمّا غيرها من الجمل فتعدّ من قبيل العبارات التي "لا معنى لها"[3].

ب. معارضته للوصف النّحوي التّقليدي؛ الذي يبدر أكثر من الوصف الفلسفي لأنّه لا يقتصر على نمط واحد من الجمل، بل يهدف إلى التّنويع في الموضوع، فيصف أنماطا أربعة وهي: الجمل المثبتة أو الخبرية، والجمل الاستفهامية، وجمل التّعجب، والجمل التي تفيد الطّلب والتّمنّي"[4].

"بنى "أوستن" كتابه على معارضته لموقفين "الموقف الفلسفي أو بالتّقليدي" حيث يرى هذا الأخير أنّ الجمل لها دور في "الوصف" وفقط وبهذا المعيار تكون صادقة أو كاذبة، وأمّا باقي الجمل فلا معنى لها (Nom, Sens).

[1] –ينظر العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، ص: 77.

[2] المرجع نفسه،ص77

[3] – المرجع نفسه ، ص 78.

[4] –ينظر المرجع نفسه ، ص78.

أمّا الموقف الثّاني وهو الوصف النّحوي التّقليدي الذي شمل جميع أنماط الجمل، فيضيف أنماطا أربعة وهي: الجمل المثبتة أو الخبرية، والجمل الاستفهامية، وجمل التّعجب...الخ كان هذا الموقف الذي اتّخذه "أوستن" هو بداية لظهور نظرية الأفعال الكلامية.[1]

عارض أوستين المنظورين الفلسفي و النحوي و من هذه المعارضة مهّد إلى انطلاق نظرية الأفعال الكلامية

بدأ "أوستن" في تلك الملاحظة التي أطلق عليها "المغالطة الوصفية" ومفادها أنّ كثيرا من المنطوقات الخبرية التي تتشابه في التّركيب اللّغوي مع المنطوقات التي تصف الواقع، ويحكم عليها بالصّدق أو الكذب، هذه المنطوقات لا تصف الواقع، ويحكم عليها بالصّدق ولا بالكذب، بل تشير إلى إنجاز عمل أو فعل يتطابق مع المنطوق؛ فالقول(Saying) هو الفعل (Doing) أو هو جزء منه"[2].

اقترح "أوستن" قسما ثانيا من العبارات إلى جانب العبارات الوصفية هو "العبارات الإنجازية" التي لا يحكمها مقياس الصّدق والكذب، ويتزامن النّطق بها مع تحقيق مدلولها، كما أنّ لهذه العبارات الإنجازية شروطا أوضحها الدّارسون، ولا تتحقّق إنجازيتها إلّا بها، وهي[3]:

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلّم؛ أي أنّها هي تمثّل الفردية ممّن يقولها.
- أن يكون زمن دلالتها المضارع.
- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال، حذر، أوعد...)[4].

شروط –كما نرى– تجمع بين المستويين النّحوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة وهي وصفية، ويتميّز الفعل الإنجازي عن الوصفي (الإخباري) بكونه عكسا للآثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية، ثمّ لاحظ "أوستن" بعد ذلك أنّه يمكن تقدير

[1] – العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني ،ص78

[2] –علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، ومعجم سياقي، ص:31.

[3]– خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص: 95.

[4] –ينظر: المرجع نفسه ، ص: 95.

فعل وفق الشّروط المذكورة في العبارة الوصفية نحو: أقول الجو جميل؛ لتصير إنجازية هي الأخرى؛ وعليه فكلّ العبارات الملفوظة إنجازية[1].

قسّم "أوستن" الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية، وهي كالتّالي:

أ. فعل القول أو الفعل اللّغوي :(Acte locutoire)

ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، فعل القول يشمل بالضّرورة على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللّسانية المعهودة ، ولكن "أوستن" يسمّيها أفعالا (الفعل الصّوتي، الفعل التّركيبي، الفعل الدّلالي)[2].

ب. الفعل المتضمّن في القول: (Acte illocutoire)

وهو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ "إنّه عمل يُنْجَزُ بقول ما" و الأفعال الإنجازية هي العنصر الأساسي في النّظرية برمّتها"[3].

ج. الفعل النّاتج عن القول: (Acte perlocutoire)

وهو المتكلّم الذي يتسبّب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ومن أمثلة ذلك: الإقناع، التّضليل، الإرشاد، وهناك من يسمّيه الفعل التّأثيري"[4].

من خلال هذا الطّرح قدّم "أوستن" تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس قوّتها الإنجازية (Illocutionory) من خلال محاضراته الأخيرة، فجعلها خمسة أصناف، لكنّه غير مقتنع عن هذا التّصنيف.

3/أصناف الفعل الكلامي عند "أوستن":

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم ، ص: 96.

[2]- مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، ص: 55.

[3]-خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم ، ص: 42.

[4]- المرجع نفسه ، ص: 42.

1.**أفعال الأحكام**: (Verdict ives): وهي التي تعبّر كما يدل المصطلح عن حكم يصدره محلف، أو محكّم، أو حكم مثل: يبرئ، يقدّر، يعين...[1]

2.**أفعال القرارات**: (Exerctives):التي تعبّر عن اتّخاذ قرار في صالح شيء أو شخص أو ضدّه مثل: يأذن، يطرد، يحرم، يجند يختار، يوصي...الخ[2].

3.**أفعال التّعهد**: (Commissives)

وهي التي تعبّر عن تعهّد المتكلّم بفعل شيء أو إلزام نفسه به، مثل: أعدّ، أتعهّد[3].

4.أفعال السّلوك أو السّلوكيات: (Bihabitives)

وهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية اتّجاه ما يحدث للآخرين أو بالسّلوك الاجتماعي ومن أمثلتها: أعتذر، شكرا، وهنأ[4].

5.أفعال التّبيينيات: (Expositives)

وهي توضّح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة الرّاهنة، ومن أمثلتها: أثبت، أنكر، أجاب اعترض[5].

2. مساهمة "سيرل" المرحلة الأساسية للنّظرية :

قد ينظر إلى مساهمة "سيرل" في هذه النّظرية على أنّها محاولة وضع حدود واضحة لأطراف النّظرية، وسنهتمّ هنا بالإشارة إلى المساهمات التّالية[6]:

– قدّم"سيرل" شروط إنجاز كلّ فعل إلى جانب بيان شروط تحوّل فعل من حال إلى حال أخرى"[7].

---

[1] –محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص:69.

[2] –المرجع نفسه ، ص: 69.

[3] –المرجع نفسه ،ص: 70.

[4] –طالب سيد هاشم الطّباطبي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الكويت، د.ط، 1994م، ص: 10.

[5]– المرجع نفسه ، ص: 11.

[6] –طالب سيد هاشم الطّباطبي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، ص: 13.

[7]– خليفة بوجادي، في اللّسانيات التّداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، ص:96.

– قام بتعديل التّقسيم الذي قدّمه "أوستن" للأفعال الكلامية، فجعله أربعة أقسام أبقى منها على قسمين: الإنجازي والتّأثيري، لكنّه جعل الفعل اللّفظي قسمين:

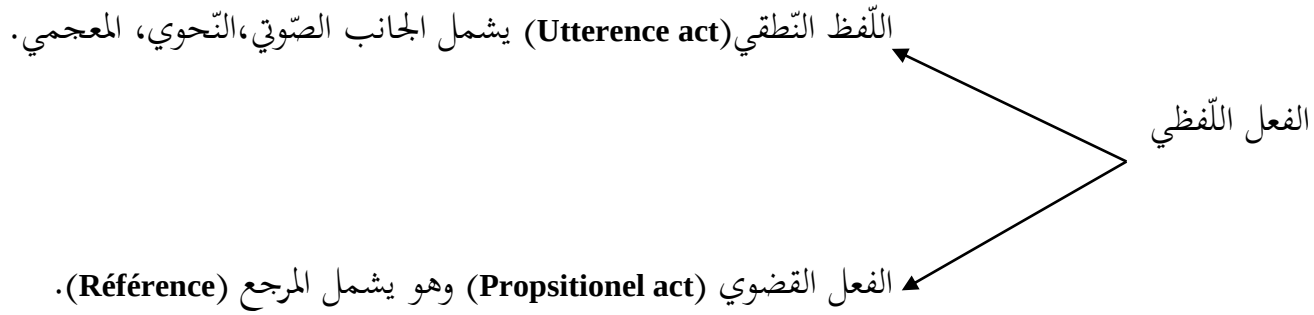

والخبر (Predication) ونص على الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب، يركّز على المقصدية في القول[1].

3.رأى "سيرل" أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط بالعرف الاجتماعي واللّغوي[2].

4.استطاع "سيرل" أن يطوّر تصور "أوستن" لشروط الملائمة أو الاستخدام (Felicity condition) التي إذا تحقّقت في الفعل الكلامي كان موفّقا فجعلها أربعة شروط هي كالتّالي:[3]

أ. شرط المحتوى القضوي: (Propositional content)

ب. الشّرط التّمهيدي: (Prepartury)

ج. شرط الإخلاص: (Sencerity)

[1] –محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص:71.

[2] –المرجع نفسه ، ص: 73.

[3] –المرجع نفسه ، ص: 73.

د.الشّرط الأساسي: (Essential)

لم يكتفى "سيرل" بهذه الشّروط بل تعدّى ذلك إلى إثني عشر بعدا.

أعاد "سيرل" النّظر في التّقسيم الذي قام به "أوستن" لأفعال الكلام فعدل فيها واعتمد في تقسيمه على منهج دقيق واضح يحقّق الفرض الإنجازي، وجعلها خمسة أصناف وهي:[1]

1.**الإخبارية:** (**Assertives**):الغرض منها نقل واقعة ما.

2.**التّوجيهات:** (**Directives**):وغرضها الإنجازي محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما.

3.**الالتزامات:** **(Commissives)** :وغرضها الإنجازي وهو التزام المتكلّم بفعل شيء في المستقبل.

4.**التّعبيريات** : (**Expressives**):غرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف النّفسي تعبيرا يتوفّر فيه شروط الإخلاص.

5.**الإعلانيات:** (**Déclarations**):والسّمة المميّزة لهذا الصّنف أنّ أداءها ناجح.

5/التّمييز بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة:

انطلق "سيرل" من تمييز "أوستن" بين الأفعال الإنجازية الصّريحة و الأفعال الإنجازية الأولية،فخطا في هذا الاتّجاه خطوة واسعة فميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و الأفعال الإنجازية المباشرة.

1. مفهوم الفعل المباشر:

الأفعال الإنجازية عند "سيرل" هي التي تطابق فيها الأفعال الإنجازية مراد المتكلّم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامّة وحرفية لما يريد أن يقول[2].

[1]محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر ، ص: .75

[2] – علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، ومعجم سياقي، ص:55.

2. مفهوم الأفعال غير المباشرة:

الأفعال الإنجازية غير المباشرة هي التي تخالف مراد المتكلّم، فالفعل الإنجازي يؤدّي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر[1].

وخلاصة القول حول نظرية أفعال الكلام رغم أهميتها ودورها الرّيادي في مقاربة بعض قضايا اللّغة من منظور جديد؛ إلّا أنّها لا تخلو من نواقص[2].

6/ نظرية الاستلزام الحواري : (inversational implicature théory)

6 .1الاستلزام الحواري "التّخاطبي":

هو أحد أهم أنماط الإظمارات التّداولية ومتضمّنات القول، وهي المعاني التي تؤدّي من دون أن يصرّح بها في الخطاب والاستلزام الحواري هو مصطلح أطلقه الفيلسوف الأمريكي "غرايس" على ظاهرة الفعل اللّغوي غير المباشر، فلقد شغلت هذه الظّاهرة جلّ اهتماماته ومحاضراته، وجاءت معالجته لهذا الموضوع متميّزة ومختلفة[3].

6 .2.غرايس و نظرية الاستلزام الحواري:

ما كان يشغل "غرايس" هو إمكان أن يقول المتكلّم شيئا وهو يعني شيئا آخر، ثمّ كيف يمكن أن يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر ؟[4]

تنقسم نظرية "غرايس" إلى قسمين:

1/القسم الأوّل:

يتناول المعنى وأنواعه بصورة عامة، والأهم في هذا القسم هو تفريق "غرايس" بين معنى الجملة ومعنى المتكلّم؛ فمعنى الجملة هو المعنى الحرفي أو الوضعي، أمّا معنى المتكلّم فهو مُتساوٍ لفكرة

---

[1] – علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ص: 55.

[2]– جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص: 96.

[3] –فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا، ص: 70.

[4]– المرجع نفسه ، ص: 70.

التّواصل القصدي؛ أي المعنى المقصود للمتكلّم، وهو ما أسماه "غرايس" بالمعنى غير الطّبيعي أو الدّلالة غير طبيعية، وهو المعنى المسْتَلْزمُ لجملة ما مقاميا، فبسبب المقام وملابساته تعطى الجملة معنى غير معناها الحرفي[1].

2/القسم الثّاني:

فهو تفسيره لظاهرة التّلويح أو الاستلزام الحواري وفق مبدأ التّعاون وهو ما جاء به "غرايس"[2].

فالاستلزام الحواري هو المعنى المراد به في سياق معيّن، يقوم على مبدأ التّعاون، فنجد بعض الجمل لها معنى في مقام، ويختلف معناها في مقام آخر.

أ. **فالاستلزام عند "غرايس"** :يقوم على **استلزام عرفي**، ويتمثّل في المعاني الاصطلاحية الصّريحة التي تلازم الجملة في مقام معيّن مثل دلالة الاقتضاء ويتمثّل في معاني الألفاظ التي اصطلح عليها أهل اللّغة، وهي المعاني الأصلية المباشرة، ويسمّيها الغربيون "المعنى الحرفي" (Forum)، فلا تتغيّر بتغيّر التّركيب والسّياق، وهنالك معاني غير مباشرة، وتسمّى "معنى المعنى" عند المتقدّمين، ومنها التّراكيب الاصطلاحية التي يعبّر تركيبها عن معنى مخصوص به، وبعضها يجوز فيه المعنى المباشر والمعنى المجازي مثل: طويل اليد؛ بمعنى الكرم، وقد يكون وصف يده على الحقيقة.

ومنه في الإنجليزية (Break the ice) المعنى المباشر "الحرفي"، أكسر الثّلج، والمعنى المجازي: هو مهّد الأمور مهّد الطّريق لأمر ما "[3].

وبعض التّراكيب لا يجد فيها المعنى الحرفي، ومنها فلا تعمل على معناها المباشر[1]، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ**﴾[2].

---

[1] – فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا ، ص: 71.

[2] – المرجع نفسه ، ص: 71.

[3] –محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، ص: 89.

والمقصود من الآية استحالة دخول الجنّة.

ب.استلزام حواري:

وهو متغيّر بتغيّر السّياقات التي يرد فيها، ويعدّ الحوار الحقل الفعّال والمباشر للتّفاعل اللّغوي، ويكشف عن البعد الإستعمالي لتحقيق قصد المتحاورين، ووضع "غرايس" لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري آخر سمّاه "مبدأ التّعاون" (The Co-opérature principale)؛ وهو مجموع القواعد التي يخضع لها المتحاورون لتحقيق التّواصل[3].

6 . 2أنواع الاستلزام الحواري:

1. الاستلزامات الحوارية المخصّصة:

هي المعاني المستلزمة والمتولّدة من خرق قواعد المحادثة في سياق خاص، فهذا النّوع يعتمد على سياق الكلام لإفهام القصد وفهمه؛ لذا سيكون من الصّعب فهم هذا الاستلزام ومعرفته من دون معرفة السّياق الذي نتج فيه الخطاب[4].

2. الاستلزامات الحوارية المعمّقة:

هي الاستلزامات التي تنشأ من مراعاة قواعد المحادثة لا سيما قاعدة الكمّ، وهو لا يرتبط بسياق خاص؛ لذا لا يحتاج إلى معرفة خاصة بسياق التّلفظ لإدراك المعنى الذي يستلزمه[5].

6 . 3خصائص الاستلزام الحواري:

الاستلزام الحواري عند "غرايس" له خصائص تميّزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى، وتتمثّل فيما يلي:

---

[1]– محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ ، ص: 89.

[2] –سورة الأعراف، الآية:41.

[3] – محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ ، ص90.

[4]– فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا، ص74.

[5]– المرجع نفسه ، ص76.

1-قابليته للنّسخ أو قابليته للإلغاء[1].

2-عدم الانفكاك " يقصد "غرايس" بذلك أنّ الاستلزام الحواري متّصل بالمعنى الدّلالي لما يقال لا بالصّيغة اللّغوية التي قيل بها"[2].

1)**قابلية الحسبان:** المراد بها أنّ المخاطب يخطو خطوات محسوبة يتقدّم بها خطوة خطوة للوصول إلى ما يستلزمه الكلام[3].

2)**الاستلزام متغيّر:** المقصود بالتّغير هو أنّ التّعبير الواحد يمكن أن يؤدّي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة[4].

7 /الافتراض السّابق: (Présupposition)

المعطى السّابق المتضمّن في القول "بنية الاقتضاء"، وهو ما يقتضيه اللّفظ، ويقترضه في التّركيب، أو هو الإضمارات التّداولية في التّواصل اللّساني، المعطيات والافتراضات السّابقة التي تفهم من سياق الكلام: وتمثّل الخلفية المعرفية لأطراف الحوار، وتقوم على المسلّمات الواقعية والذّهنية، وهي من العوامل التي تحقّق الفهم. [5]

مثال: قوله تعالى:﴿**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾[6]

تضمن قولها أنّها رأت منه قوّة كبيرة وصفته بها أمام والدها، وطلبت استئجاره، وأنّه أمين لما رأته من سلوكه، وكشف قولها عن إعجابها بهاتين الخصلتين فيه[1].

---

[1] – فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا ، ص 77.

[2] –المرجع نفسه ،ص77

[3] – المرجع نفسه ص 78.

[4] – المرجع نفسه. ،ص78

[5] –محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ، ص 85.

[6]– سورة القصص، الآية 27.

ويتّسع مفهوم الافتراض السّابق؛ ليشمل المعلومات العامّة، وسياق الحال، والعرف الاجتماعي، والعهد بين المخاطبين، وما يفترضه الخطاب ما مسلمات يأتي المعنى من منطلق وجودها حقيقة اعتبارا، وينقص الكلام عند غيابها[2].

8/الإشاريات:

تقترن الإشاريات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على زمرة من الوحدات التّركيبية والعوامل الدّلالية غير المنفصلة عن سياق إنتاج الملفوظ، يفهم من ذلك أنّ الإشاريات عبارة عن علامات محلية غير منفصلة عن فعل التّلفظ، وهو فعل متلفّظا يتوجّه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدّد، لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معيّن دون الوقوف عند الإشاريات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى[3].

وفي مقال لـ"جاكبسون" تحت عنوان (Stifters, Verbal categorie) and the russion verbأوضح الطّابع الكوني للإشاريات، وحضورها في اللّغات كلّها، بما فيها تلك التي تضمر بعضها، لذلك اعتبرت هذه الرّوابط من الكليات اللّغوية[4].

يتّضح ممّا سبق أنّ الإشاريات تتعلّق بالأشخاص والأشياء وحتّى الأحداث وعلاقتها بالخطاب والسّياق المحدّد.

1/8أصناف الإشاريات:

1.الإشاريات الشّخصية:

[1]– محمود عكاشة ،النظرية البراجماتية اللسانيات التداولية "دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ ،ص 85.

[2] – المرجع نفسه ، ص 86.

[3]–جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، ص 76.

[4]–المرجع نفسه ، ص77 .

تطرّق النّحاة لموضوع الإشاريات الشّخصية من خلال باب الضّمائر[1]، وقد ذكر "السّكاكي" أنّ الضّمير "عبارة عن الاسم المتضمّن إشارة إلى المتكلّم أو إلى المخاطب أو إلى غيرهما بعد سابق ذكره[2]".

المقصود من القول أنّ الضّمير عبارة أو يعادل الاسم، والإشارة والمخاطب.

أمّا "بنفست" فرأى رؤية مختلفة لمفهوم الإشاريات نظر إليها من النّاحية التّداولية، وهذا من خلال كتابه "مسائل في اللّسانيات العامّة"[3] وفي جزء مخصّص فصل "الإنسان في اللّسان" (l'homme dans la langue) وما تفرّع عنه من مباحث كطبيعة الضّمائر "Natre de pronomslac" والذّاتية في اللّسان (Dans la langage)[4].

توقّف "بنفست" عند التّميز الذي تقيمه اللّغة الفرنسية بين ثلاثة أنواع من الضّمائر هي ضمير المتكلّم "Je" وضمير المخاطب "Tu"، وضمير الغائب "il"، ويرى "بنفست" أنّ العلاقة بين الضّمائر وسياقات الكلام، مؤكّدا أنّها لا تنتمي لطبقة واحدة متجانسة[5].

يرى "بنفست" أنّ الضّمائر ليست متساوية وتؤدّي نفس المعنى، فالتّعبير عن الذّات بالضّمير "Je" يختلف معناه والمقصود هو الكلام عن التّعبير بالضّمير "Tu" وحتى ضمير الغائب "Il" فكلّ ضمير له معنى ومقصود معيّن.

2. الإشاريات الزّمانية:

أخذ الزّمن مساحة كبيرة من دراسة الإشاريات، سواء تعلّق الأمر بزمن الفعل أو بظروف الزّمان وهو ما نلمسه بعمق في كتاب "بنفست" "مسائل في اللّسانيات العامة" وتخصيص في مبحث

[1]–جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها ص 78

[2] – السكاكي ،مفتاح العلوم، ص116 .

[3]– المرجع السابق ، ص 79

[4]– المرجع نفسه، ص 79.

[5]– المرجع نفسه ، ص 79.

"علاقات الزّمان في الفعل الفرنسي" (Les relation de temps dans le verbe) إذ اتّضح لـ"بنفست" أنّ دلالة الزّمن لا تتحدّد بزمن الفعل أو الظّرف في حدّ ذاته، وإنّما بزمن التّلفّظ[1].

3. الإشاريات المكانية:

ما قيل عن الإشاريات الزّمنية ينسحب أيضا على نظيرتها المكانية، إذ إنّها لا تحمل دلالتها في ذاتها، بل إنّ معناها يتحدّد بسياق التّلفظ، مثال: " أنا جالس قرب المنزل" يظهر أنّ ظرف المكان "قرب المنزل" لا قيمة له إلّا في علاقته بمكان التّلفظ، كذلك إذ غيّر المتكلّم مكانه، وابتعد عن موضع جلوسه السّابق، سيصبح ظرف المكان مجرّد من معناه لذلك فإنّ تحديد المرجعية المكانية تفرض على المخاطب مراعاة سياق إنتاج الخطاب"[2].

4:نظرية الحجاج

1/نظرية الحجاج التّداولي:

لقد ربط الاتّجاه التّداولي الحجاج بنظرية أفعال الكلام والاستلزام الحواري، فالنّص الأدبي ليس مجرّد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث؛ بل بهدف إلى وضع المتلقّي عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السّلوكي من خلال ثنائية "إفعل ولا تفعل"[3].

علاقة الحجاج بالتّداولية تكتمل في ربطه بنظرية "أفعال الكلام" و"الاستلزام الحواري" وينظر للنص الأدبي أنّه رسالة "حجة" قابلة لتغير المتلقي ووجهة نظره، وذلك من خلال ثنائية "إفعل ولا تفعل" مع تقديم الحجة القاطعة من أجل إسقاط الخصم وإقناعه.

---

[1]- جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها ، ص: 80

[2]-المرجع نفسه ، ص: 81.

[3]- جميل حمداوي، أنواع الملفوظ السّردي في القصّة القصيرة جدّا، ، ص:51.

ويعني هذا أنّ الخطاب أو النّص الأدبي في مفهوم التّداوليات التّحليلية التي ظهرت في سنوات الخمسين من القرن العشرين مع "أوستن" في كتابه "نظرية أفعال الكلام" (1962م) و"سورل" في كتابه "أفعال اللّغة" (1969م) عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتّأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز[1].

"وموضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم لما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم"[2].

الحجاج من خلال هذا القول هدفه هو التّأثير في المستمع، وجعل الذّهن يسلم بالحجة، فالقصد من الحجاج هو التأثير في المرسل إليه من خلال الرّسالة والإطاحة بالخصم.

والحجاج هو دراسات تقنيات الخطاب، فالتّداولية بدورها تهتم بالخطاب واللّغة أثناء الاستعمال إذا من خلال هذا نستنتج أنّ العلاقة القائمة بين التّداولية والحجاج تكمن في اهتمامهما باللّغة والخطاب.

في نهاية هذا الفصل نخلص إلى النّقاط التّالية:

النّظرية التّداولية تهتم باللّغة أثناء التّواصل، كما أنّها تعطي أهمية كبيرة للسّياق، وتعتبره عنصرا أساسيا في عملية التّواصل وفي التّحليل التّداولي.

تعدّدت مصادر الدّرس التّداولي فمنها ما هو لساني محض عرفت هذه البداية مع "موريس" و"بيرس" ثمّ تلتها مرحلة أخرى كانت غير مباشرة ظهرت مع "فريجة" و"فيتغنشتاين"، ومنها ما هو مرتبط بالفلسفة التّحليلية، وبالضّبط مع الفيلسوف "أوستين" واشتهر بنظريته الشّهيرة "نظرية أفعال الكلام" ومنها ما هو سيميائي وغيره.

---

[1] – جميل حمداوي، أنواع الملفوظ السّردي في القصّة القصيرة جدّا ، ص 52.

[2].-Chain Perloman et Leuies Olberts tyteca : traite de largumentation, la nouvelle rhétorique, préface de michel meyer, 5em édition de l'université du Bruxelle, 1992, p :05.

هناك ظهور بعض الألفاظ الموحية على التّداولية في التّراث العربي القديم منها "لكلّ مقام مقال""مراعاة مقتضى الحال".

الفصل الثّاني

نظرية الحجاج النّشأة والتّطور.

*المبحث الأول:مفهوم الحجاج

*المبحث الثاني:الحجاج في الثقافة "العربية"

*المبحث الثالث:الحجاج في الثقافة "الغربية"

*المبحث الرابع:الحجاج اللغوي و نظرية المساءلة

ارتبط الحجاج منذ القديم بوجود الإنسان وحياته حتى صار فيها جبلة تغذّيها النّزعة الذّاتية اتّجاه ما يواجهه من مواقف وأحوال، وهذا يخبرنا به القرآن الكريم[1] في سورة الكهف، قال تعالى:﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا**﴾[2]

فكلمة "جدلا" في الآية تعني "المنازعة" بمعاوضة القول؛ أي هو الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه بالحجة أو بالإقناع أو بالباطل[3].

لقد بات الحديث عن الحجاج في سياق تطوّر العلوم الإنسانية في العقود الثّلاثة الأخيرة أمرا بديهيا، حيث يعتبر أحد أهم حقول العلمية التي تمّ تطويرها وإعادتها إلى الواجهة، فمن الصّعب بعد كتابات "بيرلما" و"تولمن" وكثيرين غيرهم أن يتم تجاهل هذا العلم القديم الذي أسّس له "أرسطو" (Aristote) كما أنّ حضوره الطّاغي يوميا في أغلب أنواع الخطاب "السّياسي والدّيني والإعلاني وحتّى الاقتصادي والعلمي جعل من تطوّره سواء على مستوى التّنظير أو الممارسة أمرا حتميا، خاصة مع تطور علوم الاتصال، فأصبح من السّهل إذا أن نرى ونفهم كلّ تلك النّظريات، وكلّ تلك البحوث التي انتشرت ونشطت في حقول متعدّدة، تتناول الحجاج من أبعاد كثيرة[4].

المبحث الأول : مفهوم الحجاج

1.1 الحجاج لغة: (Argumentation)

ورد في "لسان العرب" لابن منظور:

"والحجّة البرهان، وقيل: الحُجَّةُ ما دوفع به الخَصْمُ، وقال الأزهري: "الحُجَّةُ الوَجْهُ الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة.

---

[1] –نور الدّين بورناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي العربي والدّرس اللّساني الغربي– دراسة تقابلية مقارنة، ص07.

[2] –سورة الكهف، الآية54.

[3] –نور الدّين بورناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي العربي والدّرس اللّساني الغربي، ص:07.

[4] –ينظر فيليب بروتون وجيل جوثييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمّد صالح، ناجي الغامدي، مرطز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط01، 2011م، ص:09.

وهو رجل محجاجٌ أي جَدِلٌ، والتّحَاجُ التّخاصم، وجَمْعُ الحُجَّةِ:حُجَجٌ وحِجَجٌ، وحِجَاجٌ، وحَاجَّه مُحَاجَّةٌ وحِجَاجًا: نازعه الحُجَّةَ.

واحْتَجَّ بالشّيء: اتّخذه حُجَّةً[1].

الحجاج في معناه اللّغوي يدور حول الحجّة والبرهان والإقناع؛ أي الدّليل القاطع من أجل إقناع الخصم.

2/الحجاج في الاصطلاح:

تعدّدت التّعريفات بتعدّد الباحثين، وتباينت تعريفاتهم كل حسب منهجه وتخصّصه، فنجد الحجاج الفلسفي والحجاج الرّياضي والحجاج القضائي، فعند العرب القدماء مثال ما قاله ركن الدّين الجرجاني (ت 729هـ) "فالمحاجّة هي ادّعاء شيء مع الحجّة عليه"[2].

الغرض من القول هو وجود قضية محدّدة بشرط وجود أشخاص من مؤيّد ومعارض، فهناك مؤيّد للقضية يقدّم الحجج الدّالة والمقنعة، أمّا المعارض وهو "المرسل إليه" يقوم باستقبال هذه الحجج إمّا تكون بالقبول أو بالرّفض.

وعند "ابن الأثير الحلبي" الحجاج هو "احتجاج المتكلّم على خصمه بحجّة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادّعاه المتكلّم ، وإبطال ما أورده الخصم وسمي بالذهب الكلامي؛ لأنّه يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالاتهم على إبطال حجج خصومهم".[3]

أمّا في العصر الحديث، فاختلفت رؤى الباحثين المعاصرين حول مفهوم الحجاج "وبلغت حدّا من التّكاثر يجعل بعضها جديرا بالنّظر والمساءلة والتّحليل، ومن ذلك ما أشار إليه كلّ من "بيرلمان"

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادّة (ح.ج.ج)، ص 779.

-[2]محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدّراسات، بيروت، لبنان، 2014م، ص 24.

[3] -المرجع نفسه ،ص25

و"تيتكاه" حيث يمثّل الحجاج لديهما في "تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم، بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم".[1]

القصد من التّعريف هو التّركيز على التّقنية والإقناع "تقنية في اختيار الحجج والبراهين المقنعة".

وفي تعريف آخر لـ"بيرلمان" (1912م) يقول: "يعني الحجاج بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التّأثير في السّامع، فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا أول لتحقيق السّمة الحجاجية غير أنّه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألّا تهمل طبيعة السّامع أو "المتقبّل" المستهدف فنجاح الخطاب يمكن في مدى مناسبة للسّامع، ومدى قدرة التّقنيات الحجاجية المستخدمة على إقناعه فضلا على استثمار النّاحية النّفسية في المتقبّل من أجل تحقيق التّأثير المطلوب فيه[2].

إذا المفهوم العام للحجاج يدور حول الإقناع وتقديم البراهين من أجل إقناع المتلقي أو المرسل إليه، مع مراعاة الحجج وقوّتها "الخطاب" وهذا غير كاف؛ بل يستدعي الأمر مراعاة أحوال المتلقي أو المستمع وأحواله النّفسية ودرجته العلمية...وما إلى ذلك من أجل التّأثير والإقناع.

. 3الحجاج في القرآن الكريم

جاء لفظ الحجاج في مواقع متعدّدة من آيات الذّكر الحكيم، ففي سورة الأنعام يقول الله تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾[3]

وقوله تعالى:**﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾**[4] وقوله: **﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾**[5].

---

[1]-محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري،ص26

[2]-صابر الحباشة التداولية والحجاج مداخل ونصوص ،ص21

[3]- سور الأنعام، الآية: 83.

[4] -سور الأنعام، الآية: 258.

[5]-سور الأنعام، الآية: 20.

ميز الله سبحانه و تعالى الإنسان بالعقل عن سائر المخلوقات ،و جعله مناط التكلف و جب عليه (الصيام و الصلاة والحج وغيرها من الفرائض.) أما المشركين الراغبين عن دين الإسلام فخاطبهم عز من قال:

" ﴿**وَ إِذاَ قِيْلَ لَهُمْ اِتبِعُوْا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوْا بَلْ نَتبِعْ مَا أَلْيْفنَا عَلَيْهِ أَبَائُنَا أَ وَلَو كَانَ أَبَاؤُهُم لَا يَعقلُونَ شَيْئًا وَ لَا يَهْتَدُونَ**﴾"[1]

" (و إذا قيل) لهؤلاء الكفرة من المشركين (اتبعوا ما أنزل الله) على رسوله ، و اتركوا ما أنتم فيه من الضلال و الجهل ، قالوا في جواب ذلك (بل نتبع ما ألفينا) أي : وجدنا (عليه أبائنا) أي :من عبادة الأصنام و الأنداد قال الله تعالى منكرا عليهم :(أو لو كان آباؤهم) : أي الذين يقتدون بهم و يقتفون أثرهم (لا يعقلون شيئا و لا يهتدون)"[2]

و في موقف آخر يقول سبحانه و تعالى:"

﴿**يَسْأَلُوْنَكَ عَنِ الخَمْرِ وَ المَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيْرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ يَسْأَلُوْنَكَ مَاذاَ يُنْفِقُونَ قُلْ العَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِنُ اللهَ لَكُمْ الآيَاتَ لَعَلَكُمْ تَتَفَكَرُونَ**﴾"[3]

"أما الخمر فكما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،انه كل ما خامر العقل ...أما أثمهما فهو في الدين ، و أما المنافع فدنيوية ،من حيث إن فيها نفع البدن ،و تهضيم الطعام ، و إخراج الفضلات ،وتشحيذ بعض الأذهان ...و لكن هذه المصالح لا توازي مضرته و مفسدته الراجحة لتعلقها بالعقل و الدين ، و لهذا قالوا أثمها أكبر من نفعها " [4]

الآية بمثابة حجة و دليل قاطع على تحريم الخمر و الأضرار التي يسببها للصحة و المجتمع.

جاءت لفظة الحجاج في القرآن الكريم مرادفتا" للبرهان و الجدل" من ذلك قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَى الَّذِيْ حَاجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِي رَبِّهِ أَنْ أَتَاهُ اللهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ رَبِيَ الَّذِي يُحْي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَاَ أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ**

[1] –سورة البقرة ،الاية170

[2] –ابن كثير ،تفسير القرآن الكريم ، ج1،ص26

[3] –سورة البقرة ،الاية219

[4]– ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ،ج1،ص 34

إِبْرَاهِيْمُ فَإِنَ اللهَ يَأتِي بِالشَمْسِ مِنَ المَشْرِقْ فَأتِي بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ والله لَا يُهْدِي الْقَومَ الظَالِمِيْنَ "[1]

" هذا الذي حاج إبراهيم في ربه وهو ملك بابل نمرود بن كنعان ، قال مجاهد :وملك الدنيا مشارقها و مغاربها أربعة مؤمنان و كافران ،فالمؤمنان :سليمان بن داود و ذو القرنين ، و الكافران نمرود بن كنعان و بختنصر فالله أعلم .

ومعنى قوله (ألم تر) أي بقلبك يا محمد (إلى الذي حاج إبراهيم في ربه)أي :في وجود ربه و ذلك أنه أنكر أن يكون ثم اله غيره كما قال بعه فرعون ، وما حمله على هذا الطغيان و الكفر الغليظ و المعاندة الشديدة إلا تجبره ، و طول مدته في الملك ، و ذلك أنه يقال إنه مكث أربعة مائة سنة في ملكه ، و لهذا قال :" أن أتاه الله الملك" و كأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم :"ربي الذي يحي و يميت " قال المحاجج و هو النمرود " أنا أحيي و أميت " قال قتادة و محمد بن إسحاق و السدي و غير واحد : و ذلك أني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل ، و بالعفو عن الآخر فلا يقتل فذلك معنى الأحياء و الإماتة . و الظاهر و الله أعلم أنه ما أراد هذا ... ولهذا قال إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة :"فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب" أي إذا كنت كما تد.عي من أنك (أنت الذي) تحيي و تميت فالذي يحي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته و تسخير كواكبه وحركاته ، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ،فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي و تميت فأتب ها من المغرب . فلما علم عجزهو انقطاعه ، و أنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت في هذا المقام بهت أي: أخرس فلا و قامت عليه الحجة "[2]

[1]-سورة البقرة الآية 258

[2]-ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،تح سامي بن محمد السلامة ،دار طيبة ،ط21999،ج1،ص 43

و في موطن آخر ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعنى الجدل ،يحمل صيغة جدلية من ذلك قول عزّ من قال : ﴿ **وَ لاَ تُجَادِلْ الَّذِينَ يَختانون عَنْ أَنْفُسِهم إِنَ الله لَا يُحِبُ مَنْ كاَنَ خَوَاناً أَثِيْمًا**﴾[1].

تفسير الآية :(قال أبو جعفر :يعني بذلك جل ثناؤه "ولا تجادل" يا محمد فتخاصم " عن الذين يختانون أنفسهم "،يعني يخونون أنفسهم ،يجعلونها خبونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله و هم بنو أبيرق.

يقول لا تخاصم عنهم من يطالبهم بحقوقهم و ما خانوه فيه من أموالهم .تفسير قوله تعالى

"إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما" يقول :إن الله لا يحب من كان من صفته خيانة الناس من أموالهم ،و ركوب الإثم في ذلك و غيره مما حرم الله عليه ،و بالنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ...حدثنا الحسن بن يحي قال ،أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر ،عن قتادة :"و لا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم " ،قال :اختان رجل عما له درعا ،فقذف بها يهوديا كان يغشاهم ، فجادل عمُّ الرجل قومه ، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم عذره ، ثم لحق بأرض الشرك .)[2]

والجدال هو:"المفاوضة على سبيل المنازعة و المغالبة "[3].

وقال الجرجاني:" الجدل دفع المرأ خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه "[4]

وقال أيضا :"الجدال هو عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب و تقريرها"[5]

---

[1]- سورة النساء ،الاية107

[2] الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن ’تح عصام فارس الحرستاني و بشار عواد معروف ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط1،1994 ،مج2،ص550-

[3] راغب الأصفهاني ،المفرادات في غريب القرآن ،،تح صفوان عدنان الداودي ،دار القلم ،الدار الشامية ،بيروت دمشق – ،ط1،1414هـ،ص189

[4] –الشريف الجرجاني ،التعريفات ،محق،مجموعة من العلماء،دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط1،1983،ص74

[5] –المصدر نفسه ،ص75

و في موضع آخر من الذكر الحكيم جاء الحجاج على شكل برهان من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1].

من خلال الآية :

"يبين الله تعالى اغترار اليهود و النصارى بما هم فيه ، حيث ادعت كل طائفة من اليهود و النصارى أنة لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها ،كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالو ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَ أَحِبَاؤُهُ** ﴾ (**المائدة :18**)

"فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم ، و لو كانوا كما أدعو لما كان الأمر كذلك ، و كما تقدم من دعواهم انه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة ،ثم ينتقلون إلى الجنة ،ورد عليهم تعالى في ذلك ،و هكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل و لا حجة و لا بينة ، فقال (تلك أمانيهم).

وقال أبو العلية : أماني تمنوها على الله بغير حق ، وكذا قال (قل أي : يا محمد هاتوا برهانكم) و قال أبو العلية و مجاهد و السدي و الربيع بن أنس :حجتكم و قال قتادة :بينتكم على ذلك (إن كنتم صادقين) كما تدعونه ."[2]

فالنص القرآني يحمل صيغة حجاجية قوية أذهلت عقول كفار قريش و مازالت قائمة إلى يومنا هذا ،كيف لا و هو قول "الرحمان" قول صالح لكل زمان و مكان حججه قائمة ليبطلها علم و لا زمن فسبحان من خلق و دبر .

[1]-سورة البقرة ، الآية 111

[2]- ابن كثير ،تفسير القرآن العظيم ،ص 17

4.بين الإقناع والحجاج

يعدّ الإقناع إحدى جهات القول الأساسي للتّواصل الذي يكون القصد منه، إمّا التّعبير عن إحساس أو حالة أو عن نظرة فريدة إلى العالم أو إلى الذّات أو إلى الكون...أو يكون القصد منه أيضا الإقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما[1].

تتنوع وسائل الإقناع وذلك من أجل التّواصل ومن أجل تحقيق هدف محدّد وهو إقناع المتلقي باستعمال حجج متنوعة مختلفة حسب درجات القوة الحجاجية، وهذا المخطط يبيّن عملية التّواصل[2].

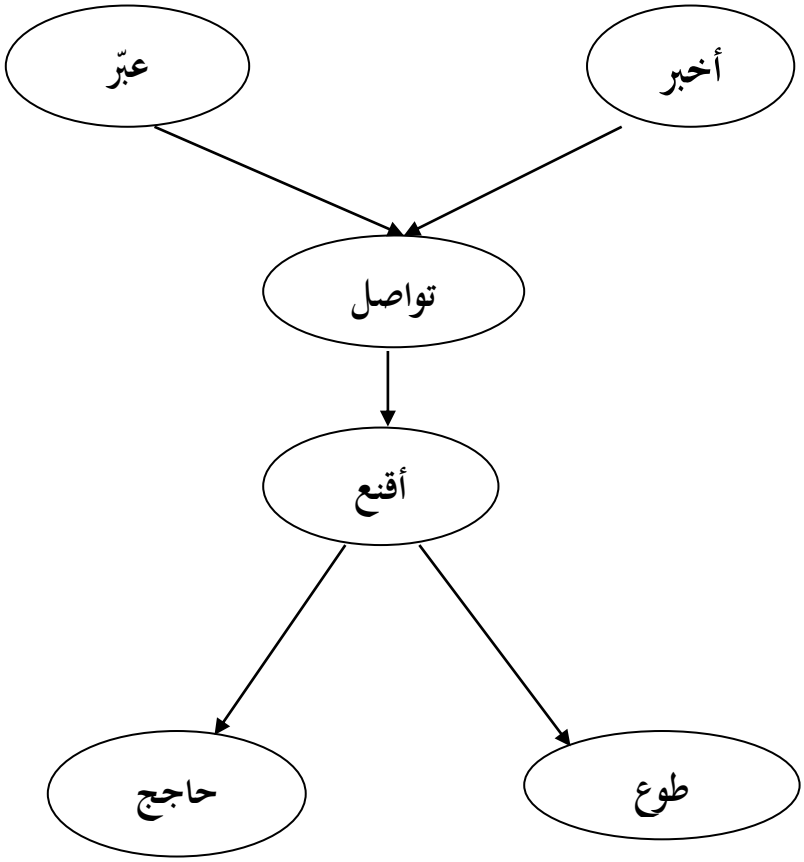

[1]-ينظر فيليب بروطون، الحجاج في التّواصل، تر: محمّد ميشال وآخرون، الهيئة العلمية المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط، 2013م،ص: 18.

[2] -المرجع نفسه، ص: 19.

5:بين الحجاج والجدل:

يعرّف "أرسطو" الجدل فيقول:

"يبنى الجدل على مقدّمات ظنّية هي أقوال عامّة مشهورة غير يقينية، فيها نسبة من الصّدق؛ تعظم أو تضعف وهو ما يبرّر الحاجة إلى إثبات صدقها بنقض المخالف لها[1].

ويعرّفه "طه عبد الرّحمن" الحجاج فيقول:

" إنّه فعالية تداولية جدليه فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضا جدلي لأنّه هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أو سعى وأغنى من البنيات البرهانية الضّيقة[2].

و في تعريف آخر :

" هو فعل المدافعة ليظهر الحق ؛ أي دفع السائل قول المعللِ و دفع المعلِلِ قول السائل ، و علم الجدل هو العلم الذي يعرف فيه صحيح الدفع و فاسده و بعبارة أخرى الجدل كفعل رد للخصم عن رأيه إلى غيره بالحجة ، و الجدل كعلم آية يتوصل بها إلى حمل الخصم على العدول عن رأيه إلى غيره بدليل أو قانون صناعي يعرف أحوال الباحث من الخطأ و الصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر و المناظر 'المعلل و السائل) الشك و الارتياب "[3]

يتّبين من خلال التّعريفات أنّ الحجاج والجدل لهما قاسم مشترك وهو الإقناع، وكلاهما مشترك في تقديم الحجج والبراهين، ويضيف "طه عبد الرّحمن" ربط مصطلح الحجاج بالتّداولية، وأنّ طابع الحجاج الفكري هو اجتماعي محض، والحجّة المبنية للجدل هي حجّة واقعية لها علاقة بالواقع وبالظّروف التي يعيشها كلّ من المرسل والمتلقي أي؛ مراعاة مقتضى الحال.

---

[1]-عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، خصائصه وتشكلاته الاجناسية في نماذج من التّراث اليوناني والعربي، ط01، 2013م، ص 63.

[2] -فضيل ناصر، الحجاج من اللّغة إلى الخطاب، قراءة في أعمال أبو بكر العزّاوي ،ص 100

حمو النقاري ، منطق الكلام من منطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ،دار الأمان الرباط ،المغرب،ط1 ،2005،

[3]-ص 366

المبحث الثاني :الحجاج في الثقافتين "العربية "

1. الحجاج عربيا:

1/1الحجاج عند العرب القدماء:

من المعروف أنّ الدّرس العربي خصوصا في القديم أو في التّراث له خصوصية، وذلك راجع لعدّة عوامل من بينها العوامل الاجتماعية "وقد رسم ذلك النّظام المعرفي العربي لنفسه مسارا في رؤيته لذاته وللمنتمين إليه، وحواره مع العالم إذاك، من خلال جملة من الأدوات التي هي من جملة الثّوابت المحدّدة، والقيم الموجّهة اللّغوية والعقدية والمعرفية التي تختصّها بها الممارسة الإسلامية العربية ومن بين هذه الأدوات المعرفية المهمّة في المدوّنة العربية الثّقافية القديمة الحجاج"[1].

من أهم الأعلام في التّراث العربي الذين اهتموا بالحجاج نذكر منهم:

1. أبو نصر الفرابي (ت 339هـ):

يعدّ الفرابي من أهم الفلاسفة في السّاحة العربية، هذا العالم ساهم في تكوين نظرية الحجاج "ولأنّ النّظرية الحجاجية لدى هذا العالم الفيلسوف هي فضاء واسع جدّا؛ يشمل الحجاج الخطابي والجدلي، والسّفسطائي، إلّا أنّها تنتمي جميعا إلى كيان واحد وهو كيان "التّفاعل الحواري" لدى الفرابي.

كما سمّاه الدّكتور "حمو النّقاري"، وإذا تبيّن هذا على نحو عام، فيمكن أن تسأل على نحو خاص ما هي أبرز التّفاعلات الحوارية التي يمكن أن تقوم بين طرفين أحدهما يسأل والآخر يجيب أو ما هي مختلف مقامات السّؤال والجواب، المقامات التي يمكن للملكة الحجاجية أن تظهر فيها"[2].

---

[1]-محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، ص71.

[2]-ينظر: حمو النقاري ، منطق الكلام من منطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي ص76.

فمقام الحوار العلمي لدى "الفرابي"، هو أحد مقامات الحوار المتميّزة، فهو مباين لمقام الحوار الجدلي، ولمقام الحوار الخطابي، البلاغي، ولمقام الحوار المغالط والملبس[1].

وأهم ما يمكن الحديث عنه في سياق الدّرس الحجاجي عند "الفرابي" فكرة الكفاءة الحجاجية لدى المتحاجين وتحديدا في الحجاج العلمي فمبدأ الكفاءة قد عدّه "الفرابي" خطّ الدّفاع الأوّل عن الفكرة التي آمن بها هذا الطّرف أو ذاك، والمقصود بالكفاءة هنا جميع أنواع الكفاءة: الكفاءة الألسنية، والموسوعية، والمنطقية، والبلاغة التّداولية التّواصلية[2].

كما جعل "الفرابي" ثلاثة شروط من أجل تحقيق "الكفاءة" وهي:

1. شروط الإحاطة العلمية والقدرة على التّبليغ[3].
2. شرط القدرة على الإنتاج العلمي[4].
3. شرط التّمكّن من الحجاج العلمي دفعا لكلّ أنواع الاعتراض والمعارضة الواردة عليه[5].

2 أبو هلال العسكري(ت 395هـ) :

يعتبر أبو هلال العسكري إماما من أئمة البلاغة العربية ، و رائدا من رواد الأدب العربي كانت له بعض الملامح حول الحجاج في كتابه "الصناعتين "يقول في تعريفه للبلاغة :"البصر بالحجة"[6]

وفي تعريف آخر يقول :" البلاغة قصد إلى الحجة"[7]

---

[1] –ينظر حمو النقاري ، منطق الكلام من منطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصول، ص 77.

[2] – المرجع نفسه ص: 78.

[3] –المرجع نفسه، ص: 79.

[4] –محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، ص: 79.

[5]– المرجع نفسه، ص: 79.

أبو هلال العسكري ،الصناعتين ،مح علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة العرية ،بيروت [6]،ط2006،1،ص47

[7]–المصدر نفسه ، ص51

ويضيف إلى ذلك " البلاغة قول مفقه في لطف ، فالمفقه المفهم ، و اللطيف من الكلام ،ما تعطف به القلوب النافرة ، و يؤنس القلوب المستوحشة، و تلين به العريكة الأبية المستعصية ، و يبلغ به الحاجة ، و تقام به الحجة ، فتخلص نفسك من العيب ، و يلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه و تقلقه ، و تستدعي غضبه ، و تستثير حفظته".[1]

الكلام البليغ المؤنس الفصيح الذي يستطيع فهمه المتلقي هو الكلام الذي تقام عليه الحجة في نظر العسكري ، فلا يستطيع المحاجج تقديم حجته وكلامه غير مفهم معقد مستعص.

3 ابن وهب ت(355هـ)

يعتمد ابن وهب على المنهج العقلي و الفكري ، "كما يدعو إلى إعمال العقل و اعتباره حجة الله على خلقه ،و الدليل لهم إلى معرفته وهو منطلق الحجاج و الاحتجاج ،ربط ابن وهب الحجاج بوجوه البيان من خلال كتابه (البرهان في وجوه البيان) ، ففي تفصيله لوجوه البيان يبين ابن وهب أهمية العقل و إعماله عند الإنسان ،فبالعقل فرق بين الخير و الشر ،وبين النفع و الضر ، و أدرك به علم ما غاب عنه و بعده منه . و لله على عباده حجتين :حجة ظاهرة في الرّسل، و حجة باطنة في العقل ، و هو صنفان : موهوب و هو الأصل ، و مكسوب وهو الفرع . و الأشياء بأصولها ، فإذا صلحت صلح الفرع ،و إذا فسدت فسد الفرع . لذلك لم يخاطب إلا من صح عقله ، و اعتدل تمييزه فدليل العقل الفكر و بالفكر و الاعتبار يتقى الزلل و العثار [2]"

وفي تعريفه للجدل يقول ابن وهب:

" أما الجدل و المجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المجادلين ، و يستعمل في المذاهب و الديانات و في الحقوق و الخصومات و التنصل و الاعتذارات " [3]

---

[1] -أبو هلال العسكري ،الصناعتين ،مح علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ص 49

[2] -ينظر مبروك صيشي ، توجهات مفهوم الحجاج في التراث البلاغي العربي ،مجلة إشكالات ،عدد1،مج 7،2018 ،ص 303

[3] -أبو إسحاق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تح جفني محمد شرف ،مطبعة رسالة العابدين ، مصر ، دت ، د ط ، ص222

يقسم ابن وهب البيان إلى أربعة أوجه تبين مواطن الحجاج وهي على النحو التالي:

البيان الأول:

"بيان الاعتبار ، فالأشياء تبين بذواتها ، و إن لم تبيّن بلُغاتها ، و تثعبّر بمعانيها لمن اعتبر و بعض معانيها ظاهر ليس بحاجة لإعمال الفكر فيُدرِك بالإحساس كاستشعار برودة الأجسام أو سخونتها ، و تمييز الأصوات المختلفة أو غيرها كما يمكن أن يدرك بالنظر العقلي ، كتبيين أنّ الزّوج خلاف الفرد و بعضه باطن محتاج إلى أن يستدل عليه ، و المتمثله في : القياس أو الوقوف على أحكامه من جهة الخبر" .[1]

فهذا النوع من الحجاج يحمل نوعا من الطبع و الفطرة ،"و إذا كان الحجاج ينبني على مقدمات تنتهي بنتائج فإن القياس عنده بمثابة نتيجة لقول تقدم ، و يشمل كل من التمثيل و التشبيه و هو يختلف هنا مع المناطقة الذين يرون وجوب وجود مقدمتين فأكثر حتى يتم القياس ، ويرى أن ذلك من لغة العرب مثل قولنا : إذا كان الحي حساسا متحركا (مقدمة) الإنسان حي (نتيجة) "[2]

أما البيان الثاني فهو:

"بيان الاعتقاد و هو نتيجة البيان الأول و يحصل في القلب عند إعمال الفكر و اللُّب . فما ثُبت من معاني أضحت من الاعتقاد ، وله ثلاثة أضرب :

أ_حق لاشبهة فيه : وهو علم اليقين الذي يظهر عن مقدمات قطعية ، أو مقدمات ظاهرة في العقل أو عن مقدمات خلقية مسلم بها عند الجميع ، أو سمع من الأنبياء والأئمة

ب_**علم مشتبه فيه** :يحتاج إلى تقوية و تثبت بإقامة الحجة على صحته، والاستدلال عليه بحجة إقناع لا برهان ، و هي موجبة للعمل على من صحت عنده ، و لا توجب العلم بحقيقة الأشياء

[1] –ينظر مبروك صيشي ، توجهات مفهوم الحجاج في التراث البلاغي العربي ،ص304

[2]– المرجع نفسه ،ص نفسها

ج_باطل لا شك فيه :و هو ما ظهر عن مقدمات كاذبة ، مخالفة للطبيعة مضادة للعقل . و يمثل لذلك باعتقاد السفسطائيين ، أنه :"لا حقيقة لشيء من الأشياء ، وأن الأمور كلها بالظن والحسبان " ويَرُد ذلك بقوله أن "اعتقادهم حقيقة ما يقولون دليل على أن للأشياء حقائق في أنفسها" مبطل لدعواهم ، ووجه الحجاج في هذا النوع من البيان يكمن في الضرب الثاني منه ، لأن الأول قطعي الثبوت لا يحتاج دليل، والثالث باطل لا يصح الاحتجاج له، إلا بحجج كاذبة تضاد العقل . فالتحاج إنما يجب لتقوية الضرب الثاني "علم مشتبه فيه "، و حججه تكون من قبيل حجج الإقناع لا البرهان..."[1]

4 أبو الوليد الباجي (1013هـ – 1082هـ):

أحد أعلام الدّرس الحجاجي وصاحب كتاب "المنهاج من ترتيب الحجاج" السّبب الذي دفع "الباجي" لتأليف كتابه "هو تكوين محض للمشتغلين بالصّناعة الأصولية والفقهية صرح بذلك فقال:" فإنّي لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين، حائضين فيما لم يبلغهم علمه ولم يحصل لهم فهمه، مرتكبين ارتباك الطّالب لأمر لا يدري تحقيقه ...أزمعت إلى أن أجمع كتابا في الجدل[2].

أمّا الفكرة الثّانية فهي فكرة التّكوين الحجاجي، وأثر ذلك على مستوى الفقيه في ممارسة الفقهية التّبليغية، حيث يقول "الباجي" "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا، وأعظمها شأنا؛ لأنّه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت بحجّة، ولا علم الصّحيح من السّقيم ولا المعوج من المستقيم"[3]. نظرية الحجاج عند "الباجي" تقوم

[1]– مبروك صيشي ،توجهات مفهوم الحجاج في التراث البلاغي العربي ،ص305

[2] –المرجع نفسه ، ص: 81.

[3]– مبروك صيشي ،توجهات مفهوم الحجاج في التراث البلاغي العربي ، ص: 82.

على "أثر التّكوين الحجاجي عند علماء الأصول والفقهاء ومراعاة الشّروط واجب التزامها من طرف المجادل مثل "حسن التّعامل، الأداء اللّغوي، حيث ينبغي للمنظّر أن يقدّم على جدله تقوى الله..."[1].

2. الحجاج عند علماء العرب المحدثين:

كانت هناك أفكار لدى العلماء القدامى حول نظرية الحجاج بالمقابل نجد نظرية الحجاج عند العلماء المعاصرين قد نضجت، إنقسم الباحثون إلى فريقين "فريق ينتمي إلى المدرسة المصرية ، و الفريق الثاني ينتمي إلى المدرسة المغربية".

1:المـدرسة المـصرية:

تعتبر هذه المدرسة "رائدة النزعة الإيحائية و التطويرية سواء على مستوى الإبداع الشعري أو النثري و على مستوى التنظير النقدي عامة و البلاغي خاصة،لقد بدأت في هذه المدرسة _في وقت مبكر_محاولات إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء المقولات النقدية المعاصرة؛ و كانت تلك المحاولات ، بالطبع متفاوتة بحسب الروافد المتوفرة من مقتضيات الخطابين الأدبي و الإبداعي في كل فترة "[2]

1:صلاح فضل :

" المتتبع لحركة البحث في البلاغة المعاصرة داخل المدرسة المصرية سيجد أن كتاب " بلاغة الخطاب و علم النص " (1992) للدكتور صلاح فضل يعد من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية العربية التي تهتم (ببلاغة الحجاج) و برائدها بيرلمان"[3]

مساهمة صلاح فضل في البلاغة المعاصرة تنقسم إلى ثلاثة أقسام و هي :

1:المرحلة البنيوية

---

[1] –محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، ص: 83.

[2]–محمدسالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص217

[3]– المرجع نفسه ،ص 220

2/المرحلة التحليلية القرائية

3/المرحلة البلاغية النصية و هذه الأخيرة هي أساس الانطلاق (لنظرية الحجاج) [1]

يؤيد صلاح فضل "**Richards.I.A**"**في** تعريفه للبلاغة يقول :

" من الواضح أن البلاغة القديمة ثمرة الجدل و المناظرة ؛ و قد تطورت على أساس أنها بسط لمبادئ الدفاع و الإقناع، فهي إذا نظرية المحكات اللفظية "[2]

"فالبلاغة المعاصرة انفتحت بفضل التداخل المعرفي على العديد من الحقول المجاورة ،...فالتحليل البلاغي الحديث يختلف جوهريا عن البلاغة القديمة في رصدها للأشكال المختلفة كجزئيات متشذرة لا علاقة بينها و لا تفاعل فيها ، بحيث تبدأ البلاغة الجديدة من النص ثم لتقوم بتحليله ورصد مكوناته و رسم درجات كثافته و أنماط توظيفه لمختلف الأشكال الفعلية "[3].

بسبب الانفتاح الذي عرفته البلاغة الجديدة و اهتمامها بالبنية ، كل هذا دفع إلى ظهور اتجاهات عديدة من بينها التيار الحجاجي الجدلي رغم أقديمته في الظهور لكن مع البلاغة الجديدة برز بشكل واضح. فالحجاج "يعبر عن غايات فنية اجتماعية و ثقافية ، وذلك من حيث الآليات التي بها يُدفع المخاطبون إلى تحقيقها و إنجازها ، و هذا ما جعل ظلاله النفعية حاضرة بنسب متفاوتة ...خاصة في المنهج التداولي "[4]

تأثير المدرسة البلجيكية على محمد صلاح من خلال دراسته للحجاج فجعلت "من دراسة الحجاج ومتعلقاته مبحثا لغويا بلاغيا فلسفيا ابستملوجيا تساهم فيه أغلبية فروع العلوم الإنسانية

[1]- محمدسالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص224،226

[2]- آيفور أرمسترونغ ريتشاردز، فلسفة البلاغة ،تر سعيد الغانمي و ناصر الحلاوي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ، دط،2002، ص32

[3] -المرجع السابق ،ص226،227

[4]- المرجع نفسه ،ص226

والمكونات الثقافية و الحضارية في مجتمع معين ؛ لأن العملية الحجاجية ليست إجراءا بسيطا _ و لا ينبغي أن ينظر إليه أنها كذلك_بل هي على العكس "[1]، "دراسة لتقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته "[2]

كما يؤكد صلاح فضل "أن مقياس التأثر والإقناع من قيل المخاطبين ليس المعيار الوحيد لنفاذ الخطاب و نجاعته ،إذ إن ثمة أبعادا عقلية نمطية لا بد من الاهتمام بها في الأبنية الحجاجية ،لأن هذه الأخيرة تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات والضغوط والمصالح والأهواء وبذلك يتضح لنا أن هذه التقنيات البرهانية الحجاجية تبدو على كل المستويات،سواء كان الأمر يتعلق بنقاش عائلي أم بحوار جدلي في وسط مهني متخصص أم بمحاورة إيديولوجية"[3]

في نظر صلاح فضل أن التأثير والإقناع ليس بالضرورة معيارا ثابتا لنجاح عملية التواصل و نفاذ الخطاب ،بل هناك أبعاد أخرى تتخطى ثنائية" التأثير و الإقناع"

يعتمد صلاح فضل على التحليل الفلسفي للأبنية الحجاجية "لأنه إذا كان الحجاج فعالية خطابية و تداولية وبلاغية فإن القول الفلسفي يشكل حقلا و انجازا خاصا لهذه الفعالية ، و لا يتعلق الأمر هنا بمقاربة فلسفية خارجية للحجاج أو للخاصية الاستدلالية ،بل ببعده الجوهري في الفلسفة سواء اعتبرناها فلسفة أو تفكيرا ، و عليه ،فمن المحال تصور مذهب فلسفي أو تحليل فلسفي معدم الحجج أو الحجاج بغض النظر عن أساليب هذا الحجاج و قيمته "[4]

مما سبق نخلص إلى أن صلاح فضل هو الممثل الفعلي للمدرسة المصرية ،كما نلاحظ تأثره بالمدرسة البلجيكية و هذا واضح من خلال كتابه "بلاغة الخطاب و علم النص "، أما البوادر الأولى للحجاج اكتملت معه من خلال كتابه.

---

[1]- محمدسالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص229

[2]-صلاح فضل ،بلاغة الخطاب و علم النص ،ص 76

[3] -المرجع السابق ،ص230

[4] -المرجع نفسه،ص230

2:المدرسة المغاربية:

انقسمت المدرسة المغاربية بدورها إلى قسمين "التونسية" و" المغربية"

1/2المدرسة التونسية :

تعتبر هذه المدرسة من المدارس التي اهتم أعضاؤها منذ وقت مبكر بالدراسات الأسلوبية عامة والبلاغية خاصة، من أهم أعضائها نذكر كلا من عبد السلام المسدي و حمادي صمود.[1]

1حمادي صمود :

"حمادي صمود هو من الباحثين العرب المعاصرين القلائل الذين تبنوا البلاغة بمفهومها الواسع (الشرقية و الغربية ،القديمة و المعاصرة) خيارا بحثيا منذ فترة السبعينيات ، وعلى وجه التحديد عند ظهور أطروحته التفكير البلاغي عند العرب ،أسسه و تطوره إلى القرن السادس "[2]

انقسمت المرحلة النقدية عند حمادي صمود إلى قسمين:

أ:المرحلة النقدية

يرى حمادي صمود أنه كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج و الجدل المنطقي ،بدلا من القتل و العراك و تعطي لأول مرة في التاريخي النقد الأدبي مكانة للحدث الكلامي من جهة و للمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب ،على اعتبار أن عملية الإبداع و التأليف ليست سهلة ،بل تتطلب إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى نفسية و اجتماعية و مقامية متعددة .[3]

يقسم حمادي صمود المراحل النقدية إلى ثلاثة أقسام و هي "المفاهيم و المنهج و الإجراء ، أما المفاهيم يقصد بها جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم

[1]-ينظر: محمد سالم محمد الأمين طلبة ،الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة ،ص271

[2] -المرجع نفسه ،ص272

[3]- المرجع نفسه ،ص272

ماهيته و سعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن ، على اختصارها ، أدف أبعاده الأصولية "[1]

أما القسم الثاني هو المنهج و يقصد به " الأسس و الطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية و الوقوف على أسباب تلك البلاغة و أسرارها "[2]

و القسم الثالث أطلق عليه اسم الإجراء و هو "مختلف المقاييس التطبيقية التي حددوا بها بلاغة النص و جودته على صعيدي الشكل و المضمون ، و دور الصورة الفنية في هذه الأحكام ، و البحث في ملابسات إنجازه أم أن أسس الحكم التي طرحتها فترة التأسيس بقيت مستحكمة في ذوقهم الأدبي "[3]

ب/ مرحلة الاهتمام بالحجاج

تبدأ هذه المرحلة مع فريق بحث الذي شكل لتقصي بلاغة الحجاج في التقاليد الغربية ، و الذي نشر أعماله في 1998م[4]

يعتبر حمادي صمود أن بلاغة الحجاج هي "أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم و أكثرها أهمية بالنسبة إلينا "[5]

بلاغة الحجاج من هذا المنظور تهتم بكل الجوانب المحيطة بالخطاب من ظروف داخلية و خارجية التي تساعد في فهم الرسالة .

– حمادي صمود ،التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره الى القرن السادس (مشروع قراءة) ، منشورات الجامعة التونسية ، [1]المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، 1981 ، ص392

[2]– المرجع نفسه ،ص393

[3]– المرجع نفسه ،ص 392

[4]–محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص276

[5]–حمادي صمود ، من تجليات الخطاب البلاغي ، دار قرطاج للنشر و التوزيع ،تونس 1999، ط 1 ص 8

يقول حمادي صمود:"علاقة بين طرفين (أو عدة أطراف) تتأسس على اللغة و الخطاب ،يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا "[1]

وهناك مجموعة من الوسائل التي تساعد على التأثير "متعددة منها ما هو متعلق بالمتكلم و منها المتعلق بالمخاطب و منها الخاص بالمقام ، و منها و هو الأغلب الأعم ما يأتي من اللغة ذاتها"[2]

صنف حمادي صمود أسس الخطابة إلى ثلاثة أسس و هي كالتالي :

1:البصر بالحجة

" و تعني حسن الاختيار و التقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى ،حتى يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن دائرة فعلها "[3]

2:تركيب الأقسام :"

أي ترتيب الحجج التي اختارها المتكلم بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفاعلية :فللمقدمة بناؤها الحجاجي ، و للوسط كذلك لغته و حججه، و كل ذلك يصب في الخاتمة التي ينبغي أن تلخص كل ما سبق في لغة قوية متلاحقة مختصرة تدفع السامع إلى انجاز مضامين الخطاب أو على الأقل الوقوف منه موقوفا ايجابيا "[4]

3:العبارة :

[1] – حمادي صمود ، من تجليات الخطاب البلاغي ،ص8

[2] – محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص276

[3]– المرجع نفسه ،ص 276

[4]–المرجع نفسه ،ص 276

"حيث يعقب اختيار الحجج و ترتيبها البحث عن الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين و توصيلها على أكمل وجه ،لذا فلا غرو أن يلقى هذا القسم أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على حساب الأقسام الأخرى ،مما ساعد على فترة معينة على تما هي الحدود بين الخطابة و الأدب "[1]

يستغرب حمادي صمود من العرب القدامى خاصة البلاغيين في تفسيرهم و دراستهم لإعجاز للقرآن الكريم [2] "أرجعوه إلى الشكل و الهيأة و تصارف الكلام ، و لم يدر بخلدهم أن يأتي إعجاز القول أيضا من الحجج التي يبنيها ، و السياسة التي ينتهجها في ترتيبها لتتضافر مع الشكل و الهيئة فيبلغ النص من مسامعه مقصده"[3]

ويزداد استغرابا عندما يدرس كتاب (البيان و التبيين للجاحظ) " وهو من أهم النصوص المؤسسة للبلاغة العربية ، وقد كتبه الجاحظ من منطلق حجاجي مناظراتي بهدف إقامة بلاغة للحجاج كانت الحاجة إليها ماسة أيام الصراعات المذهبية الفكرية ، فيجده في كتابه يهتم بأطراف العملية الخطابية من متكلم و سامع ونص ، كما يجده يذكر للخطابة وظائفها منها "الاحتجاج على أرباب النحل" و البصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة "[4].

"و بالتالي يمكن القول إن الحجاج خاصة و البلاغة المعاصرة بصفة عامة لا تقف في نظر صمود على دراسة آليات التأثير و التأثر بل تتجاوز ذلك لدراسة التغييرات التي جدت و التي يمكن أن تجد على ثنائية النص و الخطاب في علاقتهما بالواقع وبالمخاطبين من جهة ، و علاقتهما بالثورة التقنية التواصلية سريعة الخطى من جهة ثانية ."[5]

---

[1]- محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصر - ،ص277_276

[2]المرجع نفسه ،ص277-

[3] - حمادي صمود ، من تجليات الخطاب البلاغي ،ص110

[4]-محمدسالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص278-

[5]-المرجع نفسه ،ص284_285

2:المدرسة المغربية:

1 محمد العمري

اهتم بالبلاغة العربية القديمة، باحثا في نصوصها الإبداعية الشعرية و النثرية و ما يتصل بهما من خطابات نقدية، عن علاقات التداخل والترابط بين هاتين الصناعتين و دورهما في بلورة مفهوم البلاغة العربية .ويستعين محمد العمري في عمليته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي قد لا يوافقه عليه أستاذه محمد مفتاح ...يجمع إلى القديم و عيا جيدا بالبلاغة المعاصرة ،وإحساسا مبكرا ببلاغة الحجاج "[1] ، انطلق في مشروعه من منظور أن البلاغة تحمل طابعا إقناعيا تداوليا و بهذا تصبح علما جديدا يركز على التخيل و الحجاج [2]

وتظهر جهود العمري في هذا المجال من خلال مؤلفاته و ترجماته منها :[3]

–كتابه "في بلاغة الخطاب الاقناعي 1986"

–ترجماته المتعددة لجان كوهين 1986 وهنريش بليت1989 وفاركا كبدي 1992 ومارسيلو داسكال 1979

-كتابه "البلاغة العربية :أصولها و امتداداتها "

-الموازانات الصوتية في الرؤية البلاغية

يتضمن كتاب الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية على "خمسة مستويات يرى أنها شكلت الإطار الشامل الذي استوعب الجهود البلاغية القديمة ،سواء منها تلك التي رغبت عن الإشادة بالموازنات الصوتية و دورها في الخطاب ، أو تلك التي ركزت عليه و اهتمت به و هذه الاتجاهات الخمسة هي

[1]-محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص255

[2]- محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول ،أفريقيا الشرق ، المغرب ؟،2005، ص06

[3] -المرجع السابق ،ص255

على الترتيب: البديع و نقد الشعر ، البيان و بلاغة الإقناع ،، نظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز ، نظرية الأدب أو الوظيفة التوازنية "[1]

1/كتاب البلاغة العربية أصولها و امتداداتها

: "يسعى هذا الكتاب لتحقيق هدف طموح _كسابقه_وهو استقصاء البلاغة العربية من حيث الأصول والامتدادات،...فالكتاب هو تتبع لأصول وروافد البلاغة العربية ، ومحاولة قراءتها قراءة جديدة "[2]

يركز محمد العمري في قراءته على "استكناه الأبعاد التداولية في البلاغة العربية القديمة وعلاقتها بالنحو و المنطق والنقد.فمن جهة الحجاج يرى أن الحاجة إليه والاهتمام به قد برزا بشكل جلي في فترة الاهتمامات الكلامية ،عندما سار التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمرا ضروريا للدفاع

ضد مزاعم المشبوهين و المتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة ، ولمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة أخرى "[3]

"وظف العمري العديد من الدراسات المعاصرة مثلما تشير مراجعه و هوامشه و إحالاته ليس بهدف إعادة صياغتها _وإنما ليتخذ منها آليات لقراءة البلاغة العربية و الوقوف على مواطن الإبداع و الوهن فيها ،وليصنف اتجاهاتها و يقف على روافدها"[4]

[1] – محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص258

[2] – ينظر المرجع نفسه ، ص 259

[3]– المرجع نفسه ، ص261

[4]– ينظر المرجع نفسه ،ص70

2أبو بكر العزاوي :

يعد الدّكتور أبو بكر العزاوي من أهم رواد الحجاج وخاصة الحجاج اللّغوي في العالم العربي كيف لا وهو تتلمذ على يد أحد أعمدة الحجاج في الغرب "أوزفالد وديكور".

أبو بكر العزاوي رائد الحجاج اللّغوي في العالم العربي برّغم من وجود العديد من الباحثين لكنّه يمتاز بمميّزات جعلت وجهة نظره فريدة من نوعها، من بين هذه الخصائص خلال عرضه لنظرية الحجاج اللّغوي، تبنيه منهجا بسيطا بعيدا عن الاستغلاق عرضا يعتمد الوضوح ،كما يرى أنّ أساس نظرية الحجاج اللّغوي هي "النّظرية التّداولية وتطور نظرية أفعال الكلام" بأنّها نظرية لسانية أساسية للغة الطّبيعية[1]

فالحجاج في نظر أبو بكر العزاوي "يتمثّل في تخفيف متواليات من الجمل والأقوال، البعض منها بمثابة الحجج والبعض الآخر بمثابة النّتائج، لتكون التّسلسلات الخطابية محدّدة لا بواسطة الوقائع (Les faits) المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنّها محدّدة أيضا وأساسا بنية هذه الأقوال نفسها وبواسطة المواد اللّغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها" [2]يقصد أبو بكر العزاوي من خلال كلامه أنّ الحجاج هو عبارة عن مجموعة من الجمل تربطها روابط حجاجية، وتنقسم هذه الجمل إلى قسمين: القسم الأوّل عبارة عن حجج أما القسم الثاني بمثابة النّتائج.

بحكم تمكنه من نظرية الحجاج، استطاع شرح هذه النّظرية بطريقة بسيطة، وبشكل علمي وبيداغوجي، فنجده توقّف عند السّلم الحجاجي، فيعتبره علاقة ترتيبية بين الحجج وكذا قوانينها، وما

[1]-ينظر: عبد اللّطيف عادل، المشروع الحجاجي للدكتور أبي بكر العزاوي، مقال منشور ضمن كتاب الحجاج اللّغوي، قراءات في أعمال الدكتور أبي بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2017، ص: 05.

[2]-محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص66

يرتبط به من اتّجاه حجاجي يقوم على الرّوابط أو الألفاظ أو السّياق التّداولي والخطاب العام، كما وضّح الدّور الذي تلعبه هذه الرّوابط في تنظيم الحجج"[1].

ومن مميّزات الدّكتور أبو بكر العزاوي هو نظرية الحجاج في اللّغة، تنزيله لنظرية الحجاج في اللّغة على نهج أستاذه "أوزفالد وديكور" وكذا استحضاره للنّحو العربي فهو يستشهد بـ"الفراء" وعلاقته بـ"حتى" كما نجده اشتغل على بعض الرّوابط في اللّغة العربية، فتابع "بل" و"لكن" و"حتى" ومن خلال أمثلة قرآنية و استطاع "أبو بكر العزاوي" استنتاج المظاهر الحجاجية لهذه الرّوابط واستعمالها الحجاجي وعلاقتها بالمعنى الضّمني والمضمر، كما وقف عند هذه الرّوابط ودورها في تقوية الحجاج حسب وموقعها في التّسلسل الكلامي، وهكذا..."[2].

استطاع الأستاذ أبو بكر العزاوي إنشاء نظرية عربية للحجاج، وهذا من خلال المجهودات التي بذلها من خلال تبسيط النّظرية للقارئ، لقد سعى جاهدا إلى تبسيط النّظرية وتقريبها من علوم اللّغة

مثل استشهاده بالنّحو العربي واشتغاله على روابط اللّغة العربية، واستشهد بالقرآن الكريم، كلّ هذا جعل من الدّكتور "أبو بكر العزاوي" رائد الحجاج في العصر الحديث عند العرب[3]

المبحث الثالث: الحجاج عند الغرب:

أ. قديما:

1_الحجاج عند أفلاطون(aflatoun)427 _347 ق م

[1]- المرجع نفسه ،ص66

[2]- محمد سالم محمد ا لأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص 67.

[3] -ينظر المرجع نفسه ، ص 67.

الفيلسوف الشهير أحد أعمدة الفلسفة و اللغة ، رجل محاججة و مناظرة ،كان معروف عليه صراعه مع السفسطائيين ورفض منهجهم و أسلوبهم في المحاججة .اشتهر أفلاطون بمحاورتين "فرجياس" و "فيدر" عارض أفلاطون الأفكار التي كانت "تحيل دوما إلى الواقع وفق أفلاطون على وقائع مزعومة ،هي في الواقع و في أغلبيتها ناتجة عن الأهواء و المصالح و الرغبات و الظروف إذ كل واحد يرى الواقع كما يشتهيه و بدعوى واقعا ما يناسب أحواله الذاتية "[1]

"أفرد أفلاطون لمواجهة تلك الممارسة الحجاجية محاورتين إثنتين هما "فرجياس" و "فيدر" نقد فيهما الفلسفة السفسطائية و اعتمد في نقده استراتيجية واحدة وهي استراتيجية الكشف و نحن نستعمل إذ إستعمل في الحديث عن الخطابة في فريجياس كلمة اقناع و جعل بذلك قوله نزاعا للقناع على نحو من الانحاء بمجادلة السفسطائين تارة و درس نموذج من نصوصهم طورا عن علاقة القول الخطبي السفسطائي بالقيم القيم الجامعة في فلسفته ، أي قيم الحق و الجميل و الخير و اعتمد في الآن نفسه هذه الاستراتيجية في مستوى آخر اذ بحث عن علاقة القول السفسطائي بالشروط التي يكون بها القول في رأيه قولا"[2].

استعمل أفلاطون في ممارسته الحجاجية مجموعة من الحجج اعتمد فيها على الاقناع كمبدأ أساسي.

تضمنت المحاورة أسس و مباديء الخطاب (الرسالة) ،صنفها افلاطون الى ثلاثة مباديء [3]و هي كالتالي :

1/المبدأ الأول: "فحص موضوع الخطابة في ضوء المقابلة "علم science /ظن opinion"،وذكر الأقناع نوعان اقناع يعتمد العلم و اقناع يعتمد الظن .

[1]-محمد نوري ، البلاغة و ثقافة الفحولة : دراسة في كتاب العصا ، منشورات كلية الآداب ، منوبة ، تونس ،2003،ص72 ينظر هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (فريق بحث في [2]البلاغة والحجاج)،إشراف حمادي صمود ،جامعة الآداب و الفنون و العلوم الإنسانية ،تونس ،كلية الآداب منوبة ،ص 64

[3] -المرجع نفسه ، ص65

2/المبدأ الثاني

وضع أفلاطون للخطابة تقييم من خلال مقابلة "خير bien/لذة plaisir" من خلال تصوره مايحقق السعادة للانسان فذكر أفلاطون أربع صنائع تحقق الخير للانسان و هي (جسمه ، و نفسه ،و العدل ، و التشريع) كما استعرض نوع الخير الذي تحققه كل واحدة منها ، ثم جمع ألاطون الممارسات التي ذكرها تحت اسم "التملق " فالغاية من التملق هو تحقيق اللذة .[1]

"و من هذا الطرح يتبين لنا أن أفلاطون يعتمد معياري "العلم و الخير" أساسا لكل حجاج أو بلاغة مجديين ينفعان الفرد و المجتمع و هو معيار يمكن التعبير عنه بأنه فيمي"[2]

و في صناعة القول في نظر أفلاطون ثلاثة شروط لا يتحقق بدونهما [3]:

1/الشرط الأول: "هو معرفة منتج القول للحقيقة "

2/أما الشرط الثاني:"قدرة منتج القول على جعل قوله نظاما مكتملا "

"هذان الشرطان هما أساس صناعة القول الحقيقية فجهل الشرط الأول هو مثير للسخرية ، أما الشرط الثاني فيرجع الى نظام الفكر في الحقيقة "[4]

حدد أفلاطون ثلاث أركان في صناعته للخطابة وهي :

1/**الركن الأول** :اعتماد المنهج الجدلي "الذي يعتبره أفلاطون أساس المعرفة و الفكر الفلسفي معا ، و هو يقوم على عمليتين ، أولهماعملية (تأليف) و الثانية عملية تقسيم و تفريغ ، و بهتين العمليتين يعوض الحجاج الجدلي كلا من أقسام الخطابة الأخرى "[5]

[1] – ينظر هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ،ص 64

[2]– محمد سالم محمد الأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 28

[3] – هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ،ص74

[4]– ينظر محمد سالم محمد الأمين طلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ،ص 29

[5]– المرجع نفسه ، ص 30

2/**الركن الثاني** يحدده أفلاطون في معرفة أنواع النفوس و ما يناسبها من أقاويل " يتعلق هذا الركن بمبدأ التناسب بين القول و السامع ،لأنهما يختلفان باختلاف مستويات تهيئم للخطابات "[1]

3/الركن الثالث : "فيتعلق بضرورة مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب"[2].

يؤكد أفلاطون بقوة على ضرورة انتقاء الأسلوب السوي و الإبتعاد عن الأسلوب المزيف المرتبط بالسفسطائين "فالحجاج السفسطائي يزيف حسب أفلاطون استعمال القول بما هو قول الأشياء في الوجود ...يجعلان بسلطة القول الأشياء الكبيرة تبدو صغيرة و الأشياء الصغيرة تبدو كبيرة "[3]

2_ الحجاج عند أرسطو (322 ق.م – 384 ق.م) (Arusto)

يعتبر "أرسطو" أبا الفلسفة؛ لأنّ فلسفته موسوعة شاملة لمجموعة من العلوم من أهمها الخطابة والبلاغة.

ويعدّ "أرسطو" كذلك من الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين نظروا إلى الحجاج، فقد ألّف كتابا سمّاه بـ"الحجج المشتركة" فالحجاج عند "أرسطو" يقوم على وظيفتي التّأثير والإقناع[4].

وفي هذا النّطاق يقول أرسطو:" ويحصل الإقناع حين يهيأ المستمعون ويستمليهم القول الخطابي حتى يشعروا بانفعال ما لأنّنا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما تحسّ باللّذة أو الألم والحب والكراهية...والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصّحيح والرّاجع من كلّ موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع[5].

---

[1]- المرجع نفسه ، ص30

[2]- هشام الريفي ،الحجاج عند أرسطو ،ص 84

[3] -المرجع نفسه ،ص84

[4]- جميل حمداوي، نظريات الحجاج، ، ص: 22.

[5]-المرجع نفسه ، ص: 23.

يركّز "أرسطو" على قوة الخطاب في تأثيره على المستمع، يجب أن يكون الخطاب قويا يحمل معاني وحجج دالة حتى يقع الموقع الصّحيح في قلب السّامع.

بالإضافة إلى ذلك نجد "أرسطو" في تقديمه للحجج يستخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر ذهنيا ووجدانيا، ويبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية، فإمّا أن يتحقّق عبر (اللّوغوس) وهو الكلام و الحجج والأدلة، وإمّا يتحقّق ذلك عبر (الإيتوس) الذي يتمثّل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب"[1].

ب:حديثا

1/الحجاج عند "شاييم بيرلمان":

يعرّف "بيرلمان" الحجاج " الحجاج أو المحاجّة: المجادلة، وهو أيضا طريقة عرض الحجج وتنظيمها، ويدلّ اللّفظ في الفرنسية على مجموع الحجج النّاتجة عن ذلك العرض"[2].

من خلال هذا التّعريف نستنتج أنّ الحجاج يخالف البرهنة فـ"البرهنة هي استنباط يهدف إلى الاستدلال على صدقية النّتيجة أو احتماليتها القابلة للاحتساب، وذلك انطلاقا من المقدّمات المعتبرة صادقة أو محتملة"[3].

ويؤكّد "بيرلمان" في موقف آخر أنّ الإجراء العقلي لا يمكن أن:"يتوقّف عند حدود الحجج المؤسّسة على البرهنة أو التّجربة؛ بل يجب أيضا أن يتدخّل في قضايا ترجع إلى الرّأي، وإلّا عجزنا

[1] -ينظر جميل حمداوي، نظريات الحجاج: ، ص: 23.

[2]- صابر الحباشة، التّداولية والحجاج مداخل ونصوص، سورية، دمشق، ط01، 2008، ص: 68.

[3] - صابر الحباشة، التّداولية والحجاج مداخل ونصوص ، ص: 69.

واضطررنا في غياب التّجربة أو الاستنباط المنطقي، إلى فسخ المجال لقوانا الانفعالية، للغرائز، للإيحاء والعنف"[1].

في هذا الموقف يدعو إلى ضرورة استدعاء الانفعالات والغرائز الموجودة في طبيغة الإنسان فليست كلّ الحجج مبنية على التّجربة والبرهان؛ بل هناك حجج لا تطلب الاستنباط المنطقي.

من هذا المنظور يفتح "بيرلمان" أمام الحجاج أفاق جديدة ويحاول أن يخرجه من الدّائرة الضّيقة التي حصرته فيها الدّراسات التّقليدية كأداة تقنية صرفة، منحصرة في التّجربة والعقل إلى عالم التّفاعلات والقيم والتّفاعلات الاجتماعية، بين الأفكار والأطروحات، بل يريده "بيرلمان" أن يتحوّل من المنطق العلمي الصّارم إلى نظرية للخطاب[2].

وعليه الحجاج منذ وهلته الأولى نظرية خطابية تهتم بالتّقنيات الخطابية في علاقتها بوظيفتها الحجاجية التّأثيرية، وشروط بنائها ونموها، فالخطاب يعتبر الحجج سلاحا للدّفاع عن الأطروحات وكذا دحضها[3].

فالحجاج عند "بيرلمان" يهتم بجانبين: الأول يتعلّق بالجدل، أمّا الجانب الثّاني: يهتم بالخطاب "الخطاب الحجاجي".

2/نظرية الحجّة عند "بيرلمان":

كان "بيرلمان" مهتما أيّما اهتمام بالخطاب "اللّوغوس" أكثر من عناصر الخطاب "المرسل، المرسل إليه"، "فخطابته أو نظريته الحجاجية تركّز على جانب الظّفر بالحجة أكثر من اهتمامه بجمالية العرض اللّغوي الأسلوب"[1].

[1]– محمّد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية، دار الثّقافة للنشر، الدّار البيضاء، ط:01، 2005، ص: 41.

[2] – محمّد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية ، ص: 44.

[3] –ينظر المرجع نفسه ، ص: 44.

فالحجة عنده هي صورة خطابية بلاغية يمكن تمييز شكلها بواسطة بنية خاصة بها، و"بيرلمان" يقترح التّمييز بين الشّكل والمحتوى، فالأشكال البلاغية إذا لم يكن لها دور في الإقناع فهي مجرّد محسّنات شكلية، وليست تقنيات حجاجية[2].

الحجّة عند "بيرلمان" هي نوع من أنواع الخطاب العادي، ويؤكّد على تمييزه بين الشّكل والمحتوى فالأهم عنده هو المحتوى ومدى الإقناع وليس الشّكل.

3/تقنيات الحجاج عند "بيرلمان":

تقنيات الحجج عند "بيرلمان"هي تقنيات خطابية مرتبطة بالتّراكيب اللّغوية التي يتم توظيفها وهي كل الوسائل اللّغوية التي يتمّ توظيفها، وهي كلّ الوسائل اللّغوية والبلاغية والمنطقية التي يتوسّل بها الخطاب من أجل تحقيق الإذعان[3].

تنقسم الأشكال الحجاجية إلى قسمين أو نوعين من الطرائق هما :طرائق الوصل أو الاتصال و طرائق الفصل أو الانفصال [4]

أ.طرائق الوصل: وهي ثلاثة:

1.الحجج شبه المنطقية:

وهي حجج مرتبطة بالمنطق من ناحية البنية، وافترقت عنه في موهنا غير ملزمة كما هو الحال في الحجج المنطقية، فشابهت بذلك البلاغة الحجاج، وعلى هذا الأساس سميت شبه منطقية، ومن أمثلة ذلك حجّة التّناقض، وعدم الاتّفاق[5].

---

[1] –آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النّبوي، دراسة تداولية، الدّار المتوسّطة للنشر، د.ط، د.ت، ص: 83.

[2]– ينظر المرجع نفسه ، ص: 83.

[3] – آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النّبوي ، ، ص: 86.

[4]– ينظر حمادي صمود ،في نظريات الحجاج ، ص 41

[5] – ينظر آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النّبوي المرجع نفسه ، ص: 87.

أمّا النّمط الثّاني فهو

1.الحجج المؤسّسة على بنية الواقع:

"وهي حجج ترتكز إلى الواقع معترف به كما هو؛ لكنّها لا تصف هذا الواقع، وإنّما تبني عليها حججها، وتوضح العلاقة الرّابطة بين عناصره ومكوناته، وتعرض الآراء المختلفة فيه سواء كانت هذه الآراء وقائع أو حقائق أو افتراضات"[1].

النّمط الثّالث وهو:

2.الحجج المؤسّسة لبنية الواقع:

سميت بهذا الاسم لأنّ "الخطيب يعيد بناء الأساسيات الكاملة للواقع بخلق روابط تظهر علاقات لم يكن يراها المتلقي بالضّرورة[2].

1.طرائق الفصل:

تعتمد التّقنيات الثّلاث السّابقة على بناء أو اختراع أو توضيح علاقة قائمة في الواقع أمّا التّقنية الرّابعة التي يقترحها "بيرلمان" فتنطلق من وجهة نظر مختلفة، وهي فصل علاقة أولية موجودة في مصطلح ما، أو عبارة ما، أو...ومقدّمة كوحدة مترابطة، فحتى يقوم الحجاج فإن على الخطيب كسر هذه الوحدة، وإظهار المصطلحات المتمايزة التي تغطّيها"[3].

إن الانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي و جود وحدة بينها و مفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعنيها و إنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج [4]

---

[1] -ينظر المرجع نفسه ، ص: 87.

[2]- آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النّبوي، دراسة تداولية ،ص: 88.

[3]- ينظر المرجع نفسه ، ص: 88.

[4] - حمادي صمود ،في نظريات الحجاج،ص61

أمّا مواطن الفصل تتعلّق بالعناصر التي تؤلّف وحدة واحدة، والغرض من الفصل تجزئتها إلى غايات حجاجية، ومن ذلك توظف عناصر الرّبط، والوصل، والعطف، واستخدام الجمل الاعتراضية ونحو ذلك[1].

نستخلص أنّ الحجاج عند "بيرلمان" هو طريقة عرض الحجة واعتماده الجدل، بيد أنّ الحجاج مخالف للبرهنة، فالبرهان هي استدلال على صدقية النّتيجة أو احتماليتها، كما نجده في موقف آخر يؤكّد أن الحجاج كونه نظرية تتجاوز "الإجراء العقلي" بل أحيانا تتدخلّ قضايا الرّأي والمجتمع والغرائز في تكوين الحجج.

أمّا نظرية الحجّة عنده فتعتمد على طريقة العرض الحجاجي كيفية تقديم الحجّة "فالحجة عنده هي صورة خطابية حجاجية.

المبحث الرابع:الحجاج في اللغة

1/الحجاج في اللّغة عند "أوزفالد ديكرو": (O.ducrot)

يعتبر "ديكرو"أحد أعلام النظرية الحجاجية فقد ساهم إلى حدّ ما في تطوير هذه النّظرية "إنّ هذه النّظرية التي وضع أسسها "ديكرو" منذ (1973م) نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللّغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثمّ تنطلق من الفكرة الشّائعة التي مؤدّاها أنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير"[2].

[1] – المرجع نفسه ، ص: 88.

[2] –العزاوي أبو بكر ، الحجاج والمعنى، مقال منشور ضمن كتاب التّحاجج طبيعية ومجالاته ووظائفه وضوابطه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، ط:01، 2005م، ص:55.

ولذلك تؤدّي اللّغة عند "ديكرو" وظيفة حجاجية انطلاقا من بنية أقوالها يقول: إنّ التّسلسلات الحجاجية الممكنة في خطاب ما ترتبط بالبنية اللّغوية للأقوال وليس فقط بالأخبار التي تشتمل عليها[1].

وعليه نظرية الحجاج اللّغوي انبثقت من رحم نظرية الأفعال اللّغوية أو "أفعال الكلام" التي أسّسها كلّ من "أوستين" و"سيرل"، جاء "ديكرو" فقام بتطوير أفكار هذه النّظرية، وعلى الخصوص آراء أو مقترحا إضافة فعلين لغويين آخرين هما: "فعل الحجاج، وفعل الاقتضاء" ومن فعل الحجاج انبثقت نظرية الحجاج في اللّغة، فما الفعل الحجاجي إلّا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحقّقها الفعل التّلفّظي في بعده الغرضي"[2].

نظرية الحجاح اللغوي هي وليدة نظرية أفعال الكلام التي أسسها كل من "أوستين" و "سيرل" ، و جاء ديكرو و أضاف فعلين هما "فعل الحجاج ، وفعل الاقتضاء " ، فالفعل اللغوي هو نوع من أنواع أفعال الإنجاز التي يحققها الفعل التلفظي من خلال غرضه الإنجازي

لقد ألّف "أوزفالد ديكرو"(O.ducrot) بمشاركة زميله جون كلود أسكومبر (Jean cloud oscombre) كتابا بعنوان"الحجاج في اللّغة (L'argumentation de la langue) حيث أسّسا مفهوما جديدا للحجاج فيختلف عن مفهوم "بيرلمان" و"تيتيكا" ويقوم هذا المفهوم بالأساس على اللّغة، وهو يخالف مفهوم "بيرلمان" القائم على تقنيات وأساليب في الخطاب، تكون شبه منطقيةأو شكلية، أو رياضية[3].

[1] –بوزناشة نور الدّين، الحجاج في الدّرس اللّغوي العربي، مجلة علوم إنسانية، ع: 44، ص: 20.

[2]– ينظر بوقمرة عمر ، مصطلح الحجاج بين المنطق الأرسطي عند بيرلمان والمنطق الطّبيعي للغة عند ديكرو الأثر، جامعة حسينة ، ص: 254.

[3] – ينظر المرجع نفسه ، ص: 255.

لقد بيّنا من خلال كتابهما"الحجاج في اللّغة" أنّ اللّغة الحجاجية ذاتها أي أنّها لا تحمل فقط معلومات وتعبيرا، ولكنّها تحتوي في نفسها، وبصرف النّظر عن استعمالها في السّياق على عناصر حجاجية بحتة[1].

وجملة القول أنّ النّظرية الحجاجية عند "أوزفالد"، و"أسكومبر" تقوم على ثلاثة عناصر مهمة وهي:

- "الوظيفة الأساسية للغة في الحجاج.
- المكوّن الحجاجي في المعنى أساسي، والمكوّن الإخباري ثانوي.
- عدم الفصل بين الدّلاليات والتّداوليات "[2].

2/السّلم الحجاجي:

1/2مفهوم السّلم الحجاجي:

يعرّف "أبو بكر العزاوي" السّلم الحجاجي على أنّه علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن يرمز لها كالتّالي: ن

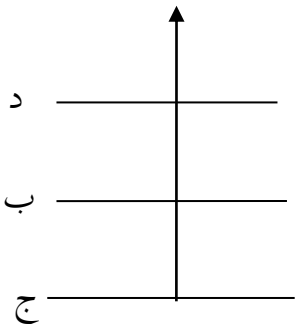

ن = النّتيجة، "ب" و"ج" و"د" : حجج وأدلة تخدم النّتيجة "ن"[1].

[1] -ينظر المرجع نفسه ص: 255.

[2]- ، ينظر بوقمرة عمر ، مصطلح الحجاج بين المنطق الأرسطي عند بيرلمان والمنطق الطّبيعي للغة عند ديكرو الأثر ص: 255.

وفي تعريف آخر "لعبد الله بريمي" يقول:

"السلم لحجاجي هو مجموعة غير فارغة من الأقوال متضمّنة لعلاقة تساهم على نحو خاص في ترتيب الحجج.

بما أنّ السّلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج، وأنّ "ن" هي النتيجة المستخلصة فإنّ "ب"."ج"."د" هي حجج تنتمي إلى الحجة الرّئيسية "ن".

وعليه "ب"."ج"."د"، حجج تتفاوت حسب قوتها وطرحها من "ضعيفة إلى قوية"[2].

ومجمل القول أنّ السّلم الحجاجي عبارة عن مجموعة من الأقوال والحجج تربطها علاقة وقوانين.

3/قوانين السّلم الحجاجي:

يحكم السّلم الحجاجي ثلاثة قوانين وهي:

أ.القانون الأوّل:قانون النّفي: (Négation law)

"يلعب النّفي دورا هاما في تنامي القول الحجاجي واتّساق عناصره، وذلك من خلال تدعيم النّتائج المتضاعفة والأقوال المنفية، وعليه تصبح هذه الحجج خادمة للنتائج الضّمنية، أمّا الحججية المقترنة بالنّفي تدعم النّتيجة المناقضة لها"[3].

"إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معيّنة، فإنّ نفيه "لا" "أ" سيكون حجّة لصالح النّتيجة المضادّة، مثلا: زيد مجتهد، لقد نجح، زيد ليس مجتهد، إنّه لم ينجح"[4].

---

[1]- العزاوي أبو بكر ، اللّغة والحجاج والمعنى، العمدة في الطّبع، الدّار البيضاء، ط:01، 2006م، ص: 20.

[2]- بريمي عبد الله ، الحجاج ومنطق الخطاب بصدد "الخطاب والحجاج" للدكتور أبو بكر العزاوي، مقال منشور ضمن كتاب الحجاج اللّغوي قراءة في أعمال الدّكتور أ[و بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2017م، ص: 86.

[3]- مسكين حسن ، مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة من التّاريخ إلى الحجاج، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط01، 2016م، ص: 165.

[4]- العزاوي أبو بكر ، الحجاج في اللّغة ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج01، ص: 60.

القانون الثّاني:

ب.قانون القلب: (D'inversion law)

يعتبر هذا القانون مكمل لقانون النّفي بينهما علاقة في بنية السّلم الحجاجي، لكن هذا التّكامل يظهر عبر خاصية التّعارض؛ لأنّ الأقوال الواردة في هرمية السّلم الحجاجي المستند إلى حجج تراتبية، بعضها أقوى من بعض[1].

مثال:

حصل الطّالب على أعلى معدّل في دفعته، لم يحصل الطّالب على أعلى مرتبة في دفعته ولا على معدّل.

القانون الثّالث:

ج.قانون الخفض والوجهة:

قانونان لغويان وصفيان يحيلان على سلمية حجاجية تتميّز بالتّرجيح وعدم الثّبات، عكس ما يتضمّنه القانونان السّابقان، حيث الوضوح في التّعبير باتّجاه التّأثير والإقناع[2].

مثال: الجو حار

لم يخرج الجميع في نزهة.

التّأويل الأوّل:الجو الحارّ فهو جميل ودافئ جو ملائم للنّزهة.

التّأويل الثّاني: خرج مجموعة قليلة من فقط من النّاس بالرّغم من أنّ الجو ملائم.

التأويل الثالث:الحرارة جد مرتفعة في الجنوب و لا يمكن الخروج في نزهة

4/الحجاج ونظرية المساءلة: (la problématologie)

[1]-مسكين حسن ، مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة من التّاريخ إلى الحجاج، ص: 166.

[2] – مسكين حسن ، مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة من التّاريخ إلى الحجاج ، ص: 166.

يعتبر "ميشال مايير" أحد منظّري البلاغة المعاصرة الذي أحدثت دراساته الأخيرة طفرة نوعية في تحليل الحطاب في مجال التّواصل والإقناع من بين هذه النّظريات المعاصرة التي اهتمّت بالخطاب نظرية المساءلة"[1].

1/4مفهوم نظرية المساءلة:

" تعدّ نظرية المسائلة إحدى النّظريات المعاصرة التي قامت بمعالجة الخطاب بصفة عامّة والخطاب الذي يتمّ داخل عمليات التّخاطب خاصة، سواء تواصلا عاديا، أم حجاجيا يهدف إلى الإقناع، وقد استطاع "مايير" اعتمادا على منطلقات معرفية ومرتكزات فلسفية أن يؤسّس منهجا تساؤليا يقوم على مبدأين اثنين: "المبدأ الافتراضي في تحليل الأقوال، ومبدأ الاختلاف الإشكالي داخل الأقوال"[2].

إذا نظرية المساءلة نظرية تهتم بالخطاب أيّا كان نوعه، وهذا لا يكون إلّا بالاعتماد على الفلسفة لبناء السّؤال، فالسّؤال هو شرط أساسي في بناء الفكر فهو يحفز الفكر عن الحركة والبحث وبالتّالي إيجاد حلول.

ويعرّفها "ميشال مايير" في موقف آخر، حيث يطابقها بينها وبين الإشكال قائلا:

"فإنّ السّؤال والمشكل يتشابهان، وإذا أردتم تعريف سيكولوجي نقول: إنّ كلّ سؤال هو حاجز أو صعوبة أو حاجة أو اختيار، ومن ثمّ فهو أمر إلى اتّخاذ القرار"[3].

يثير هذا التّصور فكرة خليقة بالاهتمام، وتتمثّل في السّؤال الحجاجي الذي يجب أن يحمل إشكالا فكريا يؤدّي بالمخاطب للبحث عنه، ويكون مصدر متعة له[4].

---

[1]– ينظر عشير عبد السّلام ، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2006م، د.ط، ص: 194.

[2] – ينظر عشير عبد السّلام ، عندما نتواصل نغير ، ص: 195.

[3]–ينظر فاهم سعيد ، الحجاج عند اللّسانيين الغربيين، مدرستنا فرنسا وبلجيكا أنموذجا، مجلّة الحجاز العالمية المحكمة للدّراسات الإسلامية والغربية، ع:20، 2017م، ص: 85-86.

[4] – فاهم سعيد ، الحجاج عند اللّسانيين الغربيين ص: 86.

وفي تصور "ميشال مايير" يربط الحجاج بالفلسفة وبذاك يؤسّس نظرية المساءلة التي تعتبر الحجاج منطلقا فلسفيا، وهو بهذا متأثّرا بالفلسفة[1].

ويعتبر "ميشال مايير" أنّ المساءلة خاصية متأصّلة في اللّغة تطيع كلّ الإنجازات التّلفظية، وكلّ المبادلات الكلامية، فما دام اللّوغوس مكونا من أسئلة وأجوبة، فهذا يعني حسب "ميشال مايير" أنّ النّشاط الخطابي ليس إلّا مسارا للمساءلة[2].

السّؤال هو المحور الأساسي للتّطور والبناء، فبواسطة السّؤال والإشكال استطاع الإنسان كشف العديد من الأشياء، فالسّؤال بدوره موجود في اللّغة أو هو التّجسيد الفعلي للغة، وكما يقول ميشال مايير أنّ السّؤال خطاب تواصلي، والحجاج هو جواب لهذا السّؤال.

2/4العلاقة بين الحجاج ونظرية المساءلة:

يرى ميشال مايير في الحجاج أنّه متّصل بتجديد طبيعة الكلام ووظيفته التّساؤلية، باعتبار أنّ الكلام إثارة للسّؤال واستدعاء له هذا الأمر استدعى نقاشا، وهذا النّقاش بدوره ولد حجاجا فالحجاج عنده محايث لاستعمال الكلام، لأنّ الكلام يتضمّن بالقوة سؤال، إنّ الحجاج عند مايير متّصل بنظرية المساءلة[3].

هناك علاقة وطيدة بين الحجاج ونظرية المساءلة لأنّ الحجاج نشأ عن طريق سؤال، ويعدّ السّؤال الإشكال وهو محور النّقاش، إذا الحجاج هو في حدّ ذاته سؤال ثمّ يتطوّر إلى قضية قبلة للنقاش وتبادل الآراء.

---

[1]- ينظر عبد الرّحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنّقد الحديث، مجلّة البحث العلمي في الآداب، عد: 19،، 2018م، ج:02، ص: 200

[2] -عبد اللّطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، الرّباط، ط"01، 2003م، ص: 106.

[3] -ينظر حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس، د.ط، د.ت، ص: 396.

5/أنواع الحجج:

إنّ التّصنيف بين الحجج يبرز إلى حدّ بعيد الفوارق بين الحجج ويظهر الاختلافات الدّقيقة بينها، كما يحيط بكلّ الحجج تقريبا وهذه الحجج هي[1]:

1.الحجج شبه المنطقية: (lm ost logical argument)

"تستمدّ هذه الحجج حجّتها من مبدأ منطقي كالتّطابق أو التّعدّدية أو التّناقض، ولكنّها خلاف للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن تردّ بيسر بدعوى أنها ليست منطقية، ويقول "بيرلمان" في هذا الصّدد:" إنّها حجج تدعي قدرا محدّدا من اليقين من جهة أنّها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشّكلية المنطقية أو الرّياضية، ومع ذلك من يخضعها إلى التّحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلاف بين هذه الحجج والبراهين الشّكلية لأنّ جهدا يبذل في الاختزال أو التّدقيق فحسب يسمح بمنح هذه الحجج مظهرا برهانيا، ولهذا السّبب ننعتها بأنّها شبه منطقية"[2].

مثال:

في المدرسة يقوم المعلّم بتعليم الأطفال مبادئ الأخلاق والسّلوك الحميدة، لكن ماذا يحدث عندما يخرج إلى المجتمع يرى عكس تلك الأفعال والأقوال "هذه الحجّة مبنية على مبدأ التّناقض.

وتنقسم الحجج الشّبه المنطقية إلى فرعين:

حجج شّبه منطقية تعتمد على البنى المنطقية كالتّناقض والتّعدّدية ...أمّا الفرع الثّاني فهو الحجج الشّبه منطقية تستند إلى العلاقات الرّياضية كإدماج الجزء في الكلّ، وتقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوّنة له"[3].

[1] -ينظر سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2011م، ص: 190.

[2] -ينظر سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي ،ص 190

[3] -ينظر المرجع نفسه ، ص 192.

1:الحجج المؤسّسة على بنية الواقع: (Argument based on the structure of the real)

لا يعتمد هذا على الصّنف من الحجج على المنطق وإنّما يتجاوز الأمر إلى التّجربة وعلاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم .فالحجاج تجاوز مرحلة المنطق إلى مرحلة التّفسير والتّوضيح تفسيرا للأحداث والوقائع، فهذا النّوع من الحجج يكون أكثر تأثيرا على المتلقي كونه يعالج الواقع، والخطاب الحجاجي يكون أنجح وأقدر على الفعل في الملتقى والتّأثير فيه[1].

كما أنّها ترتكز على حجج سببية وتعاقبية. والحجج البرغماتية التي تتولّد من خلال الحديث والكلام، وغالبا تحمل صفة القبول أو الرّفض

يتّضح من خلال هذه المعطيات أنّ الحجج المبنية للواقع تربطها مبدأ التّعاقبية ومنه السّببية

مثال: اجتهد زيد، نجح زيد لأنّه اجتهد، زيد يجتهد فسينجح. [2]

2:الحجج المؤسّسة لبنية الواقع: (Argument ouding the stracture of the ferl) هذا النّوع من الحجج تربطه صلة وثيقة بالواقع، ولكنّها تبنى على بنيته ولا تتأسّس عليه، وتظهر ما خفي من دقّات بين أشيائه أو تجلي ما لم يتوقّع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكوّناته[3].

ويقوم هذا النّوع من الحجج على التّشبيه أي: "تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات، فهو احتجاج لأمر معيّن عن طريق علاقة الشّبه التي تربطه بأمر آخر"[4].

مثال توضيحي:

[1] -ينظر المرجع نفسه ، ص 214.

[2] -ينظر فضيلة قوتال، حجاجية الشّروح البلاغية وأبعادها التّداولية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط:01، 2017م، ص 221.

[3] -ينظر سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي ، ص 255.

[4] - فضيلة قوتال، حجاجية الشّروح البلاغية وأبعادها التّداولية ، ص214.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1].

في الآية تشبيه، تشبيه الذين يشركون بالله، بسقوطه من السّماء إنّما خرّ من السّماء إلى الأرض، فافعل به الطّير أو الرّيح ما تشاء؛ إمّا في الآية تشبيه تمثيلي لحال المشرك الذي هو ضائع في دنياه ودينه، وضائع بين الأهواء والشّرك.

3:الحجج التي تستدعي القيم: (Value-based argument)

يتّخذ الحجاج أحيانا كثيرة أشكالا أقلّ موضوعية يراها الكثيرون ملزمة، إذ تهدف إلى فرض الرّأي، وتسعى إلى إظهار الفرضيات على أنّها حقيقة لا لبس فيها، بحيث تجير المتلقي على اختيار ما، ولا تتورّع عن استعمال التّرهيب والتّرغيب، ولا يكون هذا إلّا بالاعتماد على حجج ذات سلطة فاتنة، فيدخل الحجاج هنا باب التّوجيه (Handling) يتحوّل الإقناع إلى هجوم (Offensive) يستهدف مناطق الخصم المعرفية وعوامل الشّعورية والفكرية، ونعني بهذه الأشكال التي يتّخذها الحجاج تلك تستدعي القين وتعتمدها[2].

مثال:

الشّعراء في وصف محمد رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، تفنّنوا في شعرهم وانتقاء أعذب وأبلغ الألفاظ، فهذا "حسّان بن ثابت" شاعر النّبي عليه الصّلاة والسّلام يستدعي أسمى وأرقّ القيم من "جمال، وخير، وحبّ..." في وصف سيّد الخلق فيقول:

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرَّجْسِ وَالأَوْثَانِ فِي الأَرْضِ تُعْبَدْ

فَأَمْسَى سِرَاجًا مُسْتَنِيْراً وَهَادِيًا يَلُوحُ كَمَا لاَحَ الصَقْلُ المُهَنَّدُ[3].

---

[1]-سورة الحجّ، الآية31.

[2] -ينظر سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي، ص 270.

[3]-حسّان بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994م، ص: 14.

6/بين البلاغة والحجاج:

يقول "عبد الله صولة" هناك بلاغتين: بلاغة قديمة وبلاغة جديدة، أمّا البلاغة القديمة فالمقصود منها بلاغة أرسطو أو "خطابة أرسطو" من ناحية، والبلاغة الأوروبية السّائدة في القرن التّاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى[1].

يرى "أرسطو" أنّ الخطابة هي الكشف عن الطّرق الممكنة للإقناع، وهذا الإقناع عنده يقوم بدوره على ثلاثة أركان هي: **أوّلا**: أخلاق القائل؛ وتتمثّل في حجّة الإيتوس (Etos) و**ثانيا**: مراعاة الحالة للمتلقّي أو السّامع، وهو ما يسمّى بحجّة الباتوس (Patos)، و**ثالثا**: حجّة اللّوقوس (Logos) أي الكلام أو الفعل[2].

ويعدّ "أرسطو" من الفلاسفة الأوائل الذين نظّروا للبلاغة من خلال رؤية حجاجية، وقد ألّف كتابين هامّين هما "الرّيطوريقا/ البلاغة" و"الحجج المشتركة، وقد خصّص "أرسطو" جزءا هامّا للحجاج في كتابه، بل وجعل له قسما خاصا تحت عنوان "صفات الأسلوب وآثاره الفنّية والجمالية والحجاجية"[3].

أمّا البلاغة الجديدة وخاصّة "بلاغات" القرن العشرين قامت في مجملها على بعث بلاغة "أرسطو" بوجوهها وأنواع حججها، بحيث أصبح لنا في القرن العشرين على نحو ما يرى "مايير" ثلاثة اتّجاهات بلاغية، وهي[4]

---

[1] –ينظر عبد الله صولة، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتّوزيع، تونس، ط:01، 2011م، ص 71.

[2]– ينظر عبد الله صولة، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات ، ص71.

[3] –ينظر جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط:01، 2014م، ص25.

[4].– ينظر المرجع نفسه: ، ص: 74.

-

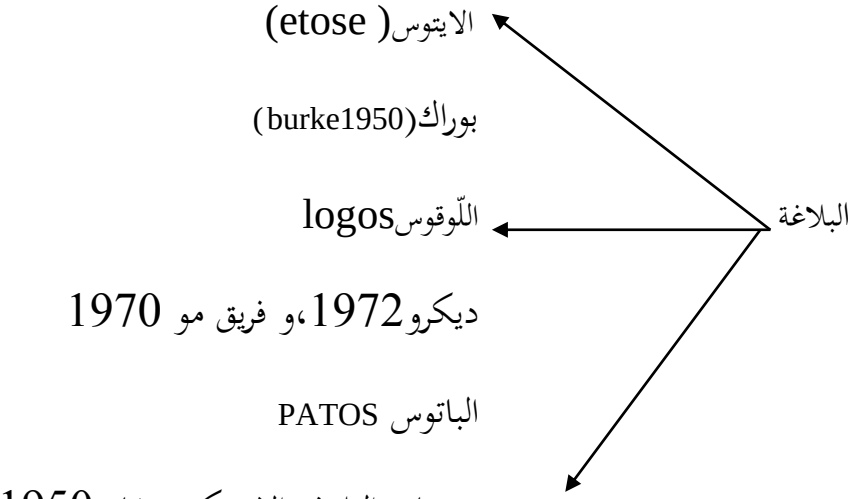
البلاغة
الايتوس(etose)
بوراك(burke1950)
اللّوقوسlogos
ديكرو1972،و فريق مو 1970
الباتوس PATOS
ريتشارد،البلاغة الامريكية ويفار 1950

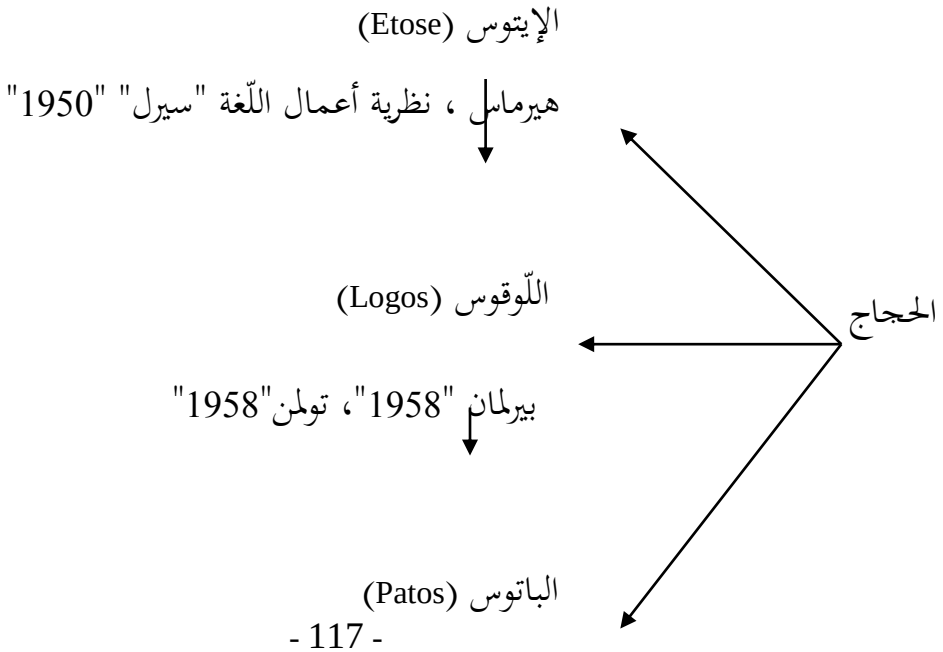
الحجاج
الإيتوس (Etose)
هيرماس ، نظرية أعمال اللّغة "سيرل" "1950"
اللّوقوس (Logos)
بيرلمان "1958"، تولمن"1958"
الباتوس (Patos)
قدمار "1960"، الهرمينوطيقا نظرية التلقي"إيزر" "1976-1977"

نستنتج من علاقة البلاغة بالحجاج أنّ الحجاج هو تكملة للبلاغة أو هو البلاغة الجديدة لأنّه قام على أنقاضها.

البلاغة عنقاء هذا الزّمان، لقد احترقت لتنبعث من رمادها من جديد.

كما يعنى الحجاج بدراسة التّقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النّفوس وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم البلاغة الجديدة أيضا بالشّروط التي تسمح لحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثمّ يتطوّر، كما تفحص الآثار النّاجمة عن ذلك التّطوّر[1].

من هذا التّعريف تبيّن لنا مدى علاقة البلاغة الجديدة أو الحجاج بالبلاغة الكلاسيكية، إنّ البلاغة الجديدة تهتمّ بالسّامع أيّا كان نوعه"[2].

جاءت البلاغة الجديدة الحجاج مكمّلة للبلاغة القديمة؛ لأنّ البلاغة القديمة كانت تهتمّ بالجانب المعياري تهتم بالخطابة، والإقناع، والجدل؛ أمّا البلاغة الجديدة نظرت نظرة أوسع؛ فقد احتضنت الخطاب، واهتمّت به عن طريق التّداولية وكذا الحجاج.

ممّا سبق ذكره نخلص إلى:

الحجاج نظرية جديدة لها أسس وقوانين تضبطها، وهناك من يربط الحجاج بالفلسفة ويزعم أنّ الجذور الأولى للحجاج فلسفية مستشهدا بذلك على "أرسطو" بحكم طبيعته التي تميل إلى المحاججة وتمثّل ذلك في منطقة اللّاصوري، كتاب الخطابة، كتاب الجدل ثمّ تطوّرت النّظرية على يد "بيرلمان"

[1] –صابر الحباشة، التّداولية والحجاج، مدخل ونصوص، ص 15.

[2] –ينظر صابر الحباشة، التّداولية والحجاج، مدخل ونصوص ص 14.

والذي وضع الحدّ الفاصل بين الحجاج والبرهنة والاعتقاد الذي كان في القديم أنّ البرهنة هي نفسها الجدل والحجاج.

أمّا النّقطة الثّانية التي يركّز عليها "بيرلمان" هي الظّفر بالحجّة على حساب جمالية الغرض اللّغوي والأسلوبي، فالحجّة عنده شكل بلاغي خطابي لها مميزات خاصّة بها.

ثمّ في مرحلة أخرى جاء "أوزفالد ديكرو" بنظرة جديدة غيّرت من النّظرية القديمة أي من نظرة "بيرلمان" للحجاج، فالحجاج عند "أوزفالد" له بعد آخر؛ فهو يرى من خلا كتابه "الحجاج في اللّغة" أنّ اللّغة في حدّ ذاتها بعد حجاجي، ويؤكّد على المكوّن الحجاجي في اللّغة.

ويعتبر المكوّن الإخباري ثانوي ، وكذا يدعو إلى عدم الفصل بين الدّلاليات والتّداوليات هذا عند العرب.

أمّا الحجاج عند العرب فله بعد إسلامي، ومن الفلاسفة المسلمين الذين شيعوا للفكر الإسلامي "ابن رشد، والوليد الباجي، الفارابي... فمسّت هاته الأساليب الحجاجية الكثير من الفروع اللّغوية، وانبثق عنه علم سمي بالمناطرة وهي خاصية إسلامية عربية.

الفصل الثالث:

التداولية في كتاب البيان والتبيين

* **المبحث الأول**: أفعال الكلام في المدونة
* **المبحث الثاني**: المقامات وأثرها في دلالات الخطب
* **المبحث الثالث**: الاستلزام الحواري

أصبح الموروث البلاغي العربي القديم مجالا منفتحا و قابلا للدراسة وكذا المقارنة مع علوم اللغة الحديثة، وأحياناً تكون هذه العلوم بمثابة إسقاط على الدرس العربي القديم من بين هذه العلوم " التداولية ": " وهي علم استعمال اللغة "[1]. وفي تعريف آخر لها يعرفها مسعود صحراوي " بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"[2].

أي أن التداولية علم يهتم بالمخاطب وكذا الأحوال الخارجة المحيطة بالخطاب، تهتم بالخطاب والمخاطب، الرسالة، السياق، المقام ...".

ومن بين علوم اللغة العربية التي نالت رواجا في أواسط الباحثين و الدارسين "البلاغة العربية" فقد كانت دعامة أساسية للدرس العربي القديم، مثلت هذه الأخيرة محور للاتصال نظرا لارتباطها باستعمال اللغة وما ينتج عنه من أساليب تفهم عن طريق المقام، وما زاد من قيمة البلاغة ارتباطها بمقصدية الدفاع عن النص القرآني المقدس، فنجد البلاغة مرتبطة بمقولة لكل مقام مقال.[3]

وتعد البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التداولية في اللغة لأنها تهتم بدراسة التعبير عن مختلف مستوياته اللفظية، التركيبية، الدلالية، والعلاقات القائمة بينها[4].

فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالتداولية تراعي المقام وكذا السياق ومقتضى الحال تهتم بالظروف الخارجية، ويكاد العديد من الباحثين يجزمون على أن البلاغة هي التداولية

يعرفها خليفة بوجادي يقول :

[1] –مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، ص 25.

[2] –المرجع نفسه، ص 25.

[3] –ينظر تقاييت حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف ذهبية حمو الحاد، تيزي وزو، 2012، ص 8.

[4] –خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 154.

:"البلاغة التداولية التي تقف مهمتها على مطالبة المتكلم بأن يعي مقامات مخاطبية ومستوياتهم المختلفة "[1].

ومن هذا المنطق يندرج كتاب البيان والتبيين للجاحظ 255 هـ، ولا يشك اثنان أن كتاب البيان والتبيين للجاحظ من أعمدة الأدب العربي فهذا ابن خلدون يقول في مقدمته: " سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول الفن " الأدب " وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفرع عنها "[2].

ويحمل هذا الكتاب صيغة خطابية، أي أنه خطاب موجه إلى مخاطب " متلقي "، وبما أن الخطاب أو" الكلام، القول، الرسالة " مصطلحات مهمة في الخطاب التداولي.

1: المبحث الأول: الأفعال الكلامية في المدونة:

لقد كان الجاحظ عبقري زمانه متمكنا من اللغة. فقد راعى في مدونته تطبيق ما يعرف اليوم بالتداولية، فجعل لكل مقام مقال، واهتم بعناصر الخطاب وكذا العوامل الخارجية الداخلية التي تساعد على عملية التواصل، وفي هذا المقام يقول سويرتي: " إن النجاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يضيع صيتُه بصفته فلسفة و علما، رؤية واتجاه أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة. "[3]

[1] –خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، ص 155.

[2] –سعد الزغلول، وقفة مع كتاب البيان والتبيين، مجلة جذور التوات، جدة، السعودية، ع 31، 2011، ص 2.

[3]–المرجع نفسه، ص3

إن نظرية أفعال الكلام تتجاوز نظرتها للغة على أنها أداة أو وظيفة تواصلية وفقط، بل تنظر إليها على أنها أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه [1].

والفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ومن أمثلته الأمر والنهي والوعد، والسؤال التعيين، و الإقالة و التعزية و التهنئة [2]

فالفعل الكلامي هو فعل غايته التأثير في المتلقي إما بالإيجاب أو السلب ، وبالتالي تحقيق غرض إنجازي معين.

أعطى الجاحظ أهمية كبير لأفعال الكلام في كتابه البيان و التبيين باعتباره خطابا موجها ونجد هذا الاهتمام من خلال تعريفه للخطابة واهم مميزاتها وصفات الخطيب وكذا مراعاة مقتضى الحال والأحوال الخارجية والداخلية المحيطة"بالخطابة " ومن شروط نجاح العملية التواصلية عند الجاحظ هو التأثير في المتلقي من خلال أفعال كلامية تجسد ثنائية الفهم و الإفهام " أي التأثير في المتلقي " من خلال إنجاز فعل كلامي الغرض منه التأثير و الإقناع.[3]

2:الفهم و الإفهام

الإقناع هو عبارة عن وجهة رأي أو تعبير شخصي موجه إلى متلقى من أجل التأثير فيه وإقناعه حول قضية ما، ويعتبر الإقناع وسيلة من وسائل الحجاج للتأثير في الأخر ويكون إما شفوي أو كتابي وفيما يلي سنوضح مواطن الإقناع عند الجاحظ من خلال بعض الأمثلة التي أوردها الجاحظ في باب البيان

2-1 الإفهام :

[1]-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 155

ينظر محمد عادیل عبد العزيز علي، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة لم الكتب الحديث، الأردن، ط، 2016، [2]ص 36-.

[3]-ينظر المرجع نفسه ،ص36

يقول الجاحظ :

" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على مخصولة كائنا ما ذلك البيان و من أي جنس كان الدليل ،لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع ،فإنما هو الفهم و الإفهام فبأي شئ بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع" [1].

من خلال هدا القول يتبين موقف الجاحظ ،المتمثل في الاهتمام بالمتلقي و طرقة الإلقاء و مراعاة أحوال المتلقي من أجل الوصول إلى الإفهام فيقول الجاحظ :"و مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم و الحمل عليهم على أقدار منازلهم و أن تواتيه آلته و تتصرف مع أداته "[2]

يقسم محمد العمري البيان الجاحظي إلى قسمين "الوظيفة المفهومية و البيان معرفة "[3].

يقول محمد العمري في هذا الصدد:

"إذا مفهوم الإقناع عند الجاحظ هو الإقناع و الفهم ،فالأمر هنا يتعلق بإيضاح المعنى القائم في النفس حتى يدركه الآخر و قد وصل الجاحظ إلى هذا المعنى انطلاقا من الوظيفة الأولى للغة و هي التواصل و كشف الكامن في الصدور ، و مهد الجاحظ في كتابه لمطابقة البيان بالفهم نقلا عن بعض جهابذة الألفاظ و نقاد المعاني الذين ذهبوا إلى أن المعاني القائمة في صدور الناس المصورة في أذهانهم مستورة خفية ...لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه و إنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها ،و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها ، و هذه الخصال هي التي تقربها من الفهم و تجليها للعقل ..."[4]

[1] -الجاحظ ،البيان و التبيين ،ج1،ص76

[2] -المصدر نفسه ،ج1،ص119

[3] -محمد العمري ،البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ص 194

[4] -المرجع نفسه ص199

وفي مثال آخر يوضح الجاحظ دقة اختيار اللفظة و تأثيرها على المتلقي يقول :"رب قليل يغني عن كثير ،كم أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل ، بل رب كلمة تغني عن خطبة و تنوب عن رسالة بل رب كناية تربى على إفصاح ، و لحظ يدل على ضمير ، و إن كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية "[1]

يقصد الجاحظ من خلال هذا القول أن الكلام البليغ الفصيح هو الكلام الموجز فخير الكلام ما قل ودل .

2/2الإفهام :

يتحلى الخطيب أو المحاج بصفات تميزه عن غيره كل هذا من أجل التأثير في المتلقي و إقناعه بالرسالة. و قول الجاحظ خير دليل على ذلك :"أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، و ذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ،و لا الملوك بكلام السوقة ، و يكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ،و لا يتفق المعاني كل التدقيق و لا ينقح الألفاظ كل التنقيح ، و لا يصفيها كل التصفية ، و لا يهذبها غاية التهذيب ، و لا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا علميا ، و من قد تعود بحذف فضول الكلام و إسقاط مشتركات الألفاظ ..."[2].

من خلال القول يتضح لنا جليا أن الجاحظ وضع شروط محددة من أجل إنتاج كلام فصيح بليغ يقع على القلب فيؤثر عليه و بالتالي الاقتناع و التسليم بالرسالة .

و من بين الشروط التي حددها الجاحظ :

1أن يكون عالما بالبلاغة و علومها أو على الأقل مطلع عليها

[1]-الجاحظ،البيان و التبيين ،ج2 ص 7

[2]-المصدر نفسه،ج2 ،ص92

1 أن يكون الخطيب متزنا له هيأة يهابها المتلقي أو يحترمها "له حضور"

3أن يحمل رصيد هائل من الألفاظ من اجل توظيف اللفظة المناسب في المكان المناسب

4أن يكلم كل شخص وفق حالته العلمية و الاجتماعية"لكل مقام مقال "

من خلال ثنائية "الفهم و الإقناع " يتبين لنا أن الفعل الكلامي عند الجاحظ هو عبارة عن قول أو رسالة ،ترسل إلى مرسل إليه قصد التأثير فيه و هو الغرض ألانجازي المتوقع من الفعل الكلامي.

ونواصل حديثنا حول الأفعال الكلامية من خلال نوع آخر ،باعتبار أن الأفعال الكلامية متنوعة من بينها "أفعال الاستفهام ،أفعال الأمر أفعال النهي ...

1/ فعل الاستفهام:

يعرف أبو بكر العزاوي الفعل الاستفهامي :"نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية "[1].

يقول الجاحظ في باب العصى من الذكر الحكيم قال الله عز وجل :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى﴾[2]

تحمل الآية استفهاما الغرض منه انجاز فعل معين ، و جواب الاستفهام أن للعصى منافع أخرى من بينها (التوكأ ، الهش ...)

الفعل الكلامي "الاستفهام ⟸ القوة الانجازية " للعصى منافع أخرى"

2 /فعل الأمر :

يعتبر فعل الأمر من الأفعال الكلامية القوية التي تؤثر على المتلقي من خلال تلقيه أمر ،وجب عليه التطبيق .

[1] –أبو بكر العزاوي ،الخطاب و الحجاج ،مؤسسة الرحاب الحديثة ،بيروت ،ط2010،1،ص57

[2] –سورة طه ،الآيتان 17 ،18

مثال ذلك:

استشهد الجاحظ في باب البيان بقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[1]

تحمل الآية" أمرا" الغرض منه انجاز فعل معين ،وجواب الآمر هو" التعلم ،تعلم القراءة و الكتابة".

الفعل الكلامي المثل في الأمر "اقرأ" ⟸ القوة الانجازية "تطبيق فعل الأمر هو التعلم".

3 /فعل النهي :

يعتبر فعل النهي من الأفعال الكلامية التي تحمل قوة انجازي غرضها النصح و الإرشاد

يقول الله تعالى : ﴿وَ لاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]

تحمل الآية فعل كلامي متمثل في النهي "لا ينفعكم نصحي" الغرض ألانجازي منه هو النصح

الفعل الكلامي "النهي لا ينفعكم نصحي" ⟸ القوة الانجازية النصح و الإرشاد.

" قيل في ذكر البلغاء والخطاب والأنبياء والفقهاء ممن كان لا يسكت مع قلة الخطأ والزلل.

قوله: " منهم: أبو واثلة وإياس بن معاوية المزنى القاضي القانوني وصاحب الركن، والمعروف بجودة الفراسة و لكثرة كلامه قال له عبد الله بن: " أنا وأنت لا نتفق، أنت لا تشتهي أن تسكت وأنا لا أشتهي أن أسمع ". [3]

[1] –سورة العلق ،الآيات 1، 2، 3،

[2] –سورة هود ، الآية ،34

[3] –الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 98 .

تضمن هذا القول أفعالاً كلامية مباشرة تمثلت في "أن تسكت " و " أن أسمع" وكل فعل يحمل قوة إنجازيه الغرض منها السكوت.

فعل القول (أن تسكت)⟸ الغرض ألانجازي من الفعل السكوت وعدم الكلام

فعل القول الثاني (أن أسمع)⟸ فعل كلامي مباشر الغرض منه عدم التحدث معك و تجاهلك

ومثال آخر عن فعل الكلام

" والناسُ، حفظك الله "[1]

تضمنت هذه الجملة فعلاً كلامياً مباشراً"حفظ" الغرض منه الدعاء

وفي موقع أخر نجده يتحدث عن البيان ويوظف الشاهد التداولي " أفعال الكلام " أيمّا توظيف، فقد كان الجاحظ عالماً كبيراً استطاع وبجدارة توظيف النظرية التداولية في كتابه.

فهو يقول عن البيان: " على لسان جعفر بن يحي البيان أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك، ونخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة، والذي لابد له منه، أن يكون سليما من

التكلف، بعيدا من الصنعة بريئا من التعقُّد، غنيا عن التأويل "[2]

يحمل هذا التعريف صيغة خبرية ، و نجد الجاحظ قد قسم الكلام إلى قسمين ، قسم للإخبار والقسم الثاني للإنشاء،والخبر عند القدماء بصفة عامة يحمل فعلا كلاميا بدوره هذا الفعل يحمل غرض أو قوة انجازية تحتمل إما الصدق أو الكذب وهذا ما تشير إليه النظرية التداولية ،لكن الجاحظ يرفض ثنائية الصدق والكذب بل قدم تقسيما آخر لا يوسم الخبر فيه بالصدق أو الكذب على

النحو الآتي[3]:

[1] -الجاحظ ،البيان و التبيين، ج1، ص 38.

[2] -المصدر نفسه ،ج1 ،ص78

[3]-ينظر صلاح الدين ملاوي،نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ص200

"**القسم الأول**: الخبر الصادق : وهو الذي يطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد المخبر له أو عدمه.

القسم الثاني :الخبر الكاذب: و هو الذي لا يطابق الحكم فيه الواقع مع اعتقاد الخبر له أو عدمه

أما القسم الثالث: هو الذي سماه الخبر غير الصادق ولا الكاذب وهو الذي يطابق فيه الحكم الواقع أولا يطابقه، مع عدم اعتقاد المخبر له "[1]

الجاحظ من خلال هذا التقسيم يرفض ثنائية الصدق أو الكذب، فالخبر لا يحمل هذه الثنائية في نظره و تجاوزها إلى تقسيم ثالث وهو السياق ترك الحكم للواقع والظروف المحيطة بالخبر

و في تعريفه للبيان نجد أفعال كلامية مباشرة منها"نخرجه ..." الغرض منها الإيضاح والإبانة.كما قد تختلف الأفعال الكلامية من مباشرة إلى غير مباشرة باختلاف قوتها وغرضها ألإنجازي

ففي كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رحمة الله حين استحلفه عند موته.

قال: " إني مستحلفُك من بعدي، وموصيك بتقوى الله، إن لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله في الليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة "[2]

يحمل القول أفعال كلامية مباشرة الغرض منها النصح منها "النصح أنصحك،الوصية أوصيك..."

أما الفعل الكلامي غير المباشر الغرض منه الترهيب والتخويف من عظمة وقوة الله عز وجل.

وفي خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

" أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع. وإن المضمار اليوم والسباق غداً "[3]

---

[1]-ينظر مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب.ص123 ، 124

[2]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 45.

[3] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 52.

نلاحظ من خلال هذا القول للإمام علي كرم الله وجهه وجود أفعال كلامية، تختلف من فعل إلى آخر.

الفعل الكلامي "أدبرت" فعل كلامي مباشر القصد منه أدبرت الدنيا ذهبت غابت و ولت ، الغرض الانجازي من الفعل هو الترهيب من هول يوم القيامة .

الفعل الكلامي الثاني "أقبلت" فعل مباشر الغرض الانجازي منه الترهيب ،أقبلت الآخرة فأين المفر من هول ذلك اليوم "البعيد القريب"

ومن الأفعال التي اعتمدها سيرل في تصنيفه وهي:

1- الالتزامات commissives:

وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل.[1]

وقد وردت في كتاب البيان والتبيين في عدت مواضع نذكر منها ما يلي:

كلام النُسَّاك في الزهد، قال الحسن: " لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، وعمره فيما أفناه، ومالِهِ من أين كسبه وفيما أنفقه. "[2]

يحمل هذا القول أفعال كلامية إلزامية، الغرض الإنجازي منها هو التزام الطاعة لله وحده وعمل الخير، وكسب الحلال.

أما الفعل الكلامي "يسأل" فعل كلامي مباشر يحمل قوة انجازية الغرض منها التهويل ،التهويل من القبر وظلمته و وحدته و هول يوم السؤال

ونجد كذلك في موقف آخر امرأة توصي ابنها فقالت:

---

[1] –محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 77.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 159.

" اجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك، وقليل إجدائها عليك أنْفعُ من كثير عقلك: إياك والنّمائم فإنها تزرع الضغائن ولا تجعل نفسك غرضا للرماة، فإن الهدف إذا رمي لم يلبث أن ينثلم ومثل لنفسك مثالا، فما استحسنته من غيرك فعمل به، وما كرهته منه فدعه واجتنبه، ومن كانت مودته بشره كان كالربح في تصرفها . "[1]

تعددت الأفعال الإلزامية في القول"تزرع،تفرق، فدعه،اجتنبه " فهذه الأم توصي ابنها أشياء من بينها اجتناب النميمة وغيرها.

الغرض ألإنجازي من هذه الأفعال الكلامية هي التزام المرسل بهذه الأفعال التي تحمل قوة إنجازية تتمثل في"إنشاء رجل بمعنى الكلمة أي أن يتحلى بصفات الرجولة".

وفي وصية أخرى لها تقول: " إذا هززت فهزَّ كريما، فإن الكريم يهتز بهزتك، وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر مائها " [2]

الغرض الإنجازي من القول هو الدعوة لمكارم الأخلاق من بينها" الكرم"لأنه صفة من صفة العرب والابتعاد كل البعد عن "اللُئم "

نستنتج من هذا الفعل أنه يلزم المرسل إليه بتطبيق الرسالة في الحاضر أو المستقبل

أما الفعل الثاني:

2- **الإخباريات assertives** :

" الغرض منها هو نقل واقعة ما" [3]

ومثال ذلك ما قيل في المخاطر والعصى وغيرهما تقول العرب:

---

[1]-الجاحظ، البيان و التبيين، ج4، ص 72.

[2] -المصدر نفسه، ص 70.

[3]-محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص75

يقول الفوزدق:

بِكَفِّه خيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبـــِــقٌ مِن كَفٍ أروَعَ في عِرنِينِهِ شَمَمٌ

يُغَضى حَياءً ويُغَضي مِنْ مَهَابَتَهِ فَماَ يُكَلَّمُ إلاَّ حِيْنَ يَبْتَسِمُ

إِنْ قَالَ قالَ بمَا يَهْوِي جَمِيْعُــهُمُ وَإِنْ تَكَلَمَ يَوْماً زَانَهُ الكَلِمُ

يَكَادُ يُمسِكُهُ عِرْفَانَ راَحَتِه رُكنُ الحَطِيمِ إذَا مَا جَاءَ يَسْتلِمُ [1]

تحمل هذه الأبيات أفعالاً كلامية"قال ،يهوى ،يمسكه،تكلم ،يكلم " بصيغة إخبارية فهي تخبرنا عن العصا وأهميتها عند العرب القدماء.

القوة الإنجازية: هي نقل رسالة إلى متلقي الغرض منها إخبار عن أهمية العصا والهيبة التي تعطيها لصاحبها...

وفي موقف آخر فيما ذكر عن الفصاحة ما يلي:

وكان عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وأفصحهم وكان مسلمة بن عبد الملك يقول: " إني لأنحى كور العِمامة عن أذُني لأسمع كلام عبد الأعلى "[2]

يحمل القول فعل كلامي"أنحي ، أسمع"إخباري، الغرض الإنجازي منه هو إخبار عن مدى فصاحة وجودة هذا الكلام، وأن الكلام البليغ لتطرب الأذن سماعه.

نستنتج أن الفعل الإخباري هو نقل أو إخبار عن حادثة.

أما الفعل الثالث من أفعال الكلام فهو الفعل التوجيه.

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 371.

2-المصدر نفسه،ج1ص344

3- **التوجيهات directives**:

وغرضها ألإنجازي هي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما[1].مثال ذلك

قوله صلى الله عليه وسلم عن الصمت:

" وهل يكُبُّ الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حسائد ألسنتهم "[2]

يحمل قوله عليه أزكى الصلاة و السلام فعلا كلاميا توجيهيا "يكب"

الغرض ألإنجازي منه: هو الدعوة إلى التزام الصمت و الابتعاد عن الثرثرة و الكلام الزائد لماله من آثار سلبية في الدنيا والآخرة و أن من أسباب دخول جهنم هو الكلام الزائد والغيْبة.

ومثال آخر:

" أنذركم حسن الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام، فإن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دلا متعشقا سار في قلبك أحلى، ولصدرك أملا، والمعاني إذا كسبت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها... "[3]

الأفعال الكلامية المباشرة التوجيهية الموجودة في القول"أنذركم ،اكتسى ،منحه،ألبست" تحمل صيغة إنجازية، الغرض منها هي توجيه المخاطَب أو المرسل إليه إلى اختبار حسن الألفاظ واحترام مقولة لكل مقام مقال "، مع معرفة اختيار الكلمات السهلة العذبة التي تؤثر في المتلقي به.

الفعل الكلامي التوجيهي فعل يوجه المرسل إليه لفعل شيء ما إما بالسلب أو الإيجاب

[1]- ينظر محمود أحمد نحلة ، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 77

[2]- الجاحظ ،البيان و التبيين ،ج1 ،ص194

[3]-الجاحظ ،البيان و التبيين، ج1، ص 254.

الأفعال الكلامية التعبيرية تعد الصنف الرابع من أصناف أفعال الكلام.

4- **التعبيريات experssives**: غرضها الإنجازي هي التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوفر فيه شروط الإخلاص. [1]

والهدف منها: " هو التعبير عن حالة نفسية ذاتية تجاه واقع الأشياء من خلال محتوى قضوي يفترض صدقه"[2]

مثال ذلك:

قول الفرزدق بن غالب يمدح عطارد بن حاجب بن زرارة، ويعتبر الخطيب عن الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال:

وَمِناَ خَطِيْبٌ لاَ يُعابُ وَحاَمِلٌ أَغرُّ إِذاَ التَفَتَ عَلَيْهِ المِجاَمِعُ [3]

يحمل القول محتوى قضوي ، يسند حالة نفسية للمتكلم، هذه الحالة النفسية هي تعبيراً عن الشعور الذي يشعر به المتكلم ، وهذا التعبير يكون بواسطة أفعال كلامية تعبيرية عبر الشاعر بها عن موقفه من خلال أفعال منها "يعاب ، التفت"

ومن كلامه صلى الله عليه وسلم حين ذكر الأنصار فقال: " أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع. "[4]

[1]-علي محمود حجي الصراف في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 55.

[2] -عبد الرحيم الخلوي، تداولية الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، منشورات القصبة، المغرب ط ، 2017، ص 182.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 328.

[4] -المصدر نفسه، ج2، ص 19.

هذا الحديث يحمل شهادة حق، إنها شهادة رسول الله عليه الصلاة والسلام في الأنصار فإنهم يقلون عند مواطن الطمع عند تقسيم الغنائم والثروات، ويكثرون عند الفزع أي عند الحروب.

فهذه الحالة النفسية التي شعر بها رسول الله عليه الصلاة والسلام تجاه الأنصار، دفعته إلى هذا القول أو عبر عن ما في نفسه، من خلال الفعل الكلامي"علمتكم ،تقلون ،تكبرون"الغرض الانجازي منه المدح

وفي دراسة أجراها الباحث محمد الحبيب منادي سميت بالتفكير التداولي عند الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، اكتشف وجود فعل كلامي آخر وهذا الفعل الكلامي انفرد به الجاحظ سماه " بالفعل الخوارقي وهو من بين الأفعال الكلامية الجديدة عند الجاحظ، والتي يمكن إضافتها إلى ما جاء به كل من " أوستن " و نذكر منها الوحي "[1]

الميزة التي تميز كتاب البيان والتبيين كونه كتاب شامل متعدد يحتوي على متفرقات، ومقاطع شعرية متعددة وفي نفس الوقت متجانسة ومناسبة مع أي مقام ذكرت فيه هذه بخاصية جعلته يواكب أي تطور علمي وأي نظرية لغوية جديدة من بين ذلك التداولية.

من خلال ما سبق نلخص إلى:

الغرض من الفعل الكلامي هو التطبيق سواء كان هذا التطبيق بالرفض أو بالقبول والهدف منه تغيير وجهة نظر ما أو سلوك معين إلى غير ذلك

اختلفت الأفعال الكلامية في المدونة حسب المقام هناك مقام يستدعي وجود الفعل الكلامي الإخباري وهناك مقام يستدعي وجود أفعال كلامية تعبيرية وهكذا...

كما لاحظنا أن أقسام الأفعال الكلامية عند الجاحظ تكمن تقسيمها كالآتي.

---

[1] منادي محمد الحبيب، التفكير التداولي في كتاب البيان والتبيين، أطروحة دكتوراه، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2017.ص181

أفعال كلامية مباشرة الغرض منها تحقيق فعل أو سلوك معين، وأفعال غير مباشرة تمثلت أحيانا في السخرية وما تحمله من معاني.

المبحث الثاني: المقامات و أثرها في تحديد المعنى

حظي المقام باهتمام النقاد البلاغين العرب وغيرهم من الأمم، حيث ربط وهب مدارك البلاغة وحسن البيان وسَلَمِيَّاتْ الشعرية في الأداء من خلال قولهم البلاغة هي " المقام " أو لكل " مقام مقال ".

وصارت هذه المقولة بمثابة قاعدة في إنشاء الخطاب أو الخطاب الصحيح البليغ. [1]

فالمعاني ليست مهمة سواء كانت خاصة أم عامة، ولا تكون لها قيمة، إلا بمطابقتها بملابسات معينة، ولذلك يقول بشر بن المعتمر: " والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال مع ما يجب لكل مقام من مقال "[2]

من خلال قول بشر بن المعتمر نستخلص ما يلي:

1- المعاني ليست لها قيمة ولا شرف سواء كانت معاني موجهة للخاصة أو العامة.

2- وإنما مدار الشرف في حسن استعمال واختيار الألفاظ ومعانيها مع مراعاة ما يناسب المقام.

ومن المقامات التي يجب أخذها بعين الاعتبار مقام الدلالة الاجتماعية "contexte of situation" يجب على المتكلم مراعاة مستوى وثقافة المرسل إليه وكذا الحالة الاجتماعية، لأن المتلقي درجات وطبقات

[1] -ينظر صفية مكناسي، محاولات في تحليل الخطاب الحجاجي " نحو تحليل تداولي للخطاب الأدبي "، دار غيداء للنشر والتوزيع،عمان، د ط، 2016، ص 35.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 136.

متفاوتة، يقول الجاحظ: " ينبغي للمتكلم أن يعرِفَ أقدَار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك

مقاماً، حتى يُقَسِمَ أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدارَ المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات. "[1]

والمقصود من قول الجاحظ ما يلي:

أن يراعي المتكلم الطبقات الاجتماعية في اختياره للألفاظ والمعاني الطبقة العليا أو الحاكمة " الملك " ليس كمخاطبته للطبقة الوسطى العادية "، أو الطبقة السفلي الفقراء والمساكين، وحتى مخاطبة رجل الدين ليست كمخاطبة رجل عادي، فالألفاظ تختلف حسب المقام وحسب الطبقة.

وكذلك الله سبحانه وتعالى أقام الحياة الاجتماعية على طبقات فيقول:

﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىَ بَعْضٍ لِلْرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلْنِسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلوا اللّهَ من فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيْمًا ﴾ [2]

ويقول عز وجل من قال في سورة الإسراء:

﴿ أُنْظُرْ كَيفَ فَضَّلنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ و أَكْبَرُ تَفْضِيْلاً[3]﴾

وعليه يتوجب على المرسل مراعاة أحوال ومقامات المرسل إليه الحالة النفسية فمقام الدعاء يختلف عن مقام المدح ومقام النصح عن مقام طلب العلم مع مراعاة المرتب والقدرة على الفهم وتمثل المقام وأنوعه بالمخططات التالية:

مقام الدعاء: هو طلب يكون من الأدنى إلى الأعلى

[1]-الجاحظ ،البيان و التبيين، ج1، ص 138- 139.

[2]-سورة النساء ،الاية 36

[3]-سورة الإسراء، الآية 21.

1/مخطط يمثل عناصر الخطاب "مقام الدعاء"

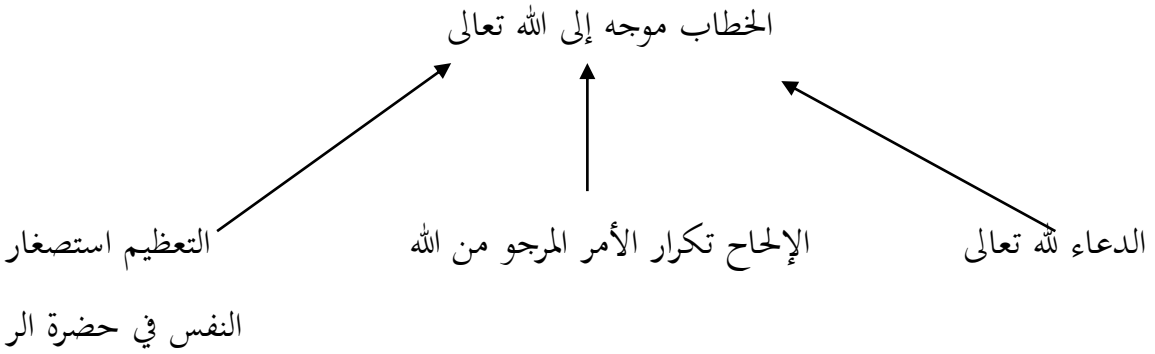

2/مقام الطلب:

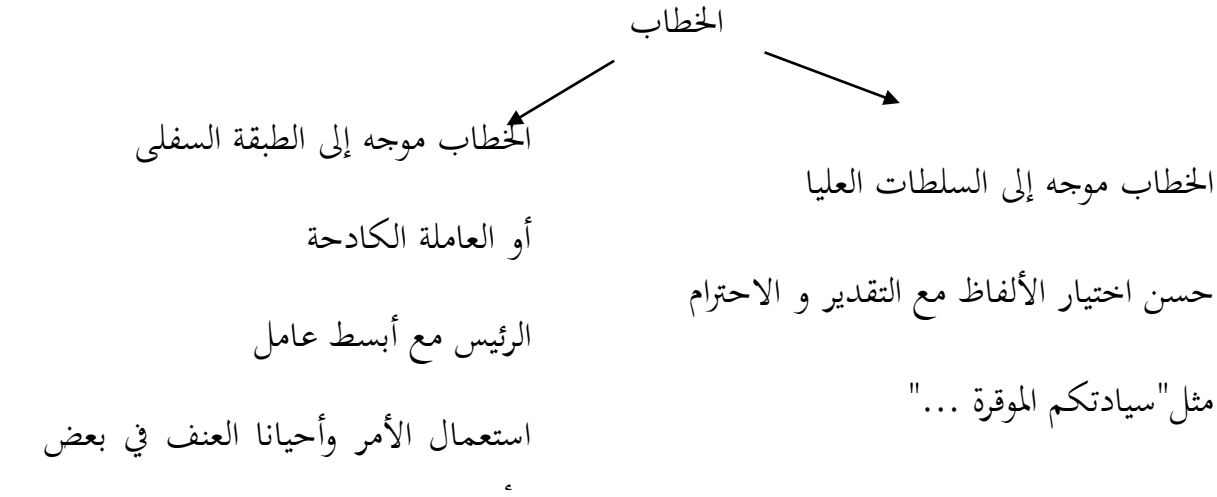

2/المقامات وأثرها في دلالات الخطب:

1: مقام النصح والإرشاد:

مفهوم النصح والإرشاد: هو وجهة رأي في مسألة ما لتوضيحها وكشف اللُبسِ عنها، أو محاولة تقديم حل لمشكلة ما والتوجيه الصحيح.

مثال عن النصح و الإرشاد يقول عز وجل ﴿كُلُ نَفْسٍ بِمَاَ كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ إلاَ أَصْحَابَ اليَمِينِ ﴾[1]

يقصد الله سبحانه و تعالى كل نفس بما كسبت من فعل خير أو شر محبوسة رهينة حتى تفك قيد ذلك الحبس ،باجتنابها المعاصي و الرجوع إلى طاعة الله

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]

قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي أي إبلاغي واجتهادي في إيمانكم إن أردت أن أنصح لكم أي لأنكم لا تقبلون نصحا، يغويكم: يهلككم، لأن الإضلال يفضي إلى الهلاك، يهلككم بعذابه وإليه ترجعون تهديد ووعيد "[3]

مثال النصح والإرشاد في كتاب البيان والتبيين:

يقول الجاحظ:

" ثم لا أعلم- أبقاك الله- أن أصحاب التشديق والتقعير التقعيب من الخطباء، والبلغاء، مع سماحه التكلف، وشنع التزيُّد، أعذر من عيي يتكلف الخطابة، ومن حصر يتعرض لأهل والدربة، ومدار اللائمة ومستقَّر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالف التكلف، وبياناً يمازجه التزيد إلا أن تعاطي الحَصِر المنقوص من الدرب التام، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب، ومن تشادق القُحّ وانتحال

[1] -سورة المدثر ،الاية 38

[2] -سورة هود، الآية 34.

[3] القرطبي، الجامع أحكام أي القرآن والمبين لها تضمن من السنة وأحكام الفرقان،تح عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مؤسسة الرسالة،2006،ج15 ،ص255

المعروفِ ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ وفي التحبير والارتجال، أنه البحر الذي لا يُنزَح، و الذي لا يُسبر، أيسر من انتحال الحَصِر المنخوب أنه مِسلاخ التام. [1]

يحمل هذا القول رسالة موجهة إلى متلقي معين وخاص وهو المتلقي المثقف، يقف الجاحظ في هذا القول موقف الواعظ والناصح، يدعوا إلى الابتعاد عن الثرثرة أي " التشدق " وعن اجتناب التقعير ورفع الصوت والابتعاد جل الابتعاد عن التكلف وكثرة الألوان البديعية والتزويق في الكلام دون حاجة لذلك.

فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يحثنا عن اجتناب الثرثرة، والتوسع في الكلام مع فتح أفواههم.

مخطط يمثل الخطاب "الرسالة" و"المتلقي" عملية التواصل

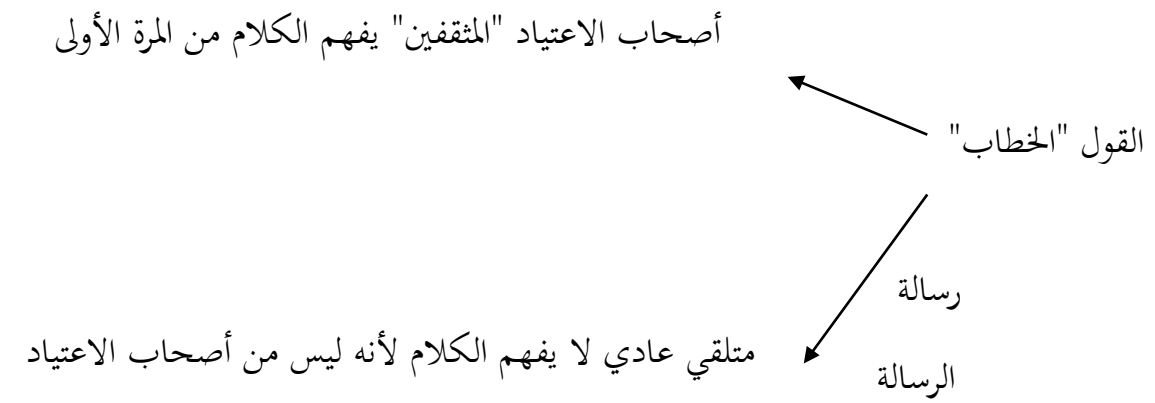

.

فالكلام إذا لم يبلغ العقل كان للمتلقي فتنة

فهذا بشر بن المعتمر في صحيفته يقدم نُصْحاً فيقول:

"...إياك والتوعر*، فإن التوعر يسلمك إلى ألفاظك، ومن أراد معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود

[1]-الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 13-14.

. * التوعر: وهو زيادة تعقيد الكلام، وتصعيبه.

تكون من أجله أن تكون أسوء حالا من قبل أن تلتمس إظهارهما ترص نفسك بملابستهما وقضاء حقهما"[1].

بدأ بشر بن المعتمر كلامه بـ: "إياك" ضمير منفصل في محل نصب مفعول به للفعل "احذر" التوعر في الكلام، أي الابتعاد عن التصنع وإطالة الكلام بل ينصح اختيار اللفظ والمعنى المناسب في المكان المناسب، مع دقة الاختيار بلوغ المعنى المراد إلى السامع في أحسن صورة.

يقول أحد الشعراء ممن كان يعيبو النُّوك والعي والجُمقَ وأخلاق النساء والصبيان: [2]

إذاَ مَا كُنتَ مُتَّخذاً خَلِيلاً فَلَا تَثِقْ بِكُلِّ أَخِي إِخَاءِ

وَإِنْ خُيِّرتَ بَينهُم فَأَلْصِق بِأَهْلِ العَقْلِ مِنْهُم وَالحيَاءِ

فإنَ العَقْلَ لَيسَ لَهُ إذِا مَا تَفاَضَلَتْ الفَضَائِلُ من كفاءِ

وَإنَ النُّك للأحَسَاب داءٌ وأهونُ دَائُه داءُ العَيَاءِ

فَلَا تَثِقْ بِالنَوكَى لِشَيءٍ وَإنْ كاَنُوا بَنِي مَاء الشيءِ

فَلَيْسُوا قَابِلِي أَدَب فَدَعْهُمُ وَكُن مِن ذَاكَ مُنقَطِعُ الرَجَاءِ

هذه الأبيات عبارة عن رسالة موجهة إلى متلقي قصد التوجيه والإرشاد فاستعمل الشاعر الأفعال والكلمات الدالة على النصح والإرشاد ورسالته كانت ملائمة "لمبدأ المناسبة"* وهو شرط من شروط التحليل التداولي أي مناسبة المقام لمقتضى الحال أو موضوع الرسالة.

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص136.

[2]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص244.

* مبدأ المناسبة: ليكن كلامك مناسبا لسياق الحال فالكلام هو مراعاة الحال، أو مناسبة المقام المقال" ينظر جميل حمداولي، التداولية وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط1، 2015، ص21.

استهل الشاعر كلامه بـ "إذا" الفجائية واقترن جواب شرط بـ "الفاء"، لأن "إذا" وسيلة من وسائل الافتراض المنطقي والمتلقي حرف الفاء وهذا من مرتكزات التداولية في مقام النصح والإرشاد.

كما استعمل الشاعر الكثير من قرائن القول " التي تظهر في المتكلم على مستوى اللغة"[1] من خلال:

1-السمات الذاتية: تنقسم إلى قسمين:[2]

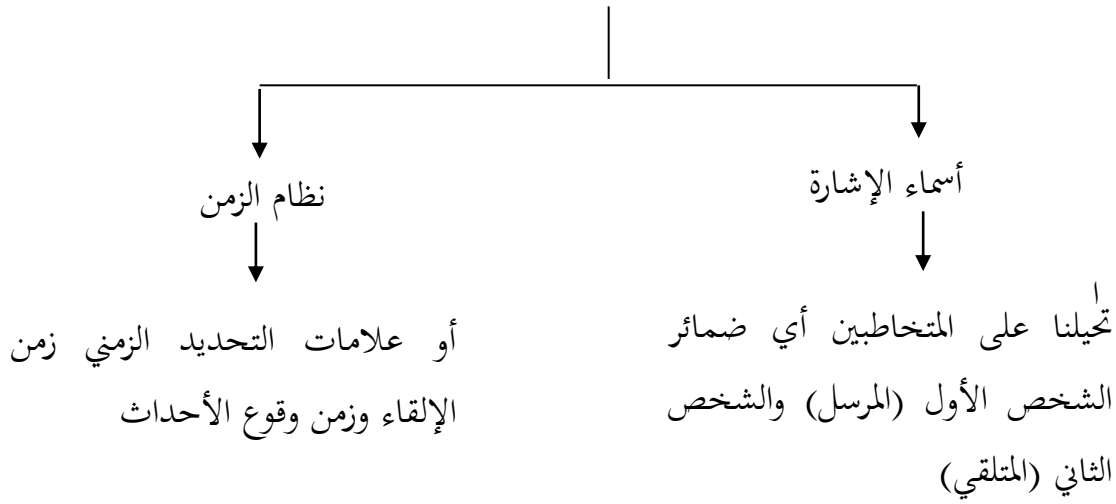

فالشاعر هنا استعمل ضمير المخاطب "أنت" لمخاطبة المرسل إليه.

2-الأفعال الذاتية:

هي الأفعال أو الصفات التي تحيل إلى درجة ثقة المتكلم أو صاحب النص رد فعله بألفاظ شعورية أو تقيمية لشيء ما.[3]

أكد الشاعر كلامه بأفعال ذاتية منها "تثق، تألصف، فدعهم"

---

[1]-جميل الحمداوي، التداولية وتحليل الخطاب، ص20.

[2]-ينظر: المرجع نفسه، ص21

[3]-ينظر: المرجع نفسه، ص21

وخلاصة القول أن الشاعر وجه رسالة إلى متلقي أي كان نوعه وهذه الرسالة مفادها تقديم نصيحة وهي الابتعاد جل الابتعاد عن النوكي "وإن كانوا من بني "ماء السماء" أي الملوك فالنوكي لا يأدبهم زمان ولا مكان.

يقول أحد الشعراء في هذا الصدد:

وَإنَ عَنَاءً أَن تُفَهِّمَ جَاهِلاً ويَحْسَبُ جَهلاً أَنَهُ مِنكَ أَفْهَمُ [1]

2- مقام الوصية:

"الوصية بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي قول بليغ مؤثر حثا على سلوك طيب نافع، حبا فيما توجه إليه الوصية ورغبة في شأنه وجلب الخير له"[2]

مثال: وصية الوالدين لأبنائهما عند أزمة أو شدة تعرقل طريقهما وتكون هذه النصيحة أو الوصية مبنية على خبرة طويلة دقيقة.

ومن الأمثلة التي صاغها الجاحظ في هذا المقام نذكر ما يلي:

وصية امرأة لابنها فقالت: "إذا هَززتَ فهُزَّ كَريماً فإن الذي يهتَزُّ لهزتك وإياك واللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، والغدر فإنه أقبح ما تُعومل به، وعليك بالوفاء ففيه الجود فكن بمالك جوادا وبدينك شحيحا، ومن أعطى السخاءَ وفقد استعاد الخلَّة رَبطتَها وسينالها انهض على اسم الله."[3]

إن الألفاظ المتداولة في هذا القول منتقاة بعناية مبنية على التضاد كوسيلة تداولية لاستحضار الصورة.

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص246.

[2]-علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث، ط1، 1991، ص

[3]-ا الجاحظ، البيان والتبيين ، ج4، ص72-73.

إياك والغدر / عليك بالوفاء

فكن بمالك جوادا / وبدينك شحيحاً

الكريم / البخيل

وردت "إياك" في هذا القول بمعنى التحذير إياك والغدر فهي مناسبة لمقام التحذير، واختيار اللفظ "إياك" يناسب مع أفعال الشخصية "البخل، الغدر"

التعبير باسم الفاعل عليك بمعنى إلزم واستمسك بالوفاء لأنه من شيمة الرجال.

بدأ القول بـ "إذا" وهي ظرف للمستقبل يتضمن معنى الشرط أي إذا احتجت مالاً فَهزَّ كريماً، ربط طلب المال بالإنسان الكريم.

وفي خطبة من خطب رسول الله عليه الصلاة والسلام فيقول:

" أيُّها الناس، إنّ لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم، إن المؤمنَ بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله فاعل فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة إلى الكبيرة، ومن الحياة قبل الموت من مستبعد ولا من الدنيا من دارٍ، إلا الجنة والنار"[1]

في هذا المقام يوعد رسول الله بالالتزام كل شخص مسؤول وملزم عن نفسه لا يشغل نفسه بأمور الآخرين، مستعملا في ذلك أسلوب التأكيد "إن لكم معالِم فانتهوا إليها" "إن لكم نهاية" "إن المؤمن".

عبر رسول الله عليه الصلاة والسلام بلفظة الناس، بدلا من المؤمنون أو المسلمون لأن الرسالة موجهة إلى كافة الناس والدين الإسلامي دين عالمي وليس للمسلمين فقط.

[1]-الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج1، ص303.

فالخطبة إستراتيجية مبنية على

- العالمية

-التأكيد

- التضاد لاستحضار الصوت والتمثيل

"الموت، الحياة"، "مضى" "الشيبة، الكبر"

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم بالنساء فيقول: " أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حقا عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحد تكرهونه إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أمر أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهم ضربا غير مبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، والنساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا،أخذتموهن بأمر الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا"[1].

إن هذه الوصية تشمل عدة معاني والألفاظ المختارة بدقة تناسب المقام الذي قيلت فيه، فالرسول عليه الصلاة والسلام يوصي باحترام المرأة ومعاملتها أحسن معاملة.

بدأت هذه الوصية بحرف النداء "أيها" من أجل التنبيه وتبعها المنادي "الناس" أي أن هذه الوصية عامة تشمل كل الناس جميع الأجناس والألوان.

طرفا الخطاب واضح المرسل محمد عليه الصلاة والسلام – المرسل إليه الناس عبر عليه ضمير المخاطب "أنتم".

تكرار لفظة النساء وحرصه التداولي هو التأكيد "التأكيد على حسن معاملة النساء

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص32.

التعبير بالافتراض "فإن فعلن" الحل فضربوهن ضربا غير مبرح "قال فضربوهن" من "اِضربوهن" التعبير بالمضارع لإفادة الأمر.

التعبير بالاستثناء:

لا يدخلن أحد تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم الغرض منه إخراج الشيء من حكم ما قبله، أي الحكم بشيء، ثم استثناه غير منه أي لا يدخلن هذا الشخص إلى البيت لكن إن أذن صاحب البيت بدخوله فلا حرج عليه.

3- مقام طلب العلم:

إن العلم يهدي إلى الطريق الصحيح، ويزيح الظلمات عن طريق الفرد ويجنبه الوقوع في الخطأ كيف لا وكتاب الله يحث على طلب العلم.

يقول عزّ من قال: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[1]

قيل عن البيان: " البيان بصرٌ والعيُّ عمى، بما أن العلم بصر والجهل عمى، والبيان من نتاج العلم، والعيُ من نتاج الجهل".[2]

المقام الذي قيل فيه هذا القول هو مقام يطلب العلم والمعرفة، ويدعوا من خلاله إلى التحلي بشروط البيان والفصاحة والابتعاد عن العيّ وكثرة الكلام، فالكلام المبين أطرب وأفصح إلى السامع من كثرة العي.

[1]-سورة المجادلة، الآية 11.

[2]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص77.

أكد قوله من خلال استعماله:

1-"أن" للتوكيد أن العلم نور والجهل ظلام.

2- التضاد واضح وجلي في القول وهو وسيلة من وسائل التداولية "العلم# الجهل" "البصر # عمى" " البيان # العيُ"

قال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** ﴾"[1]

نزلت هذه الآيات في "مقام علم" أي لتعليم "الناس" بأن "الرحيم" هو الذي علم الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن، وهو الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وهو الذي خلق الكون وكل له "دور" و"عمل" معين.

لأن المقام الذي وردت فيه هذه الآيات مقام ردٍّ على الذين شككوا في من علم الرسول عليه الصلاة والسلام القرآن فنزلت في حقهم سورة الرحمن.

وجاء الفعل "عَلَّمَ" بصيغة الماضي للتأكيد بأن "الله" سبحانه وتعالى هو الذي علم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن أي علمه في زمن الماضي وكذلك قوله عزّ وجل:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[2]

ومثل هذه الآية مثل غيرها نزلت في "مقام علم"، تعليم بأن الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياءاً يستضاء بها في النهار ومن دفئها، والقمر نوراً ينيرُ دروبَ الليالي الحالكات، وبواسطة هذا القمر نستطيع حساب السنين.

[1] -سورة الرحمان، الآيات 1-2-3-4-5.-

[2]-سورة يونس، الآية 05.

عبر سبحانه وتعالى عن الشمس وقال جعل الشمس ضياءاً عبر بالمذكر ولم يقل الشمس مضيئة، لأنه أراد التخصيص وكذلك عبر بالمذكر لأنه مصدر.

باستعمال الحصر: الجملة "ما خلق الله ذلك إلا بالحق" مبنية على الحصر، إذا حذفنا "ما" و"إلا" لن يتغير المعنى "خلق الله ذلك الحق".

الترادف بين "الضياء" و"النور" خصص الله سبحانه وتعالى "الضوء" للشمس و"النور" للقمر وفي القرآن الكريم "النور" و"الضياء" مترادفان وذلك لخاصية قرآنية من أجل التنويع في الكلام لأنه نُزِّل بلسان عربي مبين.

قال أبو الأشعث على لسان الجاحظ:

" أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون البليغ رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير الكلام لا يتكلم سبب الأمة بكلام الأَمَة، ولا الملوك بكلام وسكوت في فواه فضل التصرّف في كل طبقة، ولا يدقق المعاني كل ولا ينفع الألفاظ كل التنقيح، ولا يطلقها كل التصفية، ولا يهذبها غاية التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادق حكيما، أو فيلسوفا عليها...."[1]

المقصود من القول أن سكوت المتكلم أثناء أداء للرسالة فصيحا متخيرا للألفاظ، و"لكل مقام مقال" أي يكلم صاحب العلم والملوك بما طيب من كلام ويحسن التزويق وانتقاء أرقى الكلمات أم أصحاب السوق والعامة بالكلام الذي يفهمه العامي.

فالكلام طبقات، مفضل "الكلام في كل طبقات الطبقة الاجتماعية هي التي "تتحكم في الكلام الفصيح.

الملك صاحب الأمة ↓ الملك ↑

[1] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص95

مخطط يمثل الكلام مراتب وطبقات

قال ابن الأعرابي: "قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العددي: ما هذه البلاغة التي تتكلم؟ قال شيء تجيش به صدورنا فنقوله على ألسنتنا"[1].

الغرض من القول أن البلاغة إحساس أو فطرة موجودة في الإنسان، لكن ليس كل إنسان بليغ، لأن البليغ متوفر فيه شروط البلاغة من بينها: " الفصاحة، حسن اختيار الألفاظ، قليل اللحظ ساكن الجوارح".

وجود الاستفهام:

ما هذه البلاغة التي فيكم؟ سؤال أو استفهام للاستفسار عن شيء معين.

كما يعتبره آخرون من الأبيات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه على خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يؤيده المرسل لا حسب ما يريده الآخرون..."[2]

أسلوب الاستفهام آلية من آليات التحليل التداولي

وهذا معاوية يسأله: "ما هذه البلاغة فيكم؟ قال الإيجاز. قال له معاوية وما الإيجاز؟ قال صُحار: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ، فقال له معاوية أو كذلك تقول بإيجاز؟ قال صحار:

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص96.

[2]-عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،ص123

أقلني يا أمير المؤمنين ألا تبطئ ولا تخطئ"[1].المقام الذي قيل فيه هذا القول مقام تعليم، تعليم فنون القول الصحيح البليغ الموجز أي حسن إرسال الرسالة مع القدرة على التبليغ في أحسن وجه. إذا فالمقام مقام مثقفين وعليه فالخطاب عالٍ موجز لا يحتاج إلا الشرح والتمثيل.

مقام المدح والذّم:

أ–مقام المدح:

المدح هو إحسان القول والثناء في شخص معين مع التركيز على الصفات الحميدة، والصفات الحسنة.

و "هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا"[2]

مثال ذلك مديح عبد المطلب في ولادة خير البشرية يقول :

وَ أنتَ لماَ وُلِدتَ أَشْرَقَتِ الأَرْضُ وَ ضَاءَتْ بنُورِكَ الأُفقُ

فَنَحنُ فِي ذَلكَ الضِيَاءِ و في النُورِ و سُبِلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ [3]

ومن الأمثلة التي سبقت في هذا المقام قول عثمان بن أبي العاصي الثقفي: "سمعت أعرابيا ذكر يوما قريش فقال: "كفى بقريش شرفاً أنهم أقرب الناس نسباً لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وأقربهم بيتا من بيت رسول الله"[4].

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، ، ج1، ص96.

[2]–الشريف الجرجاني ، التعريفات ، ص116

[3]زكي مبارك ،المدائح النبوية في الأدب العربي ، منشورات المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ،ط1 1935،ص17

[4]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص68.

المقام الذي قيل فيه هذا القول مقام مدح، مدح وثناء لأهل قريش وأنهم أقرب نسب لرسول الله عليه الصلاة والسلام. وبيت الحرام

وفي موقف آخر سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن معد يكرم عن سعد قال: "كيف أميركم؟ قال: خير أمير نبطيٍّ في حُيْوَتِهِ عربي في نَمِرته ، أسد في تامورته، يعدل في القضية؛ ويقسم بالسوية ويَنْفِر في السّريّة، وينقل إلينا حقنا كما تنقُل الذَّرَّةُ"[1]

نلاحظ من خلال هذا القول مدى حُبْ عمرو بن معد يكرب للصحابي الجليل سعد بن وقاص فمدحه بأجود وأرقى الألفاظ. صاحب السؤال عمر بن الخطاب وهو صحابي مثقف ومسؤول.

المسؤول عنه صحابي جليل "سعد بن وقاص" والمجيب عمرو بن معد يكرب وهو حديث عهده بالإسلام.

كيفية الإجابة كانت: بالعدل والشجاعة إذا فالألفاظ اختارها "عمرو" جديرة بإقناع "عمر بن الخطاب"

ب–مقام الذّم:

الذّم هو ذكر الصفات القبيحة وعيوب شخص معّين.

يقول الشاعر:

إنَ ذَمَّ شخصٌ بِقبيحٍ تَفْهَمُه فالعجب لما قيل كمن لا يعلمه.[2]

قيل الأصمعي: قال عيسى بن عمر: قال ذو الرمّة:

[1]–الجاحظ،البيان و التبيين ’ج2،ص68

[2]–المصدر نفسه ، ج2،ص80

» قاتل أَمَة آل فلان ما كان أفصَحَها ! سألتها كيف المطر عندكم؟ فقالت غثنا ما شئنا"[1]

سأل "ذو الرمة" "أمَة" كيف المطر عندكم؟ سؤال من أجل يستفسر عن أحوال الجو والمطر فأجابت "غثنا ما شئنا" اختلاف ظاهر وجلي سيرة "المطر" و"العبد"، فالمقصود بالمطر الطوفان، أما الغيث فهو الماء المتساقط من السحاب ويأتي بالخير والبركة.

كلمة الغيث في القرآن الكريم يقول الله تعالى:

﴿"**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا** ﴾"[2]

معنى الغيث هنا هو الماء المتساقط من السماء، من بعد طول انتظار.

أما عن المطر يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ** ﴾"[3]

معنى كلمة مطر في هذه الآية هو العقاب.

يقول بعض الحكماء:

"لا تدع أمُّ صَبِيِّكَ تضربهُ، فإنه أعقل منها وإن كانت أسَنَّ منه".[4]

يحمل هذا القول عدَّة معاني من بيتها الاحتقار والتهميش للمرأة بصفة خاصة، حيث أن المرأة لا قيمة لها في هذا ولا تملك أبسط حقوقها حتى مع أولادها.

ويقال:

[1]-المصدر نفسه، ص71.

[2]-سورة الشورى، الآية 28.

[3]-سورة هود، الآية 82.

[4]-الجاحظ، البيان والتبيان، ج1، ص248.

"فلان أحمقُ. فإذا قالوا مائِق، فليس يريدون المعنى بعينه، وكذلك إذا قالوا أنَوكَ. وكذلك إذا قالوا رفيع. ويقولون: فلان سليم الصدر، ثم يقولون عِيٌّ، ثم يقولون :فلان سليم الصدر،ثم يقولون عِيٌّ ،ثم يقلون أبله وكذلك إذا قالوا معتوهٌ ومَسْلوس وأشبَاهَ ذلك"[1]

يحتوي هذا القول على ألفاظ وصفات عديدة مفادها الذم وهي تختلف من صفة إلى أخرى فالحمق ليس معناه النوك و الرقيع و لا المائق ، وكذلك إذا قالوا معتوهٌ ومَسْلُوس الاشتراك والترادف اللفظي للألفاظ التالية: "الحمق، مَائق، أفْوكُ، رقيع، عيٌّ، أبله" كوسيلة تداولية لاستحضار الصورة.

خلاصة القول في هذا المبحث أن المقام يهتم بكل صغيرة وكبيرة، من ناحية القرائن غير اللفظية كالمستوى الاجتماعي للمرسل والمرسل إليه والعلاقة القائمة بينهما مع مراعاة الحالة النفسية والقدرات الذهنية لأطراف التواصل ومكان وزمن وقوع الحدث.

المبحث الثالث: الاستلزام الحواري التخاطبي implicature Conversational

نعالج في هذا المبحث محورا من أهم محاور التداولية فالدرس التداولي لا يقوم إلا من خلال "الاستلزام الحواري"، الذي قيل فيه العديد من التعريفات، وتعود الجذور الأولى لهذا المصطلحات للفيلسوف الأمريكي "غرايس"، من خلال محاضرة ألقاها في جامعة "هارفد" قدم من خلالها تصور حول هذا المفهوم التداولي، وأهم الأسس المنهجية التي يقوم عليها.[2]

وأهم شيء وقف عليه غرايس هو إمكان أن نقول شيء ويعني شيئا آخر، ثم كيف يمكن أن يسمع المخاطب شيئا وهو يفهم شيئا مخالف تماماً.

[1]-الجاحظ ،البيان و التبيين، ج1، ص250.

[2]-ينظرمحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص32.

مثال ذلك المحاورة التالية:[1]

هل بإمكانك أن تزوريني الليلة؟

لدي امتحان غدا

من خلال المحاورة تفهم أي المتحدث مشغول في محاولة المراجعة والتحضير للامتحان ولا يمكن استقبال الضيوف فالرفض جاء بطريقة غير مباشرة مستلزمة في الرفض.

ويقدم غرايس الاستلزام الحواري إلى قسمين:

1-الاستلزام الحواري العرفي: conventional implicature

" وهو استلزام العرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، من ذلك مثلا في الإنجليزية "but" ونظيره في العربية "لكن" [2]"

وما ورد من أمثلة عن الاستلزام الحواري العرفي في كتاب البيان والتبيين ما يلي:

يقول أحد الشعراء:

بِأوجُحِ مِني جُهْدُ شَوقِي وغُلةٍ إليكِ وَلَكِنَ العَدُوَ عَدَانِي

يحمل هذا القول استلزام حواري عرفي، فالشاعر يحمل مشاعر شوق وحب إلى محبوبته لكن العدو قاطعه ونَفَاه ومنعه من الاتصال بمحبوبته.

رغم كل الشوق والحنين...لكن لا يستطيع رؤية محبوبته.

[1]-ينظر فضاء دياب حليم الحسناوي، الأبعاد التداولية عند الأصمعي، مدرسة النجف الحديثة أنموذجا، ص70.

[2]-محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص33.

لكن: حرف عطف واستدراك يثبت لما بعده حكما مخالفا لحكم ما قبله.

قوله تعالى:

﴿**أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[1]، يوم القيامة يأتي الظالمون وهم مبصرين، لكن اليوم في الدنيا هم في ضلال مبين.

وفي موقف آخر يقول الشاعر:

زوجكِ زَوجٌ صَالِحٌ لَكِنَهُ يَخْبَأُ العَصَا[2]

زوجك زوج تتوفر فيه جلُّ شروط الزواج لكنه غير شجاع يخبأ العصا.

من المتعارف عليه في عرف اللغة أن "لكن " تثبت لما بعده حكما مخالفا لحكم من قبله زوج صالح لكن يخبأ العصا.

يقول عزّ وجل: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** ﴾[3] لكن لا أشرك بالله أحدا هو الله ربي وحده.

يقول أحد الشعراء:

مَا أَعْلَمَ النَاس أنَ الجُودَ مَنْفَعَةٌ لَلذَّمِ لَكِنَهُ يَأتِي علَى النَشَبِ

جاء هذا البيت مدحا للجود والكرم، وذماً للبخل و الشُّح ، واعترضه استلزام عرفي "لكن" الجود يأتي على النشب أي المال.

2-الاستلزام الحواري: conversational implicature

[1]-سورة مريم، الآية 38.

[2]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص56.

[3]-سورة الكهف، الآية 38.

للاستلزام الحواري عند غرايس خواص تميزه عن غيره من أنواع مستلزمات الأخرى، وقد استطاع أن يضع خواص للاستلزام الحواري وهي كالآتي:

2-1: الاستلزام يمكن إلغاؤه: defeasible

" ويتم هذا النوع من أنواع الاستلزامات عن طريق قول كلاما ما من طريق الاستلزام الحواري ويحيله إلى مفهوم أو معنى آخر. مثلا قوليا:

لم نقرأ كل كتب البلاغة، فقد يستلزم ذلك عنده أنه قرأ بعضها. إذا أكملت كلامها بقولها: الحق لم أقرأ أي كتاب منها فقد ألغت الاستلزام".[1]

2-2: الاستلزام لا يقبل الانفصال non-detachable

الاستلزام الحواري في هذا النوع لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي أي إنه مرتبط بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قبل بها ولا يتغير المعنى بمفردات أخرى تُراد فيها.[2]

ذكر الجاحظ عن أبو الحسن عن عبد الرحمان بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية: "أما والله لو كنّا على السواء بمكة لعلمت ! قال معاوية: إذا ليت أكون معاوية بن أبي سفيان منزلي الأبطحُ ينشق عني سبله وكنت أنت عبد الرحمن ابن خالد منزلُك أجيادٌ، مدَرَةَ، وأسفله عَدِرَةٌ"[3].

قيل هذا القول في مقام فخر واعتزاز، والألفاظ المختارة على ذلك ملائمة للمقام الذي قيلت فيه حتى ولو بدلت بمرادفات يبقى المعنى قائم.

2-3: الاستلزام المتغير:

[1]-ينظر محمود أحمد نحلة ،أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص38

[2]-ينظر المرجع نفسه ،ص38

[3]الجاحظ، البيان والتبيين، ج2،ص264.

المقصود من الاستلزام المتغير أن الاستلزام الحواري الواحد قد يؤدي إلى عدة استلزامات مختلفة مثلا: إذا قال شخص: "كم عينا لي" فقد يكون سؤالا موجها لطفل صغير يتعلم الأعداد مثلا، وقد يكون هذا السؤال استنكارا لما يوجه له من تركيز أو مراقبة إذا فتغيير الاستلزام بتغيير السياق الوارد فيه.

2-4: الاستلزام يمكنه تقديره:

ف"المراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام".[1]

ومثال ذلك في البيان والتبيين ما ذكره الجاحظ عن غنية الأعربية في شأن ابنها:

أَحْلِفُ بِالمروَةِ يَوْمًا وَالصَفَا أَنَكَ خَيرٌ مِنْ تَفَارِيقِ العَصَا"[2]

"إن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إليَّ خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية، والمفروض أن المتكلم ملتزم بـ (مبدأ التعاون) أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً"[3]، ماذا يريد أن يقول؟

لابد أنه يريد أن يقول أن هذا الرجل له منافع كثيرة جعلته تصفه بهذا الوصف، وهو يعلم أنني أستطيع أن أفهم المعنى الغير الحرفي، فعبر بهذه الطريقة الاستعمارية الاستفهام.

تناولنا في هذا الفصل النظرية التداولية في كتاب "البيان والتبيين" مركزين على الأسس التي تقوم عليها التداولية نظرية أفعال الكلام، المقام، الاستلزام الحواري.

ترتكز التداولية عند الجاحظ في النقاط التالية:

[1]-محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص39.

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص49.

[3]- المرجع السابق ، ص39.

1-الفصاحة وطلاقة اللسان.

2- الاختيار المناسب للألفاظ.

3- لكل مقام مقال.

4- الفهم والإفهام.

الفصل الرابع:

الحجاج في المدونة

*__المبحث الأول__: مقام الجدل الحجاجي

*__المبحث الثاني__: المناظرة عند الجاحظ

*__المبحث الثالث__:التنوع الاجتماعي وأثره في الدلالة اللغوية

الحجاج في المدونة:

المبحث الأول: مقام الجدل الحجاجي

يعد الحجاج جزء من التداولية مثله مثل نظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري... والحجاج هو تلك الطريقة التي تتبنى الحجج والبراهين لإثبات قضية ما، فالحجاج هو خطاب يهدف إلى تحقيق غاية ما ولا يكون هذا إلا عن طريق أفعال الكلام وقوتها في تغيير والتأثير فالحجاج كما قلنا يحمل صيغة تداولية " لأنه يحمل طابع تداولي مقامي واجتماعي "[1].

والحجاج بصفة عامة هو تقديم الحجج والآراء من أجل الإقناع والتأثير، ويشترط وجود مرسل ومتلقي مع تبادل الحجج أي حجة بحجة.

تختلف الحجج باختلاف الأشخاص والطبقات كلما كان المحاجج مثقف كانت الحجة قوية ومؤثرة [2].

يقول عز وجل:

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾"[3].

تحمل الآية إنكار في الذي يحاجج بدون علم، أنتم تحاججون في الذي ليس لكم علما به والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

[1]- ينظر طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص 20، ص 65.

[2]-ينظر صابر الحباشة التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص 68.

[3] -سورة آل عمران الاية 66.

يمكن أن نعتبر أن الحجاج في بعده التواصلي كل تواصل يعتمد على الحجة والبرهان والدليل وسيلته للإقناع والفهم، فالحجاج هو تقديم أدلة قوية من أجل الإقناع والتأثير في الآخر، هذا من الجانب التطبيقي أما من الجانب التداول فيتمظهر الحجاج في البعد الواقعي ذلك أنه إطاراً زمنياً ومكانياً، لأن الطابع الفكري للحجاج مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية تهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة علمية موجهة بقدر الحاجة[1]. الجاحظ يؤكد على مراعاة مقتضى الحال ولكل مقام مقال

فكتاب البيان والتبيين فيه من الخطابات الحجاجية المتنوعة و التي عالج قضايا البلاغة، وهو بمثابة الرد والدليل القاطع على أن العرب هم السباقون في ذلك، وقد أورد ردوداً وأدلة قاطعة في ذلك يقول الجاحظ في من عرف البلاغة: " قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذ كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإعراض عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحمق بالظفر"[2].

يقول أهل الهند أن البلاغة هي حسن الحجة ومعرفة مواضع الكلم ويضيف الجاحظ إلى هذا الكلام حسن اختيار الحجة ومعرفة مواضع الكلم مع مراعاة مقتضى الحال فهو شرط من الشروط التي تدعو إليها التداولية.

ويميل الجاحظ إلى الكناية عن الإفصاح ففي الكناية يحلو الخطاب، وإن كان الإفصاح بالحجة أوعر وطريقة غير مرغوب فيها من أجل مغالطة أو إقناع الخصم.

والجاحظ ذلك الرجل الشهم والعربي القُحْ كان له دور كبير في الرد على الشعوبية وكل من يطعن في الإسلام والمسلمين فهو يدافع بكل قوة عن دينه وعروبته وحتى عن فرقته " المعتزلة " موظفا

[1] –ينظر زكرياء السرتي، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني نماذج وملاحظات، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015، 27.

[2]– الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 68.

في ذلك حججا عقلية بقول ابن خلدون عن الكلام والحجاج: " علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[1].

ويواصل الجاحظ تقديم الحجيج فقد تكون توضيحية ثارتا وقد تكون دليلاً تارتا أخرى.

يقول عن البلاغة قال إسحاق بن حسن بن قومي: "لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط سُئِل ما البلاغة ؟ قال البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنا ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وخطاباً."[2]

الخطاب موجه إلى فئة معينة إلى المتعاملين في حقل علم البلاغة وعلماء البلاغة.

استطاع المتكلم من خلال تعريفه للبلاغة إقناع المتلقي بواسطة حجج متعددة بأن البلاغة تحمل عدة معاني منها ما يكون في " السكون أو الاستماع " ومنها ما يكون في " الإشارة وأخرى في الاحتجاج "، ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون " سجعا وخطاباً ".

فقد استطاع " المرسل " التأثير في المرسل إليه عن طريق تقديمه للحجج متعددة فالكلام البليغ هو الكلام الفصيح المختصر الدال الذي يقع على قلب السامع فيذهل ويقتنع به.

يأتي الجاحظ بهذه الحجج المتعددة من أجل إثبات مدى أهمية الكلام البليغ في تحقيق التواصل، فالكلام الفصيح يفهم من الوهلة الأولى ولا يبعث الملل عند السامع .

[1]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق سورية، ط1، 2004، ص 205.
[2] –الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص 114–115.

1_2 حجاجية الكلمة :

إن الكلمة الحجاجية بكل مستوياتها سواء من الناحية "الصوتية ،أو الصرفية ،أو النحوية ،و كذا المعجمية " تحمل دلالة و بعد تداولي حجاجي

الكلمة عند الجاحظ متشبعة تحمل العديد من المعاني ،لكن القصد من الكلمة هنا "الكلمة الحجاجية" التي تحمل معنى حجاجي و إقناعي برهاني ، التي تؤثر في المتلقي "عقليا ، و عاطفيا".

1_3 التكرار:

يعرف السيوطي التكرار فيقول :" التكرير هو أبلغ من التأكيد ، و هو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط "[1].

ومثال ذلك يقول الجاحظ :"... كلا و لكنكم كنتم رعاة بين الإبل و الغنم ، فحملتم القنا في الحضر بفضل عاداتكم لحملها في السفر ، و حملتموها في المدر بفضل عاداتكم لحملها الوبر ، و حملتموها في السلم بفضل عاداتكم لحملها في الحرب"[2]

التكرار بمثابة رسالة للمتلقي تأكيد على أهمية العصا عند العرب و هي من عاداتهم و تقاليدهم و الميزة التي تميزهم عن باقي الشعوب .

1_4 التضاد

يقول الجاحظ " فحملتم القنا في الحضر بفضل عاداتكم لحملها في السفر ، و حملتموها في المدر بفضل عاداتكم لحملها الوبر ، و حملتموها في السلم بفضل عاداتكم لحملها في الحرب ،و لطول اعتيادكم لمخاطبة الإبل ، جفا كلامكم ، و غلظت مخارج أصواتكم ،حتى كأنكم إذا كلمتكم

[1]-جلال الدين السيوطي،الإتقان في علوم القرآن ،مؤسسة النداء دط ،دت ،ج3،ص280

[2]-الجاحظ ،البيان و التبيين ،ج3،ص 14

الجلساء إنما تخاطبون الصمان ، و إنما كان جل قتالكم بالعصى ، و لذلك فخر الأعسى على سائر العرب "[1].

يحمل النص كلمات متضادة" السلم ضد الحرب" ، و "المدر ضد الوبر" .

الغرض الحجاجي من التضاد هو التأكيد على الفكرة ، التأكيد على أهمية العصا في الثقافة العربية.

2-الروابط الحجاجية ودورها في بناء الحجة:

استعمل الجاحظ للربط بين الحجج روابط حجاجية les connecteurs وهي:

" عبارة عن أدوات تربط بين الجمل الحجاجية، فاللغة العربية مثلا، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، نذكر منها: إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلا...الخ "[2]

1-الرابط الحجاجي " الواو ":

"الواو حرف عطف فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر ، في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة"[3].

مثال ذلك يقول الجاحظ:"البيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على مخصوله كائنا مكان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام ،فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت المعنى ذلك هو البيان في ذلك الموضع "[4].

هذا التعريف يعبر عن نظرة الجاحظ للبيان و اعتباره أساس الفهم و الإفهام.

---

[1] -الجاحظ ،البيان و التبيين ،ج3،ص 14

[2]- ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج واللغة، ص 26.

[3] -المرجع نفسه ص 29

[4] -الجاحظ ، البيان و التبيين ،ج 1 ،ص76

من خلال تعريفه للبيان استعمل العديد من الحجج التي تبين مفهوم البيان و للربط بينها وظف الجاحظ الرابط الحجاجي المتمثل في "الواو" باعتبار الواو رابط حجاجي يربط بين الحجج التي لها معنى دلالي واحد ، فالواو حرف عطف يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر تخدم حجة واحدة و هي الأساس "مفهوم البيان".

2-الرابط الحجاجي " حتى ":

"يعتبر الرابط الحجاجي حتى من الروابط المدرجة للحجج القوية ، كل حجة تأتي بعد حتي هي الأقوى "[1].

و مثال ذلك :

يقول الجاحظ:" و البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى و هتك الحجب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محموله كائنا ما كان ذلك البيان "[2] .

بدأ الجاحظ قوله بتعريفه للبيان بمثابة حجة الأولى ،ثم انتقل إلى الحجة الثانية كشف قناع المعنى و هتك الحجاب أي الإفصاح ، ثم انتقل إلى حجة ثالثة و قوية و هي كشف المعنى و اللبس أي إدراك السامع للمعنى المقصود .

ربط الحجج الثلاث برابط حجاجي "حتى" ، و من خصائص هذا الرابط ربط الحجج التي لها علاقة أو تخدم عنصر معين "هو البيان و الإفصاح هو أساس الفهم "

3-الرابط الحجاجي " لأن ":

"يستعمل هذا الرابط من أجل إدراج الحجة و من أجل التعليل و التبرير "[3]

[1] -أبو بكر العزاوي ،الحجاج و اللغة ص30

[2] -الجاحظ ، البيان و التبيين،ج4،ص76

[3] -المرجع السابق،ص30

بدأ الجاحظ قوله بتعريفه للبيان ثم أضاف حجة قوية لتأكيد ذلك ثم أدرج حجة للتأكيد على الحجة السابقة فيقول "... لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام يهتم الجاحظ بثنائية " الفهم والإفهام " فهو يهتم بالمتلقي مع مراعاة مقتضى الحال.

ويؤكد الجاحظ على قضية الفهم والإفهام ومراعاة أحوال المتلقي من خلال استشهاده بقول بشر بن المعتمر فالجاحظ يحتج بالقول ويتبناه:

يقول بشر بن المعتمر:

" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "[1].

يراعي بشر بن المعتمر أقدار المستمعين ويعطي أهمية كبيرة للمتلقي، وحالته الاجتماعية والعلمية، وينبغي على المتكلم أن يختار كلماته وفق مقولة لكل مقام مقال، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما فلكل مستمع حالته الخاصة به.

يولي بشر بن المعتمر أهمية كبيرة للمقام باعتبار أن البلاغة تقوم على أساس لكل " مقام مقال " فالكلام المناسب في الموضع المناسب، فالمقامات تختلف من مقام إلى آخر مقام المدح ليس مقام الذّم، مقام السخرية ليس بمقام طلب العلم وإلى ذلك...

بدأ بشر بن المعتمر مقولته ب " ينبغي "، لماذا يقل يجوز ؟ وقال ينبغي ؟

ينبغي للمتكلم مراعاة أحوال المرسل إليه من أجل نجاح عملية التواصل وهو شرط من شروط التداولية، باعتبار التداولية تهتم بالظروف الداخلية والخارجية للخطاب.

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 139.

يقول محمد العمري في هذا الصدد " أما الحديث عن أقدار الحالات، فينصرف إلى مناسبات القول، فقد يكون المستمع واحداً في الحالتين ولكن المناسبة تختلف فتختلف لذلك المعاني، فخطبة العيد أو الجمعة أو حفل أو غيرها من المناسبات العامة لا نستطيع استعمال لغة معقدة أو معربة"[1].

و في مثال آخر للجاحظ يقول :"ثم اعلم حفظك الله أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، و معتمدة إلى غير نهاية ، و أسماء المعاني مقصورة ، معدودة و محصلة محدودة "[2].

3-العوامل الحجاجية :

العوامل الحجاجية "لا تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموعة حجج و لكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما . و تضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما،تقريبا ،كاد ،قليلا ،كثيرا ،ما...إلا ، و جل أدوات القصر "[3]

وفي حديثه عن الصوت يقول:

"والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزونا ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلِ والشَّكل والتقتل والتثني، واستدعاء الشهوة، وغير ذلك من الأمور ".[4]

من خلال القول يتبين أن الجاحظ يعطي أهمية كبيرة للصوت كيف لا ؟ وهو آلة التعبير عن الأحاسيس والأفكار والجوهر الذي يقوم به التقطيع.

---

[1]-محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 200

[2] -الجاحظ ،البيان و التبيين ،ج1 ،ص 56

[3] -محمد العمري ،اللغة و الحجاج ،ص27

[4] -المصدر السابق، ج1، ص 79.

ويعرف ابن جني الصوت فيقول: " الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرضا له حرفاً "[1]

مفهوم الصوت عند ابن جني عبارة عن هواء يخرج من النفس ثم يمر بالحلق والفم والشفتين فيتكون صوت ويخرج له معاني.

قدم الجاحظ حججاً دالتاً على أهمية الصوت في التواصل:

- الصوت هو آلة اللفظ
- وبه يوجد التأليف
- وتمام حسن البين باللسان

أكد الجاحظ على أهمية الصوت في التعبير عن المعنى، مستعملا أسلوب القصر بالنفي والاستثناء للتأكيد على حججه

وفي قضية أخرى دافع الجاحظ عن الكلام بتقديم حجة قاطعة على أهمية الكلام في التواصل وما إلى ذلك يقول:

"... وكيف يكون الصمت أنفع، والإيثار له أفضل، ونفعه لا يكاد يتجاوز رأس صاحبه. ونفع الكلام يعمّ ويخصّ، والرواة لم ترو سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين، وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت، ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواضع الكلام المحمودة كثيرة، وطول الصمت يفسد اللسان ؟ "[2]

[1]- ابن جني، سر صناعة الإعراب،ص6

[2] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج4، ، ص 200.

اعتمد الجاحظ في تقديمه للحجج أسلوبا استفهاميا لأن " اعتماد الاستفهام في العملية الحجاجية دورا كبيرا نظرا لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه "[1]

قدم حججا من بينها:

الصمت دلالته محدودة، ونفعه لا يكاد يتجاوز رأس صاحبه، بينما الكلام له أهمية كبيرة ويشمل العام والخاص.

- الرواة لم ترو سكوت الصامتين، بل روت كلام الناطقين

- أرسل الله الأنبياء بالكلام لا بالصمت

- طول الصمت يفسد اللسان، ومواطن الكلام محمودة كثيرة عكس الصمت.

وفي الأخير الجاحظ من أنصار الكلام، وأراد إقناع المتلقي بأهمية الكلام والإفصاح عن طريق استفهام يثير في المتلقي.

المبحث الثاني: المناظرة عند الجاحظ

إن أهم أسس مؤلفات الجاحظ هو تأثير انتمائه العقيدي فقد كان منخرطا في نحله " المعتزلة " التي تعتبر هذه الأخيرة " اللغة والبلاغة " هما سلاح المتناظرين والمجادلين الذين يتوخون نصرة مذهبهم

[1]-الحواسي مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم " سورة النمل نموذجا "، اللغة والأدب، معهد اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12، ص 341.

والإقناع به لعل هذا السبب الذي دفع الجاحظ رجل محاججة ومناظرة ومتكلم عارف بتصاريف الكلام ووجوه الاحتجاج [1]

1مفهوم المناظرة:

1-1لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور: والتناظر: التراوض في الأمر- ونظيرك: الذي يراوضك وتناظره وناظره من المناظرة- والنظير: المثل، وقيل: المثل في كل شيء- وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليها الناظر رآها سواء والنظير بمعنى مثل الند...[2]

مفهوم المناظرة في اللغة هي المشاحنة في الأمر أي الند للند.

1-2 اصطلاحا:

ربط ابن خلدون في مقدمته المناظرة بالجدل مؤكدا على علاقتها العضوية يقول: " وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطئا، فاحتجاج الأئمة إلى أن يطبعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال

المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوما منقطعا ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال".[3]

[1]-ينظر عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016، ص 117- 118.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ص 219.

[3]- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 117.

يربط ابن خلدون مفهوم المناظرة بالجدل لكن هناك بعض الدراسات الحديثة تميز بين الجدل والمناظرة، وتعتبر أن الفارق بينهما فارق أخلاقي يتصل بالهدف، فهدف المناظرة الكشف عن الحقيقة أو الصواب، وهدف الجدل التغلب على الخصم.[1]

إن التعريف الأكثر دقة للمناظرة هو تعريف أبو الخير أحمد، في رسالته المعروفة برسالة آداب البحث وشرحها بحيث يقول،. " أعلم أن المناظرة في اللغة مأخوذة إما من النظير أو من النظر بمعنى الإبصار أو الانتظار، وفي الاصطلاح هي النظرة بالبصيرة من الجانبين بالنسبة بين الشيئين إظهار للصواب ".[2]

من خلال التعريف يتبين أن المناظرة هي مباحثة عقلية تتم بجانبين في مهاد خلافي و متوخاها إظهار الصواب.

2-المناظرة في الثقافة العربية الإسلامية:

ليست المناظرة مجرد خطاب حجاجي معزول، أو مجرد نوع أدبي خاص ضمن الثقافة العربية الإسلامية، بل هي سمة مميزة ومخترقة لكافة ضروب هذه الثقافة وعليه، فإذا كانت الأصول التي تحدد المجال التداولي لأي حضارة هي حسب الدكتور طه عبد الرحمن " العقيدة واللغة والمعرفة "، فإن هذه الأصول انطبعت في التراث العربي الإسلامي بخاصية المناظرة، فالعقيدة الإسلامية إنبنت على أسس جدالية، ناظرت حوارية تعاونية تستدل وتطالب بالبينة، وتقيم أثقل الوزن للبلاغ المبين في إنشاء الاعتقاد... وعليه فالمناظرة نادت على التشاور ونبذت الإكراه ونادت بالكلمة السواء من خلالها أهل الكتاب من يهود ونصارى، وناظرت المشركين، كما شكلت دعوة.[3]

[1] – عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة المرجع ، ص 130.

[2] –ينظر المرجع نفسه ، ص 130.

[3] –ينظر المرجع نفسه ،ص131

3-2-مميزات المناظرة العربية الإسلامية:

إن السياق الذي نشأت فيه المناظرة سياق عربي إسلامي والخواص التي كسبتها جعلتها مميزة عن بعض الأنماط الحوارية التي تبلورت في حقل الثقافة الغربية.[1]

تقوم المناظرة في التراث الإسلامي على إقرار الاختلاف وتقوم على التفاعل بين المتناظرين لخدمة ما يعتقد أنه صواب. [2]

المناظرة منتجة وفعالة ومطورة للمعرفة، لذلك دعى الأستاذ طه عبد الرحمن إلى إحياء منهج المناظرة، باعتبار أن المناظرة هي اجتهاد ثنائي لا أحادي، من شأنه توسيع العقل وتعميق مداركه (...) إن الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين، فبسبيل المناظرة إذا يغتني البحث ويصبح العقل " معاقلة "، والنظر " مناظرة " والفكر " مفاكرة ".[3]

4-المناظرة في القرآن الكريم:

المناظرة والمجادلة المشهورة التي دارت بين النمرود وإبراهيم عليه السلام، ومفادها أن النمرود ادعى الألوهية.

قال الله تعالى: "﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[4]

[1] - ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ،ص 135.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص 137.

[3]- ينظر، المرجع نفسه ، ص 137.

[4]- البقرة 258.

أما المناظرةالثانية :

فكانت بين النبي نوح عليه السلام وقومه وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

يقول الله تعالى:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ، قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ، وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[1]

" ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال إنما أنا نذير، أنذركم من عذاب رهيب وعظيم، ومبين لأبين لكم طريق الهدى وعبادة الله وحده لا شريك له، وراح النبي نوح عليه السلام يقدم في الحجج والبراهين فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم، ثم يقول لهم إني لا أريد منكم لا مال ولا جاه، وأنا عبد اختارني الله من أجل هدايتكم فأنا لا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك، فأجابه الذين كفروا وقالوا يا نوح لقد جادلتنا فأكثرت الجدال فأتنا بالوعد المبين أن كنت صادقا، فقال " إنما يأتيكم به الله إن شاء الله ".[2]

[1]-سورة هود، الآيات 25-33.

[2]-الزمخشري، الكشاف، ج12، ص 176

" إنما يأتيكم به الله " أي: ليس الإتيان بالعذاب إلى إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه " إنشاء الله" يعني إن اقتضت الحكمة أن يجعله لكم. [1]

5-المناظرة عند الجاحظ:

لعل أهم المناظرات التي أخذت جهد كبيراً من الجاحظ هي الشعوبية والرد عليهم، وهي فرقة من الناس لا يرون للعرب فضلا على غيرهم، بل يبالغون في ذلك فيذهبون إلى تنقصهم والحط من قدرهم، حتى ألفوا في ذلك الكتب، وسموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل.[2]

يقول الجاحظ عن الشعوبية مايلي

: " ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلى باسم التسوية وبمطاعنهم على خطباء العرب: بأخذ المخِصرة عند مناقلة الكلام، ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى، والمنثور الذي لم يُقف، وبالأرجاز عند المتْحُ[3]، وعند محاثاة الخصم [4]، وساعة المشاولة، وفي نفس المجادلة والمحاورة وكذلك الأسجاعُ عند المنافرة، والمفاخرة، واستعمال المنثور فيخطب الحمالة، وفي تداولية وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف، ولا التماس قافية ولا تكلف الوزن. مع الذي عابوا من ملابسات الخطاب، وخدِّ وجه الأرض بها، واعتمادها عليها إذا اسحنفرت في كلامها، وافتننت يومَ الحفل في مذاهبها، وملابسات الخطاب في أيام الجموع، وأخذِ المحاصر في كل حال...[5] من خلال القول نلاحظ أن الشعوبية وكيدها على العرب كبير، فهي حركة تقلل وتعتزم من حجم العرب، وهي تؤمن بأنه لا يوجد فضل للعرب على غيرهم من الشعوب. وانتقاء الجاحظ لهذا النص خير دليل على ذلك.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف ،ص 176

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص5.

[3]- المتح: الاستقاء من أعلى البئر.

[4]- المحاثاة: الجلوس على الركبة عند المخاصمة.

[5] ، الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص6.

فهم يعبون على العرب الأخذ بالمخصرة أو العصا أثناء الحديث ومناقلة الكلام، وكذا يعيبونهم على الفصاحة واستعمال الألفاظ الموزونة والمقفاة أثناء الصراع أو المبارزة الكلامية وكذا الأسجاع أثناء المنافرة والمفاخرة، وكذا يعيبونهم على كثرة الكلام حتى يصيبهم اللّغو، ويسخرون من العرب عند الإشارة بالعصا، وكذا إتكائهم على أطراف القِسي، وخدِّ وجه الأرض بها...

1:الكلام في الشيء ونقيض:

إذا اعتبرنا المناظرة فنا مشروطاً بالاختلاف قائما على العرض والاعتراض أمكننا إدراج سائر أدب الجاحظ في هذا الفن وإنمائه إليه، ذلك لأي مصنفاته بنية نواتية واحدة قوامها عرض الرأي وضده وإيراد الحجة والحجة المناقضة، وتناول الموضوع الواحد من جهتين: دعماً ودحضاً، ومدحاً وذماً،وإثباتاً ونفياً، ولهذه البنية النواتية تصاريف تشهد بقدرة الجاحظ على الاحتجاج وتوحي في الآن نفسه بخصوبة المناظرة فناً متعدد المقامات مختلف الوظائف والأبعاد.[1]

الرّدُ والاعتراض على القضية:

والجاحظ عربي غيور على قومه، وعلى لغتهم وبيانهم، فلم يكن ليقبل أن يترك لهؤلاء الشعوبيين أن ينالوا من البيان العربي، أو يقذفوه بسهامهم الطائشة.

وقد وقف على عاتقة أن يقف في وجه هؤلاء، وأن يفند حججهم،ويثبت للعرب كل فضيلة وأن البيان صفة خصهم الله بها، والقصد من تأليفه لكتاب البيان والتبيين هو الرد على الشعوبية ودفاعه عن البيان العربي الذي هو موضع فخر العرب ومناط اعتزازهم.[2]

---

[1] –ينظر عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ط1، 2013، ص191.

[2]–ينظر فوزي السيد عبه ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005، د ط، ص 135.

وهذه المزاعم التي ذكرها الجاحظ لهؤلاء الشعوبيين تتصل ببيان العرب، وتطعنهم من الجهة التي يفتخر بها العرب، وبخاصة فن الخطابة الذي يعد من ألمع فنون الأدب عندهم؛ حيث تعددت مجالاتها بمواقف التي تطلبها وتستدعيها من منافرة ومفاخرة وحمالة وصلح وغيرها، وقد كانت عادة خطاب العرب اتخاذ المخاصر والعصى الإتكاء على أطراف القسى، ولم يغفل الخصوم أن يطعنوا العرب هذه العادات التي اعتادوها في إلقاء بيانهم. [1]

ويرد الجاحظ على هذا الكلام وبكل ثقة، مع تقديمه لحجج قوية فيقول:

"لا نعرف الخطب إلا للعرب والفرس، فأما الهند فإنما لهم معان مدونة، وكتب مخلدة، لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلا عالم موصوف، وإنما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة، ولليونانيين فلسفة وصناعة ومنطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكى اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه، وهم يزعمون أن جالينوس [2] كان أنطق الناس ولم يذكروه بالخطابة، ولا بهذا الجنس من البلاغة، وفي الفرس خطباء إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة، وعن اجتهاد رأي وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم". [3]

لقد قدم الجاحظ من خلال هذا النص إحصاءاً دقيقاً للأمم التي عرفت حتى عصر الجاحظ، وما اشتهرت به كل أمة من هذه الأمم، فالهند اشتهرت بمعانيها وحكمها وكتبها المخلدة، أما البيان فإنها لم تعرف هذه المفخرة التي عرفها العرب وأجادوها، وكذلك أمة اليونان، وعلى رأسهم أرسطو، لم يشتهروا في باب البيان والبلاغة بل إن أرسطو نفسه كان بكى اللسان، وإنما اشتهرت هذه الأمة بالفلسفة والمنطق، أما الفرس فقد اعترف الجاحظ أن فيهم خطباء، ولكنه عاد فقرر- بمالا يقبل

[1]- ينظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب ، ص 136.

[2]- جالينوس: هو طبيب إغريقي ولد في بير غامون 129، 216م وهو أحد أعظم أطباء العصور القديمة- ويكيبديا.

[3] -الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 27-28.

الشك- أن كل كلامهم وكل كلام للعجم- بصفة عامة- ليس طبعا فيهم، وإنما يأتي عن اجتهاد رأي، وطول خلوة وتفكر دراستة"[1]

وفي موقف آخر ودائما مع نظرة الشعوبية إلى العرب فيذكر الجاحظ أنهم قالوا:

" من أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب، ويتجر في اللغة فليقرأ كتاب " كاروند " ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات، والألفاظ الكريمة، والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك، فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها، وهذه يونان وسائلها وخطبها، وعللها وحكمها، وهذه كتبها في المنطق التي قد جعلتها الحكماء، بها تعرف السقم من الصحة والخطأ من الصواب، وهذه كتب الهند في حكمها وأسرارها وسيرها وعللها، فمن قرأ هذه الكتب، وعرف غور تلك العقول، وغرائب تلك الحكم عرف أين البيان، وأين البلاغة، وأين تكلمت تلك الصناعة، فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعاني: وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعصى والقضبان والقسى، كلا، ولكنكم كنتم رعاة بين الإبل والغنم ".[2]

يَكيدُ الشعوبيون للعرب كيدا عظيما فهم ينسبون كل العلوم عليهم وعلى الأمم الأخرى خلاف العرب فهم أصحاب بَدَوٍ ورعاة غنم والإبل، وأنهم لا يرتقون إلى صنف العلماء والبلغاء والفصحاء فهو يعبون على العرب حمل العصا والإشارة بالقني

الرد أو الطعن في القول :يقول الجاحظ:

" أن كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة، أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالاً، وتنثال عليه

[1]- ينظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب ، ص 137.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 14.

الألفاظ انتثالاً، ثم لا تعيده على نفسه، ولا يدرسه أحدا من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كل من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق في قلوبهم، والتحم بصدوركم واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب. [1]

والجاحظ- بهذا الحكم- وبتقديمه لهته الحجج يؤكد الفارق الجوهري الذي تتفاضل به الأمم وتظهر من الله على عباده. فالعرب مطبوعون، لا يتكلفون بيانهم، وليس هناك معاندة أو مكابدة، فقلوبهم متصلة بعقولهم من غير تكلف ولا قصد وبيانهم ليس وليد دراسة. [2]

ولا يكتفي الجاحظ بهذا الرد على الطاعنين في البيان العربي بل يقول ويؤكد على:

" ونحن- أبقاك الله- إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والإرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك لهم شاهد صادق من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت، الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم، ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك إلا في اليسير، والنبذ القليل... ومتى أخذت بيد الشعوبيين فأدخلته بلاد الأعراب الخلص،ومعدن الفصاحة التامة، وأوقفته على شاعر مغلق، أو خطيب مصقع علم أن الذي قلت هو الحق، وأبصر الشاهد عياناً، فهذا فرق ما بيننا وبينهم. "[3]

والجاحظ في عرضه لقضية البيان العربي، وطريقة تفنيده لأركان هذه القضية يبدوا متكلما من الطراز الأول، وفيلسوفاً في أرقى درجات الفلسفة وأديبا صاحب ذوق رفيع، وعالماً واسع العقل

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 38-39.

[2]- ينظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب، ص 139.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 29.

والإطلاع والثقافة، وهو إلى جانب ذلك يبدو منطقياً صاحب فكر عميق يدرك إدراكاً تاماً كيف يعالج قضيته، وكيف يعرضها، ومن أين يبدأ، وإلى أي شيء ينتهي، وكيف يسير في عرضه للقضية،فهو يلم بأطراف موضوعة إلى أن يصل إلى حكمه الذي لا يستطيع لأحد أن يعترض عليه فيه. [1]

ويواصل الجاحظ في تقديمه للحجج اللدغة والبراهين القاطعة من أجل الإطاحة بالخصم وكلها حجج منطقية عقلية واقعية يقول:

" البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأريت على كل لسان. "[2]

ونجد الجاحظ أحيانا أخرى تجاوز البراهين العقلية المنطقية إلى حجة قوية، وقوية جدا، كلام الله عز وجل. قال الله تعلى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾. [3]

وقوله عز وجل:﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.[4]

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.[5]

وقوله عز من قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.[6]

ولعل قصد الجاحظ من من ذكره واستشهاده بهذه الأدلة القرآنية وبيانهم أن يجد هؤلاء الشعوبيون وازعاً من دينهم الذي اعتنقوه وآمنوا به وصدقوا كتابه ما يردهم إلى صوابهم، ويكشف وجه الحق أمامهم في هذه القضية.[1]

---

[1]-نظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب، ص 140.

[2]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 55-56.

[3]- سورة الأحزاب، الآية 19.

[4]- سورة البقرة، الآية 204.

[5]- سورة المنافقون، الآية 4.

[6]- سورة البقرة، الآية 204.

وقد كان للجاحظ ما أراد، فقد استطاع أن يصل إلى هدفه في تأكيد البيان العربي، وأنه في قومه، مقصور عليهم، وأن يحكم على الأمم الأخرى في إنصاف وعدل، دون جور أو ظلم، وأن يوضح أن البلاغة والبيان والبديع منحة خص الله بها العرب دون غيرهم. [2]

المبحث الثالث:التنوع الاجتماعي وأثره في الدلالة اللغوية

1:النساك، والنوكى، العلماء

لا يختلف اثنان أن المجتمع يؤثر على عقل وفكر الإنسان، فالإنسان بطبيعته ابن بيئته والجاحظ ابن بيئته عريقة مثقفة تنوعت فيها الفئات والطبقات الاجتماعية، هذا ما جعله يصفها في كتابه ولربما الدافع الأكبر لذكره للفئات الاجتماعية هو دافع حجاجي كل فئة اجتماعية هي بمثابة حجة ودليل يقدمه الجاحظ لدحض وإطاحة الخصم.

ومجتمع الجاحظ هو مجتمع مختلط بأنواع وأنماط عديدة، وهو في تبيانه للأنماط الاجتماعية التي ينتمي إليها يوظف حجج، هذا النوع من الحجج يسمى " بالحجج شبه المنطقية " التي تعتمد العلاقات الرياضية من خلال قواعد رياضية تشكل خلفيتها العميقة ونسيجها الداخلي، بل تؤسس طاقتها الحجاجية وتعد معينها الإقناعي، والحجج شبه المنطقية هي بدورها تنقسم إلى عدة أنواع.

والحجج التي وظفها الجاحظ يطلق عليها اسم "Argument de division" " تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له. [3]

1: الزهاد والنساك:

---

[1]- ينظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب، ص 141.

[2]- ينظر فوزي السيد عبد ربه، المقاييس البلاغية عند العرب ، ص 141.

[3]-ينظر ليلى جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، رسالة دكتوراه في علوم اللسان، إشراف محمد خان، جامعة خيضر، بسكرة، 2013، ص 232.

بدأ الجاحظ في باب ذكر " النساك والزهاد من أهل البيان " بإحصاء مجموعة من الزهاد والنساك الذين عاصرهم أو ربطته علاقة بهم من ذلك نذكروا:

" عامر بن عبد قيس، وصيلة بن أشييم، وعثمان بن أدهم،و صفوان بن محرز و الأسود بن كلثوم ، و الربيع بن خُثم ، وعمْروا ابن عُتبة بن فرقد، وهَرِمُ بن حيان، ومورِّق العجلى، وبكر بن عبد الله المزَنِيّ

ومُطرِّق بن عبد الله بن الشخِّير الحَرَشِي "[1].

وذكر أيضا:

وبعد هؤلاء: " مالك بن دينار، وحبيب أبو محمد، ويَزيد الرقاشي، وصالح المرّى، وأبو حازم الأعرج، وزياد مولى عيّاش بن أبي ربيعة، وعبد الواحد بن زيد، وعيان أبو الأسود، ودَهْثَم أبو العلاء."[2]

ومن النساء الزاهدات الناسكات ذكر الجاحظ:

" رابعة القيسية، ومُعَاذَةُ العدوية امرأة صِلةَ بن أشِيم و أ مُّ الدرداء... "[3]

ثم واصل الجاحظ إحصاءه للنساك والزهاد ممن أدركهم منهم " أبو الوليد، وهو الحكم الكِنِديّ ومحمد بن محمد الحمراوي "[4]

ومن أقوال النساك:

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 363.
[2] -المصدر نفسه ، ج1،، ص 364.
[3] -المصدر نفسه ج1، ص 364.
[4]- المصدر نفسه،ج1 ص 365.

يقول الجاحظ في الجزء الثالث من مدونته وسماه في كتاب الزهد نبدأ على اسم الله وعونه بشيء من كلام النُّساك في الزُّهد، وبشيء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم.

" عوفٌ، عن الحسن قال: " لا تزول قَدَمَا ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث: شبابه فيما أبلاه، وعُمرِه فيما أفناه، ومالِه من أين كسبه، وفيما أنفقه. "[1]

من خلال القول أو الخطاب يتضح أن الخطاب خطاب ديني من خلال دلالة الألفاظ الدالة على ذلك.

فالإنسان يحاسب على جُلِّ أعماله سواء كانت صغيرة أو كبيرة والذنوب التي قام بها في شبابه فمرحلة الشباب هي أدق مرحلة من مراحل العمر التي يسأل عنها العبد لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه، حتى يسأل عن خمس، عنْ عُمْرِهِ فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه ؟ "

ولعل هذا القول هو حجة منطقية واقعية موجهة إلى كافة الناس تؤكد على يوم الحساب والعقاب وأن العبد يحاسب على كل كبيرة وصغيرة يستدعي فئة معينة من فئات المجتمع. والغرض الحجاجي للقول هو الإقناع تقديم الدليل القاطع ويواصل الجاحظ ذكره لأقوال الزهاد فيذكر:

أبو حازم الأعرج* يقول: " إن عوفينا من سرِّ ما أعطينا لم يَضِرْنا ما زوى عنا. "[2]

من صفات الزهاد هو القناعة وتقبل الواقع فالزاهد يقبل ويحمد الله على مع أعطاه ورزقه ولا يحزن ويأس على ما فاته من الدنيا فقلبه معلق بحب الله وشغله الشاغل هو إرضاء ربه بكل الطرق ويبتعد جُلَ الابتعاد عن المعاصي وما يغضب الله تعالى، فالزاهد لا تشغله الدنيا وحلالها عن طاعة الله.

[1]- الجاحظ: البيان والتبيين ، ج3، ص 125.

[2]- المصدر نفسه ، ج3، ص 126.

ومن خلال قول حازم الأعرج يتبين مدى زهد الرجل، وإيمانه برب العالمين، وصبره ورضاه عما رزقه الله.

وفي رواية أخرى، روى أبو نباتة المدني عن محمد بن مطرف قال:

" دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقال لنا: كيف نجدك ؟ قال أجدني بخير، راجيا لله حسن الظن به إنه، والله- ما يستوي بن غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لاحظ له فيها ولا نصيب "[1]

وقال ابن صبارة: " إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهو من الصبر على عذاب الله. "[2]

فالزاهد يبتعد عن ملذات الحياة ويعتبرها زائلة غير دائمة ويرضى بالقليل ويقتنع به، والإنسان الزاهد لا يرى ملذة الدنيا ولا مرها ولا سعادتها بل يرى الآخرة ويحلم شوقا بها، والزاهد يعش حياة بسيطة همه الوحيد هو إرضاء الله عز وجل بكل الطرق.

والصبر وتحمل صعوبة الحياة سمة بارزة من سمات الزاهد فدلالة الصبر في هذا القول تحمل عدة معاني، كالصبر على الشهوات والصبر على المحرمات...

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

" إن الزاهدين في الدنيا لتبكي قلوبهم وإن ضحكوا ويشَّتدُ حزنُهم وإن فرِحوا ويكثُرُ مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما أوتوا. "[3]

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين. ج3،ص124

[2] -المصدر نفسه ، ج3، ص 126.

[3]- علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تح حسين الحسيني، دار الحديث، ط1، 1418، ص 152.

المقصود من القول أن الزاهد لا يعيش عيشة هنية، مطمئن القلب والبال حتى وإن تبين ذلك ورُسِمت على وجهه الابتسامة فالقلب حزين سعادتهم الوحيدة إرضاء رب العالمين وهناك العديد من الزهاد من كان يحرم نفسه من الأكل الجيد والنوم الهنيء.

ويواصل الجاحظ ذكره للزهاد والاستشهاد بأقوالهم وأشعارهم فيذكر:

وركب سليمان عبد الملك يوما في زي عجيب، فنظرت إليه جارته له فقالت:

إنك لمعنيٌّ ببيتي الشاعر، قال وما هما ؟ فأنشدته:

أَنتَ نِعمَ المتاعُ لَوْ كُنْتَ تبْقَى غَيرَ أَنَ لا بقاءَ للإنسانِ

لَيسَ فِيمَا بَدَا لَناَ مِنكَ عَيبٌ عَابَهُ النَاسُ غيرَ أَنكَ فانِ

قال: ويلك نعيت إلى نفسي [1]

الزهد هو ترك زخرف الحياة ومباهجها، والتوجه بالعمل الصالح والرجاء والتوسل إلى الله تعالى للدخول في جنات تجري من تحتها الأنهار، لذا سارع الصالحون في نفض غبار النزيف الدنيوي. [2]

فالجارية اختارت الأبيات الدالة على فناء الدنيا، ومهما وصل الإنسان لحد الشهرة فلا مفر من الموت، ومن خلال الأبيات كذلك نلاحظ أن الجارية متأثرة بالزهد أو زاهدة في الدنيا فالألفاظ " تبقى ، لإبقاء، فإن "كلها ألفاظ موجودة في قاموس الزاهد إن صح العبير.

وقال ابن شبرمة * في زوال الدنيا:

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 144.

[2]-محمد علي زكي صباغ، الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998، ص 308.

* سليمان بن عبد الملك " 674- 717 " هو ابن مروان، أبو أيوب، الخليفة الأموي وكان من أطيب وأجود الناس، ينظر محمد علي زكي الصباء، الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 308.

* ابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة " 690- 759 " ابن حسان الضبي، أبو شبرمة الكوفي القاضي، ولاه أبو جعفر المنصور على قضاء الكوفة: محمد زكي الصباغ، الشعرية في كتاب البيان والتبين، ص 306.

وَإِنْ كَانَتْ الدنيا تُحَبُّ فَإِنَهَا سَحَابَةُ صَيفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَشَّعُ[1]

أي أن الدنيا في عين الزاهد عبارة عن سحابة في سماء صيف حار سرعان ما تزول. ولا يخلوا كتاب الزهد من ذكر الزاهدات من بينهم رابعة القيسية * لو كلمت رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مهنة بيتك ؟ قالت: " والله إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لا يملكها ؟ ! "[2]

رابعة العدوية هي تلك الإنسانة المتصوفة العابدة الناسكة التي تخاف الله كثيرا وتستحي من السؤال،فكيف يكون لها خادمة ؟ تُسأل عنها يوم القيامة وتحاسب عنها إن ظلمتها.

أحسنت رابعة القيسية العدوية الجواب واختارت الكلمات الدالة على تواضعها و ميلها الديني و تصوفها و زهدها في هذه الحياة، فالإنسان الزاهد لا ينظر إلى الدنيا بعين الإنسان العادي، فهي في نظره ساعة لَهْوٍ، ساعة من الزمن يحاسب عليها الإنسان أشد حساب، تقول رابعة: " يا نفس كم تنامين، وإلى كم تنامين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور."[3]

ورابعة العدوية من النساء الصالحات الزكيات الطاهرات العفيفات التي تصلح في حقهن الآية:

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 146.

** رابعة القيسية: هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية البصرية، وهي تعد أشهر الزاهدات المتعبدات، الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 364.

[2]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص 127.

[3]-المصدر نفسه، ج1، ص 364.

[4]- سورة الأحزاب، الآية 35.

فقرن الله سبحانه وتعالى ذكر النساء الصالحات بالرجال الصالحين، وللنساء أحوال وزهد وخير وصلاح كما في الرجال وفي النساء من لهن الأوراد والسياحات والكشف وغير ذلك من الخصوصيات التي خصهن الله تعالى بها، كمن مضين منهن في الصدر الأول ، " كرابعة العدوية، وشعوانة، وريحانة أم الخيرة ".[1]

كما حكي عن رابعة العدوية- رحمها الله- أنها كانت إذا صلت العشاء، قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي أنارت النجوم، ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها. [2]

ومن أشعاره: [3]

أُحِبُكَ حُبيْنِ: حُبَ الهوَى وَحُبًا لِأَنَكَ أَهْلٌ لِذاَكاَ

فَأَمَا الذِي هُوَ حُبُ الهَوىَ فذِكرٌ شُغِلت به عَن سواِكَ

وَأماَ الذِي أنتَ أهلٌ بهِ فَكشفُكَ الحجبُ حتَى أراكَا

فمَا الحَمدُ في ذاَ ولاَ ذالكَ لي ولَكنْ لَكَ الحَمدُ فِي ذَا وَذَاكَ

من يقرأ شعر رابعة العدوية للوهلة الأولى يذهب تفكيره أنها تخاطب محبوبها، لكن الدارسُ والعالم لحياة رابعة العدوية يعلم أنها تخاطب محبوبها وتطلب منه المغفرة وقبول الصلاة والدعاء وما إلى ذلك فهو " الله عز وجل ".

[1]- ينظر عبد المنعم الحفني، العابدة الخاشعة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرساد، القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص 15.

[2]-المرجع نفسه، ص 15.

[3] -المرجع نفسه، ص 16.

وغرض الجاحظ من ذكر رابعة العدوية وغيرها من الزهاد هو تقديم الحجة للطاعنين في الإسلام ولا ربما هو رسالة موجهة إلى الشعوبيين كما هو معروف عليهم كرههم للإسلام.

الاستشهاد بالإنسان البسيط الزاهد الذي يعيش عيشة بسيطة ويرضى بما أعطاه الله همه الوحيد إرضاء الله عزّ وجل والفوز بالحياة الآخرة.

أنشدت رابعة العدوية: [1]

رَاحَتيْ ياَ إخوتي في خَلوَتيْ وَحبيِبي دَائِماً فِي حَضرَتيْ

لمْ أجِدِ عَن هَواهُ عوضاً وَهواهُ في البَراياَ مِحنتيء

حَيْثُماَ كُنتَ أُشاهِد حُسنَه فَهوَ مِحرابي إليْهِ قِبلَتيْ

أَنْ أَمُت وجدًا ومَا ثم رضَا وَاعَنائِي في الوَرَى واَشَقوَتِي

ياَ طَبِب القَلبِ ياَ كلَ المنَى جُد بوصلٍ منكَ يُشفي مُهجَتي

ياَ سُروري وَحياتي دائَماً نَشأتِي منكَ وأيضًا نشوَتِي

قَد هَجرتُ الخلقَ جمعاً أرتجِى منكَ وِصلاً فَهو أقصَى مُنيتي

2: النوكى والحمقى والمجانين:

لم يخل كتاب الجاحظ من ذكر جل الطبقات الاجتماعية حتى النوكى والحمقى ذكرهم أبو عثمان، لربما شفقة عليهم أو ما إلى ذلك...

[1]- عبد المنعم الفني، العابدة الخاشعة رابعة العدوية، ص 17.

هناك من يرجع اهتمامه بالنوكى و الحمقى في كتابيه "الحيوان ، و البيان والتبيين"إلى جانب أدبي و يربطه بالفصحة الأدبية ،لكي لا يمل القارئ .

"وهناك من يقول أن العامل الوراثي جعل من الجاحظ رجل فكاهة ومرح كان جد الجاحظ أسود البشرة يقال له فزارة وكان يتصف بالفكاهة تارتا بالمرح تارتا أخرى". [1]

وللبيئة الفكرية دوراً كبيراً على نفسية الجاحظ وعلى فن السخرية عنده، فقد نشأ في الكُتاب حتى كبر، ثم تعلم على يد شيوخ البصرة وأئمتها من الأدباء والمرحين، فقد كانوا لا يُضَيعون فرصة السخرية منهم أبو عبيدة المثني وإبراهيم بن سيار النظام الذي كان مشهوراً بالدعابة والسخرية، كل هذا أثر على الجاحظ وهناك من يعتبره موسوعة عصره. [2]

1:النوكى

هو نوع من الحُمق ، و العجز

يذكر الجاحظ بعض النوكى في كتابه يقول:

ومن النوكى: أبو الربيع العامري، واسمه عبد الله وكان ولي بعض منابر اليمامة، وفيه يقول الشاعر:

شَهدتُ بأنَ اللهَ حَقٌ لقَاؤهُ وأنَ الربيعَ العامِريَّ رَقيْعُ

أَقادَ لناَ كلباً بِكلبِ ولمْ يدعْ دِماء كلابِ المسلمينَ تَضيعُ[3]

[1] –ينظر السيد عيد الحليم محمد حسن، السخرية في أدب الجاحظ، والجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط1، 1988، ص 32.

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 33.

[3]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 259.

كان ربيع العامري والياً على اليمامة وهي إقليم يقع في المملكة العربية السعودية، قد سمع خبراً بأن قوما من الأقوام غير المسلمين قتلوا كلب " أعزكم الله " وهذا الكلب يعود إلى أحد المسلمين فأعد جيشاً لذلك.

وقال آخر:

قالوا: ومن النوكى: ربيعة بن عِسْلٍ، أحد بن عمرو بن يربوع، وأخوه صَبيع بن عِسْلٍ. وفد ربيعة على معاوية فقال له معاوية: ما حاجتك ؟ قال: زوجني ابنتك- قالوا اسقوا ابن عِسْلٍ عَسَلاً، فأعاد عليه فأعاد عليه العَسَلَ ثلاثاً، فتركه وقد كان ينقدُّ بطنه قال فاستعملني على شرطة البصرة- قال: زيادٌ أعلم بشُرطته- قال فاكسُني قطيفةً أو قال: هب لي مئة جذع لداري، قال: وأين دارك ؟ قال: بالبصرة قال: كم ذَرعُها ؟ قال فرسخان في فرسخين قال: فدارك في البصرة أو البصرة في دارك ؟ ![1]

وقال أبو الأحوص الرياحي: [2]

ليسَ بيربوعِ إلى العقلِ حاجةٌ سوىَ دَنَسٍ تَسودُّ مِنهُ ثيابُها

فكيفَ بنوكىَ مالك إن كفرتُم لهُم هَذهِ أمْ كَيفَ بعدُ خِطابُها ؟

مَشائيمُ ليسُوا مُصلحينَ عشيرةً ولاَ ناعبٍ إلاَ يبينُ عُرابها

وقال آخر:

تحامقَ معَ الحَمقَى إذَا ماَ لقَيتهُم ولَاقهُم بالنوك فعل أخي الجهي

وَخلط إذَا لقيتَ يوماً مخلطًا يخلّط فِي قولً صَحيح وفي مهزلٍ

فَإني رَأيتُ المرءَ يَشقَى بِعقْلهِ كمَا كانَ قبَل اليومِ يسعد بالعقلِ[1]

[1]-الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 260.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص261.

لقد ذُللت المعاني والألفاظ ل " أبي عثمان " يدور بها كيف يشاء، ومن صفات الأديب الساخر العقلية الجدلية الجبارة، مع قدرته على توظيف الحجج والبراهين التي تقطع بإدانته، حتى يسد على الفضاء الحكم بنجاته، إن العقلية الجدلية الممتازة، عند الجاحظ مكنته من أن يجعل اللغة طوع إرادته يتحكم فيها حسب مشيئته، ويدور في الكلام حيث أراد: إن أدب الجاحظ " قطعة من نفسه تتجلى فيه- لأول نظرة- ولو أن ألقيت قطعة من ملحه بين عشرة قطع أدبية لغيره، لما صعب عليك تميز كلامه من غيره. "[2]

والسخرية هي بحد ذاتها حجة تكون مباشرة وبعض الأحيان غير مباشرة، وتكون هته الحجج مترابطة تكمل بعضها البعض، ومن بين الحجج التي يعتمدها الساخر كسلاح قوي: التهكم الذي يعتبر وسيلة فعالة لاستمالة المتلقي ليقبل على ما يقوله، إن أسلوب التهكم يشوق المتلقي من جهة ويجعله يقبل على البحث عن المعنى الحقيقي الذي لا تصرح به السخرية. [3]

مثال ذلك

قيل لأعرابي صالح ومغفل: " وكان أعرابي يصلي فأن قومه يمدحونه ويصفونه بالصلاح فقطع صلاته وقال: مع هذا إني صائم !تذاكر قوم قيام الليل وعندهم أعرابي فقالوا له: أتقوم الليل قال: أي والله قال: فما تصنع قال: أبول وأرجع أنام. "[4]

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص244- 245.

[2] -ينظر: السيد عبد الحليم محمد حسن، فن السخرية عند الجاحظ، ص 55.

[3] -ينظر محمد طراد، البعد البلاغي والحجاجي للسخرية من منظور التداولية أخبار الحمقى والمغفلين أ نموذجا، مجلة اللغة الوظيفية، شلفdz -chlef- univ- www // : http .

[4] -أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تح: جمال جمعة دار غومة للنشر، ليبيا، 2000، ص 130.

ففي المثال حجة واقعية " الأعرابي يصلي "، ومُدِحَ الأعرابي على فعل الصلاة، لكن سرعان ما أنقض صلاته وقطعها بالجواب أنه يصلي وكذلك صائم فهو أحمق ومغفل لتركه الصلاة والجواب " مع هذا إني صائم ".

وفي رواية أخرى قيل:

وقيل لوازعٍ اليشكُري:

"قم فاصعد المنبر وتكلم. فلما رأى جمع الناس قال: لولا أن امرأتي حملتني على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت، وأنا أشهدكم أنها مني طالق ثلاث "[1]

الرواية تدور بين طرفين بين وازع وزوجته يحكى أن إمامَ وخطيب مسجد البصرة مرض مرضاً شديد ألزمه الفراش، فطلبت امرأة وازع من زوجها أن يصلي ويخطب بالمسلمين الجمعة المقبلة وزاد إلحاحها وتكرار طلبها حتى استسلم وتقبل الأمر، لكن سرعان ما صعد وازع اليشكري المنبر ورأى مئات من الناس تحدق فيه في صمت رهيب تلبك الرجل ورُبط لسانه ثم قال: طالق، طالق، طالق طالق أي لزوجته.

ومنه:

قيل لرجل من الوجوه، قم فاصعد المنبر وتكلم، فلما صعِد حَصِر وقال: الحمد لله الذي يرزُق هؤلاء ! وبقى ساكتا، فأنزلوه[2]

من خلال الأمثلة السابقة وغيرها من الأمثلة الموجودة في كتاب البيان والتبيين أراد صاحب الكتاب " أبا عثمان " من خلالها تقريب الصورة إلى القارئ عن العصر الذي عاش فيه الجاحظ، فقد

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 251.

[2] -المصدر نفسه، ج2، ص 251.

تعددت الطبقات الاجتماعية، وطبقة النوكى والحمقى طبقة اجتماعية جديدة برزت في العصر العباسي، مخالفة تماماً ما عهد عليه العربي الأصيل من خشونة وصرامة وجديدة وقوة.

2- المجانين:

والمجنون إنما هو إنقاص في العقل لا إنقاص في اللغة، والمجنون هو الذي سُلب عقله، فلا يعقل بعض الأشياء دون بعض ويكون قليل الفهم مختلط الكلام فاسد التدبير إلا أنه لا يشتم ولا يضرب، فإنه يسمى معتوها. [1]

وكان للمجانين حظ في كتاب البيان والتبيين، والتمثيل لهم وتقريب الصورة إلى القارئ والحالة المزرية التي يعيشها المجنون لربما كانت إلتفاته إنسانية للجاحظ أو حجة للعاقل والتفكير بنعمة العقل.

ذكر الله سبحانه وتعالى المجنون في القرآن الكريم وخصه بآيات من الذكر الحكيم:

يقول الله تعالى:

﴿" وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾"[2]

ويقول عز وجل: ﴿" وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ"﴾ [3]

فالمجنون مثله مثل الحيوان بدون عقل لا يعي بتصرفاته، فهو إنسان بدون عقل والإنسان المجنون يرفع عنه القلم ولا يحاسبه القانون

" وعرض الجاحظ لبعض أنواع المجانين في البيان لافتٌ للنظر، وعبرةٌ لمن اعتبر، لأنه قلّ أن ترى أو تقرأ أو تسمع شاعراً مجنوناً وهذه غايات من الجاحظ المقصودة في " البيان ". "[4]

[1] -ينظر محمد علي زكي الصباغ، الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 318.

[2]- سورة القلم، الآية 51.

[3] -سورة التكوير، الآية 22.

[4]- محمد علي زكي الصباغ، الشعرية في كتاب البيان والتبيين، ص 318.

مثال عن المجانين الذين ذكرهم الجاحظ:

يقول الجاحظ: ومن المجانين الموسوسين جعيفران * الشاعر، فشهدت رجلا أعطاه، درهماً وقال له شعراً على الجيم فأنشأ يقول.

عَادَنِي الهَمُّ فَاعتلجَ كُل همّ إلَى فَرجِ

سَلِ عَنكَ الهُمومَ بِالكا سِ وبَالرَاحِ تنفَرجُ

رغم مرض وجنون جعيفران إلا أنه يقول أحسن بل وأجود الشعر، والقصة هناك رجلاً أعطى جعيفران دِرهماً وقال له قل شعراً على الجيم أي القافية تكون على حرف الجيم فأنشأ هته الأبيات وأحسن القول.

فسبحان الله كيف لمجنون ليس له عقل يقول هذه الأبيات وعلى قافية واحدة كما طلب منه.

فهذه حجة على الإنسان العاقل الذي أنعم الله عليه بنعمة وهو الذي يقول:

ألاَ حَيِّ أطْلاَل الرُسومِ البواليَا لبِسَّ البِلى مماَ لبسنَ الليالياَ

وهذه القصيدة يقول:

إذاَ ماَ تَقَاضَى المرءُ يومٌ وليلةٌ تَقاَضاَه شيٌ لا يملُّ التقاَضِياَ [1]

* جعيفران: هو جعيفران بن علي بن أصفر الأبناوي من ساكني ومسكنه ومولده ومنشؤه ببغداد، أديب شاعر مطبوع، غلبت عليه المرة السوداء فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ثم كان إذا أفاق تاب وقال أجود وأعذب الشعر " ينظر الأصفهاني، الأغاني، بج 20، ص 147.

[1] –أبو حية النميري هو الهيثم بن الربيع... بن الكثير كان من أشعر الشعراء مخضرم الدولتين عاش في الدولة الأموية والعباسية، كان جبانا كذابا خوانا بخيلاً. " الأصفهاني الأغاني، مح 12، ص 236–239.

شواهد الجاحظ في المجانين حجة في حد ذاتها موجهة إلى متلقى معين أو هي رسالة مشفرة أراد أب عثمان إيصالها إلى مرسل إليه ليبرهن أنه رغم الجنون غير أنه فصيح وبليغ وشاعر في حد ذاته.

3- البلغاء والمعلمين: ومن البلاغيين ذكر الجاحظ:

1: البلغاء

" وجملة القول في إياسٍ أنه كان من مفاخر مضر، ومن مُقَدَّم القضاة، وكان فقيه البَدب، دقيق المسلك في الفَطَن، وكان صادقَ الحدْسِ نقاباً، وكان عجيب الفراسة مُلْهَما، وكان عفيف الطَّعم كريم المِدَاخل والشِّيم وجيهاً عند الخلفاء، مقدَّما عند الأكفاء، وفي مُزينة خيرٌ كثير. "[1]

يمدح الجاحظ " إياس " ويعتبره من بلغاء مصر، فهو الرجل الفقيه الذكي، فاطن الحدس صادق الظن والتفكير، رجل صالح لا يأكل إلا الحلال له شأن بين الخلفاء وفي مجال الأكفاء.

ومن البلغاء الذين عاصرهم الجاحظ ويشهد لهم.

قال تمامة بن أشرس: " كان جعفر بن يحي أنطق الناس، قد جَمَع الهُدوء والتمَّهل، والجزالة والحلاوة، وإفهاماً يُغنيه عن الإعادة ولو كان في الأرض ناطقٌ يستغني بمنطقة عن الإشارة، لا يستغنى جعفر عن الإشارة، كما استغنى عن الإعادة. "[2]

جعفر بن يحي الرجل البليغ الفصيح، الذي أستشهد بأقواله وحكمته العديد من الأدباء من بينهم الجاحظ، وهو رجل دين بذكر أنه كان من أصحاب الاعتزال.

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 101.

[2] -المصدر نفسه، ج1، ص 105-106.

2- المعلمين:

بدأ الجاحظ كلامه حول المعلمين بنظرة سخرية ونوع من الاحتقار فيقول:

ومن أمثلة العامة: أحمقُ من معلم كُتَّاب: [1]

وقد ذكرهم صقلابٌ فقال:

وَكيفَ يرجّىَ الرأيُ والعَقلُ عِندَ مَن يرُوحُ علَى أُنثَى وَيغدُو علَى طِفلٍ [2]

وفي قول بعض الحكماء:

" لا تستشيروا معلما ولا راعي غنمٍ ولا كثير العقود مع النساء "[3]

وهناك من يصف المعلمين بالحمقى، لكن وجهة رأي الجاحظ على المعلم خاطئة، فكيف يصف المعلم بالأحمق، ولربما وجهة رأي الجاحظ راجعة إلى حالة نفسية كان يعيشها الجاحظ مع شيوخه وحقده على المعلم ليس له تبرير ووصفه بأبشع الأوصاف.

يقول عليه الصلاة والسلام عن العلم واحترام العلم.

" مَا مِنْ خَارِجٍ من بيتهِ في طلب العلمِ إلاَّ وَضِعَتْ له الملائكةُ أجنحتها رضاً بما يَصْنَعُ حتى يَرجَعِ " صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام

خلاصة الفصل:

نأتي إلى نهاية الفصل الرابع والأخير من البحث والذي سمي ب مواطن الحجاج في البيان والتبيين، نذكر أهم النقاط التي استنتجنها وهي كالتالي:

[1]-المصدر نفسه ،ج1، ص 248.
[2]-المصدر نفسه ، ج1، ص 248.
[3]-المصدر نفسه، ج1، ص 248.

– كتاب البيان والتبيين هو في حد ذاته حجة موجهة إلى متلقى، وهذه الحجة تنقسم إلى حجج أخرى نذكر منها:

مقام الجدل والحجاج فهو حجة اعتمد عليها الجاحظ: فلا نجد صفحة من صفحات المدونة إلا وبها دليل أو حجة قاطعة، فنجده يجادل تارة ويحاجج تارة أخرى ويقدم البراهين القاطعة اللاذعة مرة أخرى ليبهر المرسل إليه ويجبره على الاستسلام مع مراعاة مقتضى الحال.

كما نجد الجاحظ يلح ويؤكد على ثنائية " الفهم والإقناع " ويضفها أساساً من أسس الرجل الفصيح البليغ، فالرجل البليغ المجادل المقنع هو الذي يؤثر في خصمه بتقديم حجة مفهوم مقنعة.

أما النوع الثاني من الحجج التي استعملها الجاحظ وهي " المناظرة " وابن خلدون كما ذكرنا من قبل يربطها بالجدل مؤكد في ذلك على علاقتهما العضوية. والجاحظ ذلك الرجل الشهم يخوض المعارك بقلمه فهو معروف عليه قوته في المناظرة والجدل. وأكبر قضية أو مناظرة أخذت منه جهده ووقته هي مناظرته مع الشعوبية ودفاعه عن العرب والإسلام.

ثم انتقل الجاحظ " إلى التحليل الاجتماعي فهو خير سفير صور لنا صورة عن مجتمعه وقدمها على أحسن صورة فتعدد الطبقات الاجتماعية في عصره أثرت على عقلية وتفكير الجاحظ.

من خلال " الزهاد " وأخذ العبرة من الإنسان الزاهد في الدنيا ثم طور الفكرة وقدمها كدليل وحجة.

أما الطبقة الثانية فربما أثرت فيه من الناحية الإنسانية وتلتمس منه تلك الحنية والشفقة وهو يذكر " المجانين " ويأخذ الموعظة منهم ويقدمها كحجة ثانية للإنسان العاقل.

رغم التزام الجاحظ وكما هو معروف عليه رجل أديب وبليغ وشيخ المعتزلة، غير أن روحه المرحة طغت على العديد من كتاباته فلا يخلو كتاب البيان والتبيين من ذلك.

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال الدراسة التي قمت بها عالجت قضية من قضايا الدرس اللساني وهي "التداولة" تهتم هذه الأخيرة بعملية التواصل، وكذا الحجاج كوسيلة للإقناع، كما نجدها تهتم بالعوامل المحيطة بعملية التواصل والتي تؤثر في المتلقي، والتداولية كعلم قائم بحد ذاته نجدها في جميع الخطابات باختلاف أنواعها سواء كانت خطابا " سياسي، اجتماعي، ثقافي، علمي... إلخ.

وباعتبار الجاحظ أستاذ البيان العربي، ورجل البلاغة والفصاحة كانت خطاباته ونصوصه متماسكة هادفة الغرض منها التغيير كان الطرح التداولي واضحاً وجلياً في ممارسات الجاحظ اللغوية من خلال كتاب " البيان والتبيين "، وقد حاولت من خلال هذه الدراسة الوقوف على مواطن الطرح التداولي في المدونة مستخلصتا مجموعة من النتائج وهي كالتالي

– التداولية مفهوم عربي قديم ظهر منذ القدم، لكن بمسميات مختلفة من بينها " لكل مقام مقال " " مقتضى الحال "، " الفهم والإفهام ".

– الحجاج مصطلح فلسفي ظهر منذ القدم عند اليونان وكذا العرب أما في الثقافة العربية سمى بالجدل وتارة بالبرهان وأحيانا أخرى ربط الحجاج بالمناظرة.

– باعتبار الجاحظ رجل محاججة ومناظرة فقد اختار نصوصه بعناية وهذا ما يبرر اختلافها من نص إلى خطبة إلى حديث، أما القرآن الكريم فكان أعظم حجة ودليل قاطع استشهد به.

– طبق الجاحظ مقولة " مراعاة مقتضى الحال " وذلك لتحليل العملية التواصلية باعتبار المرسل والمرسل إليه والرسالة والظروف الخارجية والداخلية من أجل نجاح عملية التواصل.

الجاحظ من أنصار " السياق " وهذا واضح وجلي: فهو يدعو إلى استعمال السياق وتطبيقه في فهم النصوص والخطابات وكذا قصد المتكلم، فالرسالة بحد ذاتها يتحكم فيها السياق المقام التداولي فإليه مآل التأويل فالتداولية تهتم بكل ما هو غير لغوي من " سلوكيات، ومكان، والحالة النفسية... "

– تعد مدونة الجاحظ رسالة أو حجة في حد ذاتها " خطاب حجاجي موجه إلى متلقي تعددت فيه العلوم فنجده يتطرق إلى علم البلاغة ثم ينتقل إلى الفقه والدين والفرق والصراع الديني العقائدي القائم بينهم، يُعدُ رسالة وحجة قوية في تلك الحقبة.

– أكبر قضية أخذت الحجم الكبير وشغلت فكر الجاحظ هي " الشعوبية " والرد عليهم ودحض حججهم التي كانت تطعن في العرب وثقافتهم وعلمهم وبلاغتهم، قدم الجاحظ في الرد على الشعوبية حجاجا قويتا وأدلة قاطعة تؤكد عروبة العرب وفصاحتهم وبلاغتهم.

– جميع مبادئ التداولية من " أفعال الكلام " والحجاج والاستلزام الحواري والسياق والقصيدة " موجودة في المدونة لكن بمسميات أخرى لكن تدخل ضمن ثنائية " الفهم والإفهام " " لكل مقام مقال ".

– النمط الغالب على المدونة هو الحجاج الجدلي باعتبار الجاحظ معتزلي متكلم دافع عن العروبة وعن البلاغة ضد الشعوبية وهذا ما تضمنته نصوصه.

– نجد الخطابة هي الأخرى أخذت حيزا كبيرا من المدونة هذا ما أدى إلى التنوع في الخطب والرسائل والوصايا في المدونة.

– هناك نقاط تقاطع بين النص التراثي القديم والدرس التداولي الجديد، من بينها تقسيم الفعل الكلامي عند أوستين، كذلك تقسيمهم للخبر والإنشاء واستعمالهم مبدأ المطابقة " أي لكل فعل كلامي غرض إنجازي يحقق هدف معين.

– لا يخلو كتاب البيان والتبيين من السخرية وكان لها قصداً تداولياً الغرض من هو الإقناع لأنها تحمل قولاً غير مباشر يؤثر في السامع.

– الفعل الكلامي عند الجاحظ يتميز بقوة الإنجاز والتأثير فهو فعل كلامي مباشر القصد منه التغيير.

– أما حجاجية الكلمة فكان لها تأثير كبير في عملية التواصل والإقناع فالكلمة لوحدها لها دلالة معينة.

الفهارس الفنية

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس موضوعات البحث

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	111	79
	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	170	75
	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾	240	75
	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾	219	171-76
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	285	278
أل عمران	﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	66	162
النساء	﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ	107	78

	مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾		
الأنعام	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	20	74
الانعام	﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾	83	74
الأعراف	﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾	41	55
يونس	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	5	148
هود	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (25) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (26) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (27) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا	33-25	172

	تَجْهَلُونَ (29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (30) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (31) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (33) ﴾		
هود	﴿يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	34	125
الكهف	﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ا	38	153
مريم	﴿ۖ سْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	38	153
طه	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾	18-17	
الحج	﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾	31	112
الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ا	32	08

الفرقان	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	37	150
القصص	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	27	66
الأحزاب	﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾	19	181
الأحزاب	﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	35	186
ص	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	20	17
الشورى	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	28	153
الرحمان	﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ	5-1	148

	(4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) ﴾		
المجادلة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾	11	144
القلم	﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾	51	195
الشورى	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	28	153
يونس	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	5	146
العلق	﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾	3-1	125

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر والمراجع

1. إبراهيم الصّبحي الفقهي، علم لغة النّص بين النّظرية والتّطبيق، دار قباء، القاهرة، ط01، ج:.01.

2. أحمد فهد صالح شاهين، النّظرية التّداولية وأثرها في الدّراسات النّحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط01، 2015

3. آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النّبوي، دراسة تداولية، الدّار المتوسّطة للنشر، د.ط، د.ت

4. باتريك شاردو، ودوميك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سينترا، تونس، د.ط، 2008م

5. أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى، مقال منشور ضمن كتاب التّحاجج طبيعيته ومجالاته ووظائفه وضوابطه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، ط:01، 2005م

6. بوزناشة نور الدّين، الحجاج في الدّرس اللّغوي العربي، مجلة علوم إنسانية، ع: 44

7. الجاحظ ،البيان والتبيين، ج1، ص 38.

8. الجاحظ، البيان والتبيين، تح محمد هارون ، ط7، 1998، ج1

9. جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النّص، شبكة الألوكة، ط01، 2015م

10. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ط:01، 2014م،جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها

11. ابن جنّي، الخصائص، تح: محمّد علي النّجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج:01.

12. جواد ختام، التّداولية أصولها واتّجاهاتها، دار كنوز المعرفة، ط01، 2016

13. حسام البهنساوي، القواعد التّحويلية في ديوان حاتم الطّائي، مكتبة الثّقافة الدّينية، مصر، د.ط، د.ت

14. حسّان بن ثابت، ديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994م، ص: 14.

15. حسن مسكين، مناهج الدّراسات الأدبية الحديثة من التّاريخ إلى الحجاج، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط01، 2016م

16. حسين أخدوش، نظرية أفعال اللّغة لدى الفيلسوف أوستين أسسها وحدودها الفلسفية مؤمن بلا حدود، 2016م

حمادي صمود ، من تجليات الخطاب البلاغي ، دار قرطاج للنشر و التوزيع ،تونس 1999، ط 1

17. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس، د.ط، د.ت

18. حمدي منصور جودي، بنية الخطاب الحجاجي في كليلة ودمنة لابن المقفع، أطروحة ذكتوراه، إشراف محمّد خان، جامعة بسكرة، 2016م

19. حية النميري هو الهيثم بن الربيع... بن الكثير كان من أشعر الشعراء مخضرم الدولتين عاش في الدولة الأموية والعباسية، كان جبانا كذابا خوانا بخيلاً. " الأصفهاني الأغاني، مح 2

20. خديجة محفوظ محمّد الشّنقيطي، المنحى التّداولي في التّراث اللّغوي، الأمر والاستفهام نموذجين، عالم الكتب الحديث، ط01، 2016م، ص: 14.

21. خلف الله عودة القيسي ، الوجيز في مستويات اللغة –+

22. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، دمشق سورية، ط1، 2004.

23. خليفة بوجادي، التّفكير عند العرب، ومجالاته، مجلّة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، العدد، 1

24. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 154.

25. ذهبية حمو الحاج، لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب، الأمل للطباعة والنّشر، تيزي وزو، ط02، 2012م

26. الرّاضي الاسترابادي، شرح الكافية، مطبعة حالي للطباعة إبراهيم أفندي، مصر، د.ط، 1872م،

27. زكرياء السرتي، التحليل الحجاجي للخطاب القرآني نماذج وملاحظات، ضمن كتاب التحليل الحجاجي للخطاب، أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2015،

28. الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السّود، ج:01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1998م

29. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1991م

30. سامية الدّريدي، الحجاج في الشّعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2011م

31. سعد الزغلول، وقفة مع كتاب البيان والتبيين، مجلة جذور التوات، جدة، السعودية، ع 31، 2011،

32. سعيد بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتّجاهات، مؤسّسة المختار، القاهرة، ط02، 2010م،

33. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الرّوائي "الزّمن، السّرد، التّبئير"، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط03، 1997م

34. سيد عيد الحليم محمد حسن، السخرية في أدب الجاحظ، والجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط1، 1988

35. صابر الحباشة، التّداولية والحجاج مداخل ونصوص، سورية، دمشق، ط01، 2008م

36. صّبحي هدوي، الإنشاء بالقول مقاربة نحوية تداولية للأوامر والنّواهي أعمالا لغوية، دار كنوز المعرفة، ك:01، 2016م

37. صفية مكناسي، محاولات في تحليل الخطاب الحجاجي " نحو تحليل تداولي للخطاب الأدبي " دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، د ط، 2016

38. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1990م، ص: 211.

39. طالب سيد هاشم الطّباطبي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللّغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الكويت، د.ط، 1994م

40. طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ص 20، ص 65.

41. عبد الرّحيم الحلوي، تداولية الأفعال الكلامية من العلامة إلى الفعل، منشورات القصبة، المغرب، د.ط، 2017.

42. عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2006م، د.ط،

43. عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016

44. عبد اللّطيف عادل، المشروع الحجاجي للدكتور أبي بكر العزاوي، مقال منشور ضمن كتاب الحجاج اللّغوي، قراءات في أعمال الدكتور أبي بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2017،

45. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013

46. عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، ط1، 2013،

47. عبد الله صولة، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتّوزيع، تونس، ط:01، 2011م.

48. عبد المنعم الحفني، العابدة الخاشعة رابعة العدوية إمامة العاشقين والمحزونين، دار الرساد، القاهرة، مصر، ط1، 1991

49. عبد المنعم الحفني، العابدة الخاشعة رابعة العدوية، .

50. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط:01، 2004.

51. عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، عمان، ط02، 2015م .

52. عبد الهادي الفضل ،مختصر الصرف ، دار القلم ،بيروت

53. علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث، ط1، 1991

54. علي بن محمد الليثي، عيون الحكم والمواعظ، تح حسين الحسيني، دار الحديث، ط1، 1418،

55. علي محمود حجي الصّراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية، ومعجم سياقي

56. عمر بوقمرة، مصطلح الحجاج بين المنطق الأرسطي عند بيرلمان والمنطق الطّبيعي للغة عند ديكرو، دراسة مقارنة

57. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها.

58. ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مادّة "ج.م.ل"، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979م، ج:01.

59. فرانسواز أرمنيكو، المقاربة التّداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، د.ط، 1986م،

60. فرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، تح: جمال جمعة دار غومة للنشر، ليبيا، 2000،

61. فضاء ذياب غليم الحسناوي، الأبعاد التّداولية عند الأُصوليين، مدرسة النّجف الحديثة أنموذجا، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط:01، 2016م

62. فضيل ناصر، الحجاج من اللّغة إلى الخطاب، قراءة في أعمال أبو بكر العزّاوي

63. فضيلة قوتال، حجاجية الشّروح البلاغية وأبعادها التّداولية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط:01، 2017م.

64. فوزي السيد عبه ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ البيان والتبيين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2005، دط،

65. فيليب بروتون وجيل جوثييه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمّد صالح، ناجي الغامدي، مرطز النّشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط01، 2011م.

66. فيليب بروطون، الحجاج في التّواصل، تر: محمّد ميشال وآخرون، الهيئة العلمية المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط، 2013م، ص: 18.

67. القرطبي، المجامع لأحكام القرآن والمبين لها تضمنه من السنة وآي القرآن ، عبد الله بن عبد المحسن التركي،

68. ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر:أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط03، 1998

69. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات العامة، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط02، 2006م،

70. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها

71. محمّد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار لتكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدّراسات، بيروت، لبنان، 2014م، ص: 24.

72. محمّد حماسة عبد اللّطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب القاهرة، د.ط، 2003م،

73. محمد طراد، البعد البلاغي والحجاجي للسخرية من منظور التداولية أخبار الحمقى والمغفلين أ نموذجا، مجلة اللغة الوظيفية، شبف

74. محمّد طروس، النّظرية الحجاجية من خلال الدّراسات البلاغية والمنطقية واللّسانية، دار الثّقافة للنشر، الدّار البيضاء، ط:01، 2005

75. محمد عاديل عبد العزيز علي، الفكر اللساني التداولي قراءات في التراث والحداثة لم الكتب الحديث، الأردن، ط، 2016

76. محمّد عبد الباسط، من الجملة إلى الخطاب قراءة في علم المناسبة، مجلّة جذور، جدّة، ع31، 2011م

77. محمد علي زكي صباغ، الشعرية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998

77محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، مكتبة الآداب للطباعة والنّشر، القاهرة، 2011م، ط:01

78محمود عكاشة، النّظرية البراجماتية اللّسانية، دراسة المفاهيم والنّشأة والمبادئ

79مرتضى جبار كاظم، اللّسانيات التّداولية في الخطاب القانوني – قراءة استكشافية للتّفكير التّداولي عند القانوني، دار مكتبة عدنان، بغداد، ط01، 2015م

80مسعود صحراوي، التّداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار التّنوير، الجزائر، ط01، 2008م

81مسعودي الحواسي ،البنية الحجاجية في القرآن الكريم " سورة النمل نموذجا "، اللغة والأدب، معهد اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12

82 ابن منظور، لسان العرب، تح: مجموعة من الأساتذة، دار المعارف، ط01، ج:17، ص: 1194.

83نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في النّص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، جذر الكتاب العالمي، عمان، ط01، 2009م

84نور الدّين بورناشة، الحجاج بين الدّرس البلاغي العربي والدّرس اللّساني الغربي- دراسة تقابلية مقارنة،

85 هشام الأنصاري، مغني اللّبيب على كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك حمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط01، 1964م، ج:01،

86 يوسف أبو العدوس، البلاغة العربية :"علم المعاني- علم المباني- علم البديع"، دار المسيرة للنشر والتّوزيع، عمان، ط01، 2007م

الأطروحات و المذكرات

87 تقاييت حامدة، قضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف ذهبية حمو الحاد، تيزي وزو، 2012.

88 عماري محمّد، مبادئ الدّرس التّداولي في التّراث العربي نظرية الخبر والإنشاء أنموذجا، أطروحة دكتوراه في علوم اللّغة، إشراف: محمّد قورار، جامعة باتنة 01، 2017م

89 عمر بوقمرة، مصطلح الحجاج بين المنطق الأرسطي عند بيرلمان والمنطق الطّبيعي للغة عند ديكرو، دراسة مقارنة، مجلة الأثر، جامعة حسينة بوعلي، شلف، ع:30، جوان، 2018م

90 ليلى جغام، الحجاج في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، رسالة دكتوراه في علوم اللسان، إشراف محمد خان، جامعة خيضر، بسكرة، 2013، ص 232.

91 منادي محمد الحبيب، التفكير التداولي في كتاب البيان والتبيين، أطروحة دكتوراه، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2017.

المجلات :

92 سعيد فاهم، الحجاج عند اللّسانيين الغربيين، مدرستنا فرنسا وبلجيكا أنموذجا، مجلّة الحجاز العالمية المحكمة للدّراسات الإسلامية والغربية، ع:20، 2017م،

93 صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، 4، 2009،

94 عبد الرّحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنّقد الحديث، مجلّة البحث العلمي في الآداب، عد: 19،، 2018م، ج:02.

95 عبد الله بريمي، الحجاج ومنطق الخطاب بصدد "الخطاب والحجاج" للدكتور أبو بكر العزاوي، مقال منشور ضمن كتاب الحجاج اللّغوي قراءة في أعمال الدّكتور أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2017م

96 نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والدّرس العربي، قراءة لبعض الجهود العربية، مجلّة كلّية الآداب الإنسانية والاجتماعية، ع04، 2009م

المراجع باللغة الاجنبية

97Chain Perloman et Leuies Olberts tyteca : traite de largumentation, la nouvelle rhétorique, préface de michel meyer, 5em édition de l'université du Bruxelle, 1992,

98j.c Elements de linguistique et de pragmatique pour la compression Automatique Du langage= du signe au sens clips communication langagiere et interaction personne _ Systéme fédération image ,B P53-38,Grenoble cedex 9- France

99charaudeau : langage et discours éléments de sémio linguistique, éd hachette, paris

المراجع الالكترونية:

101 Https : // sotor. Com

100 www.alukah.net

ملحق:

الجاحظ مولده ونشأته:

هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني، الفقيمي، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أي نتؤها، ولد بالبصرة، اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته، إلا أن معظمهم قال بولادته حوالي 726 م 1601هـ. [1]

نشأ الجاحظ فقيراً يتيماً في أحياء البصرة، وبدأ بالاختلاف إلى مجالس العلماء في سن صغيرة رغم عمله الشاق في بيع الخبز والسمك وهناك قرأ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة على يد ثلة من خيرة علماء عصره، كالأخفش والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة، وصار يعمل في النهار ويكتري دكاكين الوراقين في الليل، ليقرأ الكتب متبحراً في ضروب العلم. واطلع خلال رحلته مع القراءة على الكثير من الكتب المترجمة على لغات وثقافات متنوعة كالفارسية والهندية واليونانية. ثم لمع نجمه، وطار اسمه بين أهل العلم مع كثرة مؤلفاته، وتنوع موضوعاته، وروعة أسلوبه، فانتقل إلى بغداد، وتصدر للتدريس وقصده طلاب العلم من كل مكان.[2]

ولقد امتد عمر الجاحظ ووهن وضعف، أصابه فالج نصفي، فعاد إلى البصرة وهرعت له أفواج طلا العلم بعد أن لزم بيته أسير المرض، وتذكر الأخبار أن علماء المشرق والمغرب قصدوا منزله من بغداد والشام والأندلس كما كان يجمع أعداد من الطلاب يلقي عليهم من معارفه وحكمه إلى أن توفي عن عمر ناهز 96 عاماً تحت رفوف من الكتب انهالت عليه، وكان حينها مقعداً لا يستطيع إنقاذ نفسه. [3]

أسلوب الجاحظ:

عرف الجاحظ بموسوعيته وشموله واتساع أفقه الفكري، كما عرف بطرافته وخفة ظله، ومزجه بين الجد والهزل بلغة مليئة بالفكاهة والتهكم في بلاغة منقطعة النظير وتنوع لطيف مع استطراد غير ممل، وكان سريع التنقل

[1]-جميل جبر، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 7.

[2]-. /Https : // sotor. Comاطلعت عليه يوم 2020/10/18 على الساعة 17:20

[3]- المرجع نفسه

بين الحكمة البليغة والنادرة المضحكة ليصل بالقارئ إلى العبرة والمقصد دون تكلف، ويحسن فوق ذلك الفرار من الأسلوب العلمي إلى ناحية الأدب بمختلف ضروبه مع وجود أثر كبير لمنهج المحاججة والجدل في أسلوبه لكونه من كبار المعتزلة وأشهرهم في ذلك القرن.[1]

وكان الجاحظ حريصا في نفس الوقت على الإقناع والإمتاع، مؤكداً على أهمية إفهام المخاطب وضرورة الوصول إلى عقله وقلبه لترسيخ المعلومة من خلال منهجية التجربة والمعاينة المترافقة مع النقد والشك، مقدماً أدق التفاصيل واصفاً المشهد من جميع جوانبه ليعطي حججه وبرهانه في سبيل تحقيق المنفعة الموجودة، مع مراعاة مستوى الناس والروق الاجتماعية والثقافية فيما بينهم، وكل ذلك في قالب لغوي واضح وسهل ومشوقٍ يصلح أن يكون تعليمياً منهجياً للطالب، ويصلح أن يكون أدبياً إبداعياً للقارئ[2]

.

مؤلفات الجاحظ:

ألف الجاحظ أكثر من 350 كتاباً، وهو يعد من أغزر الكتاب على مستوى العالم، وتتراوح كتبه بين مجلدات ورسائل ضمت مختلف العلوم والمعارف في عصره الذي ازدهر بالعلم وبالتنوع الثقافي وقد وضع العديد من المؤلفات في مذهب الاعتزال والدفاع عنه وهي كتب لم يصلنا منها إلى بعض النصوص والشذرات المتفرقة نتيجة الانتقادات الكبيرة التي وجهت لمذهب المعتزلة بينما لاقت كتبه الأدبية اهتماماً أكبر، ووصل أغلبها ككتاب الأمل والمأمول وكتاب التبصر في التجارة وكتاب القول في البغال. [3]

أهم مؤلفات الجاحظ:

- **كتاب الحيوان:**

[1]- /Https : // sotor. Com اطلعت عليه يوم 2020/10/18 على الساعة 17:20

[2]- المرجع نفسه

[3] - المرجع نفسه

اهتم الجاحظ في كتاب الحيوان إلى جانب الشعر والأدب بالحديث عن طبائع الحيوانات وغرائزها وصفاتها، إضافة إلى حديثه عن العرب والأعراب وأحوالهم وحياتهم، وعن بعض المسائل الدينية، ويصنف هذا الكتاب كدائرة معارف واسعة تعطي صورة كاملة عن الملامح الثقافية والعلمية والأدبية للعصر العباسي.[1]

•كتاب البيان والتبيين:

يصنف كتاب البيان والتبيين كواحد من أهم الكتب العربية وتنصب أفكار هذا الكتاب حول البلاغة والأدب، فالبيان عند الجاحظ هو الدلالة على المعنى، والتبيين هو الإيضاح، ويتركز الكتاب حول فلسفة اللغة وأسس علوم البلاغة، مع التطرق إلى بعض أمور الفلسفة والمنطق أفكار بعض العقائد والأديان. [2]

•البخلاء:

يعد كتاب البخلاء من أشهر كتب الجاحظ، استخدم فيه أسلوب السرد القصصي لأحوال البخلاء وطبائعهم بأسلوب فكاهي مضحك، يصور فيه حرص هؤلاء على المال والطعام، ويفضح طرقهم مركزاً على تصرفاتهم وحركاتهم ونظراتهم وملامحهم القلقة، وقد أظهر فيه الجاحظ قدرته على التحدث بلغة هؤلاء الأشخاص مع استخدام بعض المفردات العامية إضافة لذكر بعض البلدان وأشهر الأعلام في زمانه. [3]

•المحاسن والأضداد:

تناول فيه الجاحظ محاسن الأشياء ومساوئها مركزاً على الطباع والسجايا الإنسانية بأسلوب سردي قصصي، صاغه الجاحظ بلغة هادئة ورصينة وبسيطة وبطرق وأفكار مختلفة عما عهد في عصره، ما جعل كثير من الأدباء والكتاب ينتهجون منهجه ويقلدونه في كتب كثيرة عن الأشياء وضدها. [4]

•الرسائل: وقد وضع الجاحظ عدداً كبيراً من الرسائل التي تناولت مختلف ضروب الأدب والفكر، ومنها ما كان في الدين والعقائد، وقد جمع عدد من رسائله في طبعات مختلفة لعدد من المحققين من أهمها وأفضلها الكتاب الذي حققه الدكتور عبد السلام هارون بعنوان الرسائل ووضع فيه نصوص عدد كبير من رسائل الجاحظ منها.[1]

---

[1] -Https : // sotor. Com/- اطلعت عليه يوم 2020/10/18 على الساعة 17:20

[2] – المرجع نفسه

[3] – المرجع نفسه

[4] – المرجع نفسه

•مناقب الترك

• البلاغة والإيجاز

• الحاسد والمحسود

• التربيع والتدوير

• الأوطان والبلدان

•صناعة الكلام

•**الحنين إلى الوطن:** جمع فيه الجاحظ عدداً من الأشعار والنصوص التي ألفها بعض الشعراء والأدباء الذين عانوا مرارة البعد عن أوطانهم بأساليب مختلفة تجمعها اللغة الصادقة التي تصلح في كل وقت وزمان.

أقوال العلماء عن الجاحظ:

فتن الجاحظ بأسلوبه وسعة علمه وحفظه ألباب العلماء، ووصل صيته إلى الشرق والغرب في زمانه وظل حديث النقاد والأدباء بعد وفاته على مدى العصور ليكون واحدً من أهم أدباء العالم وبقيت كتبه محور عديد من المؤلفات والأبحاث وكثرت فيه آراء أهل اللغة والأب والعلم وتالياً بعضها.[2]

•أبو حيان:

جمع بين اللسان والقلم وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره وفشت حكمته، وطهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالاقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب[3].

•الخطيب البغدادي:

---

[1]- Https : // sotor. Com-اطلعت عليه يوم 2020/10/18 على الساعة 17:20

[2] – المرجع نفسه

[3] – المرجع نفسه

كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام وكثير العلم بالكلام، كثير التبحر فيه، شديد الضبط لحدوده ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا.[1]

•ابن العميد:

ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس... وأما البلاغة والفصاحة، واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ[2].

•ياقوت الحموي:

تبحر في علم الكلام وخلطه بالفلسفة اليونان، وانفرد دون المتكلمين بمذهب في التوحيد شايعه كثير منهم فسقوا بالجاحظية، وتشارك في سائر العلوم وكتب فيها كتابة محقق طليع، وهو أول عالم عربي جمع بين الجدل والهزل، وتوسع في المحاضرات وأكثر من التصنيف وكتب في الحيوان والنبات والأخلاق والاجتماع. [3]

•شوقي ضيف:

قمة بعيدة المنال في الأدب العربي كله فقد كان فريداً في عصره وفي العصور السابقة جميعاً. [4]

[1] -Https : // sotor. Com اطلعت عليه يوم 2020/10/18 على الساعة 17:20

[2] – المرجع نفسه

[3] – المرجع نفسه

[4] – المرجع نفسه

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل

استراتيجيات تحليل الخطاب.

الجملة:

مفهوم الجملة لغتا اصطلاحا 6

مفهوم الجملة عند الغرب: 8

مفهوم الجملة في النّحو التّوليدي:..... 8

الملفوظ والتّلفّظ:..... 9

الفرق بين الملفوظ و الجملة 10

التلفظ.....10

النّص (Texte):..... 11

مفهوم النص عند الغرب 12

مفهوم النص عند العرب 13

الخطاب (The speech)..... 14

الخطاب في المعاجم العربية 16
الخطاب في القرآن الكريم .....17.
الخطاب عند الغرب:.....15
السياق 19
الفرق بين المقام والسّياق:..... 21
السياق في الثقافة الإسلامية.....21
أنواع السّياق:.....22
مفهوم الاسترتيجية 24
أنواع الاستراتيجيات:..... 30

الفصل الأوّل: التداولية النشأة و التطور

المبحث الأول:التّداولية النّظرية والمفهوم..... 34
مفهوم التّداولية: (Pragmatics)..... 34
التعريف اللغوي في المعاجم العربية 36
في المعاجم الغربية 37

المبحث الثاني:نشأة اللّسانيات التّداولية:..... 40
جذور اللسانيات التداولية..... 41
علاقة التّداولية بالعلوم الأخرى: 46

المبحث الثالث: البحث التداولي عند العرب 50
التداولية و النظرية اللغوية العربية 50
التداولية في البلاغة العربية 54

المبحث الرابع:مباحث التداولية 56
_نظرية أفعال الكلام..... 56
_نظرية الاستلزام الحواري 64
_نظرية الحجاج 70

الفصل الثّاني: نظرية الحجاج النشأة و التطور

المبحث الأول:نظرية الحجاج؛ النّشأة والتّطور..... 74
الحجاج لغة: (Argumentation) 74
الحجاج ف الاصطلاح:..... 75
الحجاج في القرآن الكريم:..... 76
بين الإقناع والحجاج:..... 81
بين الحجاج والجدل: 82
المبحث الثاني:الحجاج عربيا: 84

المبحث الثالث:الحجاج عند الغرب:
الحجاج عند "شاييم بيرلمان": (Chaim perleman)..... 98
نظرية الحجّة عند "بيرلمان": 103
تقنيات الحجاج عند "بيرلمان": 105

المبحث الرابع:الحجاج اللغوي.....106
السّلم الحجاجي:..... 108
مفهوم السّلم الحجاجي:..... 109
قوانين السّلم الحجاجي: 110
مفهوم نظرية المساءلة:..... 111
العلاقة بين الحجاج ونظرية المساءلة: 112

بين البلاغة والحجاج: 115
أنواع الحجج :.....115

الفصل الثالث:التداولية في كتاب البيان والتبيين

المبحث الأول: أفعال الكلام في المدونة..... 122
مفهوم الفعل الكلامي..... 122
مبادئ التداولية عند الجاحظ.....122
الفهم و الإفهام.....123
الالزاميات..... 130
الإخباريات.....131
التوجيهات.....133
التعبيريات.....134

المبحث الثاني: المقامات وأثرها في تحديد المعنى 136
مقام النصح و الإرشاد 138
مقام الوصية.....143
مقام طلب العلم.....146
مقام المدح والذم..... 150
المبحث الثالث: الاستلزام الحواري..... 151
مفهوم الاستلزام الحواري 153
الاستلزام الحواري العرفي..... 154
الاستلزام الحواري عند غرايس..... 155
الاستلزام يمكن إلغاؤه..... 156
الاستلزام لا يقبل الانفصال.....156

الفصل الرابع: الحجاج في المدونة

المبحث الأول:مقام الجدل.....160
حجاجية الكلمة.....163
الروابط الحجاجية و دورها في بناء الحجة.....164
العوامل الحجاجية.....167
المبحث الثاني:المناظرة عندً في الجاحظ.....169
لغة، اصطلاحاً، 170
المناظرة في الثقافة العربية الإسلامية.....171
مميزات المناظرة في الثقافة الإسلامية 171
المناظرة في القرآن الكريم.....172
المناظرة عند الجاحظ 173
المبحث الثالث: التنوع الاجتماعي وأثره في الدلالة اللغوية 180
عندا الزهاد و النساك..... 180
عند النوكى و الحمقى و المجانين 187
عند البلغاء و المعلمين. 193
الخاتمة 198
الفهارس الفنية..... 203
قائمة المصادر و المراجع 208
الملحق..... 218
فهرس الموضوعات 224

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مواطن التداولية عند الجاحظ في كتابه "البيان و التبيين "من خلال أهم محاور التداولية مركزين على "الاستلزام الحواري، نظرية أفعال الكلام، الحجاج" وسنرى أن التداولية تمظهرت بشكل جلي عند الجاحظ في محاولة منا لكشف أصول النظرية التداولية في الموروث العربي.

Summary

This study aims to highlight the points of pragmatics within Al-Jahiz book the statement and clarification. the important axes of pragmatics focus on the conversational implicature and the theory of argumentative speech act. We will seethat pragmatics was shoved in a great way bay aljahiz az an attempt to open out its origins in the Arab inherit ance.

Résumé

Cette étude vise à mettre en évidence les zones de délibérativité à Al-Jahiz à travers les axes délibératifs les plus importants, en se concentrant sur «l'approche discursive, la théorie des actes de langage, les pèlerins».